المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

مجلة البحوث والدراسات القرآنية

مجلة علمية محكمة متخصصة بالقرآن الكريم وعلومه

العدد التاسع عشر - السنة الثانية عشرة
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
في سطور

الافتتاح: نظراً لازدياد حاجة العالم الإسلامي إلى المصحف الشريف، واضطلاعاً من المملكة العربية السعودية بدورها الرائد في خدمة الإسلام والمسلمين، واستشعاراً من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - لأهمية خدمة القرآن الكريم، من خلال جهاز متخصص ومتفرغ لهذا العمل الجليل، قام بوضع حجر الأساس لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة في السادس عشر من المحرم عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٢م)، وافتتحه رحمه الله في السادس من صفر عام ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م). وكان له عند وضع حجر أساس هذا الصرح المبارك كلمة ضافية جاء فيها:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله العلي القدير ... إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً، ولخدمة الإسلام والمسلمين ثانياً، راجياً من الله العلي القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله وهو القرآن الكريم، لينتفع به المسلمون وليتدبروا معانيه "

أهم أهداف المجمع: طباعة المصحف الشريف وتسجيل تلاواته بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي، وترجمة معانيه وتفسيره، والعناية بعلومه، وبالبحوث والدراسات الإسلامية، والوفاء باحتياجات المسلمين داخل المملكة وخارجها من إصدارات المجمع المختلفة، ونشرها على الشبكة العالمية .

الإشراف على المجمع: تتولى وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الإشراف على المجمع، ومعالي الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد هو المشرف العام على المجمع ورئيس هيئته العليا. ويتابع تنفيذ سياسات المجمع وتحقيق أهدافه الأمين العام للمجمع الأستاذ الدكتور محمد سالم ابن شديّد العوفي.

الهيئة العليا للمجمع: تختص الهيئة العليا للمجمع بعدد من المهام، منها: رسم الخطط والأهداف العامة للمجمع وسياسات تطبيقها، والإشراف على تنفيذها، وإقرار اللوائح والأنظمة التي يحتاج إليها المجمع.

المجلس العلمي للمجمع: تتضح مهامه واختصاصاته في دراسة الشؤون العلمية وفقاً لأهداف المجمع، واقتراح ما يؤدي إلى تطويرها، ودراسة القضايا والبحوث ذات الصبغة العلمية، والنظر في التقارير المرفوعة من المراكز المختصة.

إحصاءات وإنجازات:

- يضم المجمع الجهات العلمية التي تقوم على إعداد إصداراته وإخراجها، كما تتوافر فيه أحدث التجهيزات في مجال الطباعة، والتسجيل الصوتي على الأقراص المدمجة، والوسائط المتعددة.
- **ينفرد المجمع بنظام رقابي متطور،يطبَّق في جميع مراحل إنتاج العمل منذ الخطوات الأولى في إعداده، مروراً بمراحل الطباعة المختلفة، وتضم إدارة الجودة بأقسامها بالمجمع (٤٦٢) موظفاً؛ وذلك لضمان سلامة النصوص، وإخراج إصدارات المجمع خالية من العيوب والأخطاء.**
- تجاوز عدد ما أصدره المجمع (٣٠٠) من الإصدارات الهامة، في شتى العلوم التي يُعنى بها المجمع، ومنها نحو (٧٤) ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة، ولايزال العمل جارياً لإخراج المزيد من الإصدارات المفيدة بعون الله تعالى.
- اعتباراً من هذا العام ١٤٣٩هـ سيتراوح إنتاج المجمع السنوي من (١٨) إلى (٢٠) مليون نسخة.
- وزع المجمع عشرات الملايين من إصداراته في مختلف قارات العالم هدية من المملكة العربية السعودية، منها نحو مليوني نسخة سنوياً هدية من خادم الحرمين الشريفين إلى حجاج بيت الله الحرام.

دعم المجمع: يلقى المجمع دعماً متواصلاً ورعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، وصاحب السمو الملكي ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز حفظهما الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

حُرُوف مُضِيئَة

كلمة خادم الحرمين الشريفين

الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله

لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كنت قبل سنتين في هذا المكان لوضع الحجر الأساسي لهذا المشروع العظيم في هذه المدينة التي كانت أعظم مدينة فرح أهلها بقدوم رسول الله ﷺ فرحوه له في شدائد الأمور وانطلق منها الدعوة دعوة الخير والبركة للعالم أجمع وفي هذا اليوم أجد الله ما كان حلماً يتحقق على أفضل مستوى ولذلك يجب على كل مواطن في المملكة العربية السعودية أن يشكر الله على هذه النعمة الكبرى وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني الله أن أقوم بخدمة ديني ثم وطني وجميع المسلمين وأرجو من الله التوفيق.

فهد بن عبد العزيز آل سعود

١٤٠٥/٦/٦

حروف مضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله
لدى افتتاح المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أحمد الله الذي يسّر على يد أخي صاحب الجلالة فهد بن عبد العزيز هذا العمل الجليل وأكرمه به فإنه العمل الخالد هو الذي يبقى وهو الذي يلتقي دائماً وعلى مرّ الأجيال بقلوب المسلمين في شتّى أنحاء العالم ، وليس في يقيني أجل وأعظم من هذه المشاريع الخالدة وإني لن أكون إن شاء الله سحابة صيف ولكننا سنظل الرمز العظيم لعهد يبني ويعطي أسخى العطاء في أطهر بقعة في أكرم مدينة ، منها انطلقت الرسالة السماوية إلى العالم أجمع تحمل الهداية وتنير الطريق للحائرين والمظلومين على وجه الأرض ، رسالة أكرمت الإنسان وظلّت شاملة متكاملة ما بقي زمان ومكان لم تحن رقبته الى الأرض ولم تقطع أمله من حياة خالدة وتقول لوشيء غير هذه الحياة الفانية وإذا كانت اليوم هذه المدينة العزيزة على نفوسنا محل اهتمام الدولة وعلى رأسهم صاحب الجلالة فهذا حقّها وهذا واجب لا عذر فيه لنا جميعاً ، أقول هذا وأؤكده من صميم قلبي ومن إيماني بحق هذه المدينة العزيزة .

وبهذه المناسبة الجليلة لا يفوتني من أن أترحّم على شهداء الإسلام من أنصار ومهاجرين أعطوا دمهم وحياتهم وكل ما يملكون وأنه كان بهم خصائص فالإيثار الذي به يعتز كل مسلم يجب أن نتذكره ونستحضره دائماً في عيد الرخاء لأولئك الرجال العظام .

وفّقه الله كل من ساهم أو يساهم في هذا العمل الكريم والسلام عليكم ورحمة الله

١٤٠٥/٩/١٠هـ

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

حروف مضيئة

كلمة خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبدالعزيز يحفظه الله
لدى زيارته المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

بعون من الله وتوفيقه تمكن جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز من إقامة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف والذي زرته اليوم السبت ١٤٠٧/٢/٢٢هـ وقد قرأت وشاهدت من الصحافة والتلفزيون عنه الكثير لكني فوجئت اليوم بفوق كل التصور إذ عمل كهذا يظل خالداً في السابقين من إقامته هو خدمة كتاب الله وما يحمله من هداية للبشرية جمعاء ووجود هذه المؤسسة في هذه البقعة الطاهرة يجعل النفس تشعر بالفخر والرضا.

أرجو من الله عز وجل أن يوفق جلالته لكل عمل فيه نفع للإسلام والمسلمين وأن يوفق العاملين فيه لما يحبه ويرضاه والله ولي التوفيق

سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

١٤٠٧/٢/٢٢

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى تنشيط البحث العلمي، والإسهام في نشر الدراسات والبحوث المعنية بالقرآن الكريم وعلومه، محاثرة لمكتبة الدراسات القرآنية، وتدعو إلى التواصل العلمي بين المختصين في هذا المضمار.

وتحقيقًا لهذا المقصد، فإن مجال النشر في المجلة يشمل: الدراسات والبحوث، وتحقيق المخطوطات، وقضايا ترجمة معاني القرآن الكريم.

تكون المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة البحوث والدراسات القرآنية
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
ص. ب: ٦٢٦٢ المدينة المنورة ٤١٤٤٢
المملكة العربية السعودية
هاتف وناسوخ: ٠٠٩٦٦-١٤-٨٦١٥٦٠٠
تحويلة: ١٨١٠
journal@qurancomplex.gov.sa

مجلة
البحوث والدراسات القرآنية

العدد التاسع عشر - السنة الثانية عشرة ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

هيئة التحرير

المشرف العام

معالي الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المشرف العام على المجمع

رئيس التحرير

أ.د. محمد سالم بن شديد العوفي

الأمين العام لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

نائب رئيس التحرير

د. معيض بن مساعد العوفي

نائب الأمين العام للشؤون العلمية

مدير التحرير

د. عبد الغفور عبد الحق البلوشي

الأعضاء

أ.د. أحمد بن محمد الخراط

أ.د. عماد بن زهير حافظ

د. حازم بن سعيد السعيد

د. مصطفى بن عمر جلبي

رقم الإيداع ١٤٢٦/٦٢٢٢ ردمد ٢٦٢٤ - ١٦٥٨

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

قواعد النشر

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

- أن تسهم في تحقيق أهداف المجلة.
- ألا تكون منشورة أو مقدمة للنشر في جهة أخرى.
- ألا تكون جزءاً من بحث منشور للباحث، أو من رسالة نال بها درجة علمية.
- أن يراعي الباحث قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجه، وأصول تحقيق التراث الإسلامي.
- أن تكون متميزة من حيث الابتكار، والإضافة العلمية، وسلامة المنهج.
- أن يُشار إلى الدراسات السابقة حول الموضوع، والجديد الذي أضافه البحث.
- أن تصدَّر بملخص باللغتين العربية والإنجليزية لا يزيد على صفحة، يتضمن أهم محاور البحث ونتائجه.
- ألا تزيد صفحاتها على خمسين صفحة، ولا تقل عن عشر صفحات.
- أن يقدم الباحث تعريفاً موجزاً بسيرته العلمية، وعناوين الاتصال به، وعنوان بريده الإلكتروني إن وُجِد.
- أن يقدم الباحث خمس نسخ مطبوعة من مشاركته، وأن تصاحبها نسخة إلكترونية مدخلة بواسطة برنامج ميكروسوفت وورد (الإصدار ٢٠٠٣)، أو ما يتوافق معه.
- لا تعاد المادة إلى صاحبها، سواء أنشرت أم لم تنشر.
- يُمنح صاحب كل بحث مكافأة مالية، ويعطى نسختين من العدد المنشور فيه بحثه، وعشر مستلات خاصة ببحثه.
- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه إلا بإذن خطي من رئيس تحرير المجلة.
- يتم ترتيب المشاركات في المجلة على أساس حروف المعجم لعناوين البحوث في الموضوع الواحد.

منهج التوثيق

- إلحاق نماذج واضحة من المخطوطات التي اعتمدها الباحث.
- التوثيق في الحواشي لا المتن.
- إثبات حواشي كل صفحة في الصفحة نفسها، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً.
- اختصار الحواشي التعليقية ما أمكن.
- ألا يشار في الحواشي إلى بيانات طباعة المرجع المحال عليه، إلا عند اعتماد الباحث أكثر من طبعة.
- ضبط المشكل من الأعلام، والأمكنة، والكلمات.

- مراعاة الابتداء بالتاريخ الهجري في كل ما يؤرَّخ.
- استخدام علامات الترقيم.
- أن تضمَّن قائمة المراجع جميع الأعمال التي تمت الإشارة إليها في البحث.
- يكون ترتيب المراجع في الفهرس الخاص بها ترتيباً هجائياً بحسب عنوان الكتاب، مع استيفاء بيانات الطبع.
- ترتَّب المراجع في قائمة واحدة، مهما كانت طبيعتها ومجال تخصصها.
- إفراد قائمة للمراجع الأجنبية، مستوفية بيانات الطبع، مع ذكر اللغة التي كتبت بها.

مواصفات النشر

- مقاس الكتابة الداخلية: ١٢سم × ١٨سم.
- نوع الخط: Traditional Arabic.
- العناوين الرئيسة: الحجم ٢٠ مُسْوَدّاً.
- العناوين الفرعية: الحجم ١٨ مُسْوَدّاً.
- المتن: الحجم ١٧ غيرَ مُسْوَدٍّ، إلَّا الأبيات الشعرية، فتكتب بخط مُسْوَدٍّ.
- الآيات القرآنية: الحجم ١٨ مُسْوَدّاً، وتكتب على النحو التالي: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].
- تكتب القراءاتُ الشاذَّةُ والأحاديث النبوية والآثار بين قوسين عاديين هكذا: ( )، بحجم ١٨ مُسْوَدّاً.
- تكتب النقول بين علامتي تنصيص « ».
- الحواشي السفلية بحجم ١٢ غير مُسَوَّدة، وتوضع أرقام الحواشي بين قوسين.

مجلة
البحوث والدراسات القرآنية

فهرس المحتويات

كلمة معالي المشرف العام على المجلة ١٣

كلمة رئيس التحرير ١٥

إشكالية المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النظرية والتطبيق: دراسة في النص القرآني

د. سعد محمد عبد الغفار ١٩

تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في آيات الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان - جمعاً ودراسةً

د. هند بنت إبراهيم التويجري ٥٣

الخلاصة في كيفية تحليل النصوص في كتب علم القراءات باب الإدغام في كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذِش أنموذجاً

د. عادل إبراهيم أبو شعر ١٠٩

دراسة قصيدة الإمام أبي مُزاحم الخاقانيّ في حُسْن الأداء

د. حازم بن سعيد حيدر السعيد ١٦١

العمل التطوعي في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية

د. عبد الله بن سالم بن يسلم بافرج ٢٤٩

أخبار المجمع ٣٣٧

من إصدارات المجمع ٣٤٩

كلمة
معالي المشرف العام على المجلة

الحمد لله رب العالمين، المُتَفَضِّل علينا بآلائه، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمِنْ دواعي سروري أن أفتتح العدد التاسع عشر من مجلة البحوث والدراسات القرآنية، الذي يصدر بعد اعتماد اللائحة الجديدة لتنظيم العمل في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وآمل أن تدفع هذه اللائحة بما تَضَمَّنَتْه من إجراءات لتنظيم سير الإدارات العاملة في المجمع، إلى المزيد من الإنجاز وتعزيز الإنتاج والمخرجات، وإحداث نَقْلة نوعية في تطوير العمل التقني، ولا سيما أن «مصحف المدينة النبوية» الصادر عن المجمع قد نال الشرف الأوفر في كل بيت مسلم من أصقاع العالم. كما أن ما صدر عن المجمع من مصنفات وأبحاث في علوم القرآن الكريم قد غدا مرجعاً أصيلاً في الجامعات ومراكز البحث العلمي. وإنني أدعو منسوبي المجمع كافة أن يحتسبوا جهودهم التي يبذلونها لخدمة كتاب الله وما يتصل به من علوم.

ويسرني أن أدعو الباحثين أن ينهلوا من مَعين مجلة البحوث والدراسات القرآنية وما صدر منها من أعداد سابقة من خلال وعائها الورقي، ومن فاتَتْه العودة إلى هذا الوعاء طلب نسختها الإلكترونية من موقع المجلة على الشبكة العالمية (الإنترنت) وسوف تمنحه هذه الأعداد الفوائد المعرفية الجمَّة في علوم القرآن الكريم. كما أدعو الباحثين إلى المشاركة في البحث العلمي الرصين، وتقديم ما لديهم من دراسات إلى هيئة تحرير المجلة، وسوف يجدون لديها صدراً رحباً وآذاناً صاغية، وسوف تأخذ البحوث مكانها للنشر في أعداد المجلة القادمة إن شاء الله، بعد تقويمها ومراجعتها.

ومِنْ فضل الله عَزَّوَجَلَّ تبوَّأت هذه المجلة منزلة عالية تواكب ما حَقَّقَتْه من إنجازات معرفية في علوم القرآن الكريم. وإنني إذ أحيِّي هيئة التحرير، وأشدُّ على أيديهم، أدعوهم إلى المزيد من الجهد الحثيث في سبيل النهوض بأعباء البحث العلمي الجادّ.

وختاماً أدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يديم على هذه البلاد المباركة أمْنَها وسؤددها في ظل رعاية أولياء الأمور، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
المشرف العام على مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

كلمة رئيس التحرير

الحمد لله حقَّ حمده، والصلاة والسلام على المبعوث بالهدى والرحمة، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب الله تعالى نور نزل به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء إلى الأرض على سيد الخلق وأشرف الرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، فبلَّغه إلى الناس، ونشر مبادئه وأخلاقه ومُثُلَه بأقواله وأفعاله في العالمين، فبدَت بذلك صفحة وضَّاءة في تاريخ الإنسانية أنارت مسيرتُها دروب الحياة.

ولا شكَّ أن الاعتناء بدراسة القرآن الكريم ومعرفة مقاصده وحِكَمه من أَولى المهمات على من يتفرغ لدراسة علومه؛ كي يتمكن من إماطة اللثام عن وجوه عظمته وإعجازه، وبيان فضله وفضائله، ودلائل هدايته؛ لأن أية أمة تشرُفُ بشرف كتابها المنزَّل، أو رسولها المرسل، فكيف إذا اجتمع الشرفان؟

وأرى أن العكوف على الدراسات القرآنية الجادَّة، وإتاحة الفرص لنشر الأبحاث المختصة في هذا المجال سيُعين - بإذن الله - على إظهار جوانب عظيمة من مقاصد القرآن الكريم وحِكَمه.

وقد كانت «**مجلة البحوث والدراسات القرآنية**» من المنابر التي دعت إلى تنشيط البحث العلمي في القرآن الكريم وعلومه، واضطلعت بنشر مجموعة من البحوث المفيدة في أعدادها الثمانية عشرة الصادرة، وها هي تُغِذُّ السير وتمضي قدماً في تحقيق أهدافها المرسومة، وتتبنى نشر عدد من الأبحاث القيمة في هذا العدد، إذ يتوارد **أولها** وهو بعنوان: «**إشكالية المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النظرية والتطبيق، دراسة في النص القرآني**»، من إعداد الدكتور: سعد محمد عبد الغفار؛ ليبيِّن موضوع

المناسبة الدلالية عند البلاغيين والنحاة والمفسرين، وآراءهم في منع تعاطف الخبر والإنشاء؛ لغياب المناسبة بينهما، أو جواز تعاطفهما.

ويأتي **ثانيها** وهو بعنوان: «**تفسير عبد الرحمن بن أسلم للقرآن بالقرآن في آيات الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان، جمعاً ودراسة**»، للدكتورة: هند بنت إبراهيم التويجري؛ ليلقي الضوء على نوع من أنواع التفسير - تفسير القرآن بالقرآن - من خلال دراسة تطبيقية لمرويات أحد أعلام التابعين في التفسير على آيات الحزب الأول من القرآن الكريم.

ويأتي **ثالثها** وهو بعنوان: «**الخلاصة في كيفية تحليل النصوص في كتب علم القراءات، باب الإدغام في كتاب الإقناع في القراءات السبع لابن الباذِش أنموذجاً**»، للدكتور: عادل إبراهيم أبو شعر؛ ليوضح كيفية تحليل النصوص وصناعتها في كتب علم القراءات القرآنية، ويكشف جانباً مهماً في قراءة النصوص وتحليلها، وسبر أغوارها واكتشاف مكنوناتها ومنهجيتها، وطرائق تفكير أصحابها.

ويأتي **رابعها** وهو بعنوان: «**دراسة قصيدة الإمام أبي مُزاحم الخاقانيّ في حُسْن الأداء**»، للدكتور: حازم بن سعيد حيدر السَّعيد؛ ليدرس أهمية قصيدة رائعة من عيون الشعر التعليمي - من القرن الرابع الهجري - وعنايةَ أهل العلم بها، ومكوِّناتِها، والمحاورَ الرئيسة التي بُنيت عليها، وإسهامها في التنبيه على معالمَ تربوية وإرشادية في القضايا المتعلِّقة بآداب القارئ والمقرئ.

ويأتي **خامسها** وهو بعنوان: «**العمل التطوعي في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية**»، للدكتور: عبد الله بن سالم بن يسلم بافرج؛ ليهدف إلى التنبيه على تأصيل العمل التطوعي، ومفهومه، وأسلوب القرآن الكريم في الحث عليه، وضوابطه، وثماره من خلال آيات الكتاب العزيز.

ويسرني بمناسبة إصدار العدد التاسع عشر أن أشكر للإخوة أعضاء هيئة التحرير ما بذلوه من جهد في تدقيق البحوث ومراجعتها؛ مما أوصلها إلى المستوى العلمي اللائق بها.

والشكر موصول لوزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد المشرف العام على المجمع معالي الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ الذي يرعى هذه المؤسسة المباركة ويسعى إلى رفعتها وازدهارها.

ولا يسعني إلَّا أن أتقدم بالشكر والعرفان لقادة هذه البلاد على ما يولون المجمع من رعاية ودعم ومتابعة، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وأن يَمُنَّ الله عليه بالسَّداد والتوفيق، وولي عهده الأمين نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظهما الله على ما يوليان المجمع من رعاية ودعم وتشجيع.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

الأمين العام
لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف
أ.د/ محمد سالم بن شديد العوفي

إشكالية المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النظرية والتطبيق

دراسة في النص القرآني

د. سعد محمد عبد الغفار (*)

ملخص البحث

هذا بحث يعرض «إشكالية المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النظرية والتطبيق، دراسة في النَّص القرآني» عند البلاغيين والنُّحاة والمفسرين، من خلال الوقوف على آرائهم في منع تعاطف الخبر والإنشاء؛ لغياب المناسبة بينهما، أو جواز تعاطفهما على أساس تأويل النُّصوص ومراعاة سياقاتها.

(*) مدرس البلاغة والنَّقد، كلية الآداب بالوادي الجديد، جامعة أسيوط، مصر.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علَّمه البيان، والصَّلاة والسَّلام على رسوله محمَّدٍ وعلى صحبه والتَّابعين بإحسان، وبعد:

فإنّ أعظم ما يبلغ المتكلمُ به البيانَ، ويقعُ به الفهمُ والإفهامُ، أن تتمَّ المعاني بتمام الألفاظ، على أساس جامعِ المناسبة الدلالية بينها، وإلا كان الفصل والاستئناف الذي يُؤْمَنُ به اللَّبس عند وَصْلِ الكلام. ويُعدُّ «**الخلاف في تعاطف الإنشاء والخبر**» عند النُّحاة والبلاغيين والمفسرين مظهراً من مظاهر البحث عن هذا الانسجام الدلالي بين التَّراكيب على مستوى الجملة أو مستوى النَّص اللُّغوي.

ويرتكز البحث في دراسة هذا الخلاف على أساس أنَّ الكلام كلَّه خبرٌ والإنشاءُ محوَّل عنه، باستعمال أدوات مخصوصة وصِيغ صَرفيَّة معينة. وهذه الفرضية كانت نتاجاً لخلاف أوسع، لم تحسمه النَّظرية اللُّغوية عند البلاغيين وفلاسفة اللُّغة في تعريف الخبر والإنشاء، ووضع محددات لغويَّة ودلالية في التَّمييز بينهما.

وتكمن إشكاليَّةُ تعاطف الخبر والإنشاء في اختلاف المعاني بينهما، فالخبرُ يدلُّ على معانٍ تحتمل الصِّدقَ والكذبَ، والإنشاءُ بخلاف ذلك، ومن ثمَّ فإنَّ جهة الارتباط الدلالي بينهما منفكة عند تعاطفهما، وهو ما عوَّل عليه البلاغيون وغيرهم من علماء العربية في إصدار أحكامهم على هذه الظَّاهرة في النَّظريَّة والتَّطبيق.

وبناءً على هذه الإشكالية **يهدف البحث إلى**:

- الوقوف على أسباب الخلاف بين النُّحاة والبلاغيين والمفسرين في تعاطف الخبر والإنشاء، وبيان مفهوم المناسبة عند كلٍّ منهم.
- كما يسعى إلى بيان أثر التَّماسكِ النّصي في حلِّ إشكاليَّة المناسبة الدلالية في تعاطفهما بتجاوز التَّحليل اللُّغوي للجملة إلى النَّص.

منهج الدِّراسة:

وقد سعيتُ إلى تحقيق ذلك من خلال منهج وصفي لظاهرة عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، محللاً ومقارِناً آراءَ البلاغيين والنُّحاة والمفسرين في قبولها ورفضها من منظور المناسبة الدلالية لمعانيها، وكيف تفاوتت هذه الآراء في شقيها النَّظري والتَّطبيقي على الشَّواهد التي جاء أغلبها في النَّص القرآني؟

الدِّراسات السَّابقة:

أود أن أشير - في حدود علمي وما وقفتُ عليه من كتب ودراسات - إلى أنَّ الدِّراسات البلاغيَّة التي عُنيت بدرس الفَصْلِ والوَصْلِ لم تتعمق في بحث مسألة الخلاف في تعاطف الخبر والإنشاء والكشف عن أسبابه، ولم تحدد مفهوماً واضحاً للمناسبة الدلالية في هذا الباب، ومن هذه الكتب والدراسات ما يأتي:

- **الفصل والوصل في القرآن الكريم**: د. منير سلطان، (ط٢) منشأة المعارف بالإسكندرية (١٩٩٧م).
- **الإعجاز في نسق القرآن، دراسة للوصل والفصل بين المفردات**: د. محمد الأمين الخضري، (ط١) مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).
- **بلاغة أسلوب الفَصْلِ والوَصْلِ في القرآن الكريم**: دكتورة مسرت جمال، مجلة الدَّاعي، دار العلوم ديوبند، العدد السادس، السنة الرابعة والثلاثين، جمادى الثانية (١٤٣١هـ= مايو - يونيو ٢٠١٠م).
- **الفَصْل والوَصْل في القرآن الكريم**: د. شكر محمود عبد الله، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمَّان، الأردن (٢٠٠٩م).

هذا، وقد جاءت الدِّراسة في مقدمة، وفصلَيْن، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع على النَّحو التَّالي:

الفصل الأول: إشكاليَّة المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النَّظريَّة.

الفصل الثَّاني: تأويلات المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في التَّطبيق، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عطف الإنشاء على الخبر.

المبحث الثَّاني: عطف الخبر على الإنشاء.

خاتمة بأهم نتائج البحث.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

الفصل الأول

إشكاليَّة المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النَّظريَّة

تعني المُناسَبةُ: المشاكلة، والمقاربة، واتصال الشَّيْءِ بالشَّيْءِ[1]. ومرجعها في الكلام إلى معنىً جامعٍ بين جُمَلِه، سواءٌ أكان هذا الجامع عقليّاً أم خياليّاً أم وهميّاً[2]، أَوْ غير ذلك من أنواع العلاقات التي يَقْوَى بها الارتباط بين الجمل، ويصبح لها مساغٌ في العقل والذوق؛ لأنَّك إذا «جئتَ فعطفتَ على الأول شيئاً ليس منه بسببٍ، ولا هو ممَّا يُذكَرُ بذكرِه ويتَّصِلُ حديثُه بحديثِه لم يستقمْ. فلو قلتَ: «خرجتُ اليومَ من داري»، ثم قلتَ: «وأحسن الذي يقولُ بيتَ كذا»، قلتَ ما يُضْحَكُ منه «لعدم التعلُّق». ومن هاهنا عابوا أبا تمَّام في قوله:

لا والَّذي هُـوَ عَالِـمٌ أنَّ النَّـوَى ... صَـبِرٌ وأنَّ أَبَـا الحُسَيْنِ كَرِيمُ[3]

وذلك لأنَّه لا مناسبةَ بينَ كَرَمِ أبي الحسين ومرارةِ النَّوى، ولا تعلُّقَ لأَحَدِهما بالآخرِ، وليس يقتضي الحديثُ بهذا الحديث بذاك»[4].

ومن ثمَّ وجبَ أن يكونَ المحدَّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدَّثِ عنه في الأخرى، وأنْ يكونَ الخبرُ عن الثَّاني ممَّا يَجْرِي مَجْرَى الشَّبيهِ والنَّظيرِ أو النَّقيضِ للخبر عن الأولِ[5]؛ لتتحقق المناسبة المعنوية التي يصحُّ لأجلها عطف الجمل بعضها على بعض.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللُّغة، مادة (نسب)، وتاج العروس (٢٦٥/٤).

(٢) انظر: مِفتاح العلوم (٢٥٣، ٢٥٤)، والإيضاح (١٣٣/٣) وما بعدها.

(٣) البيت من قصيدته في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم، الديوان (٢٦٠/٢) التي مطلعها:

أسـقى طلولَهُـم أجـش هزيـم ... وغـدت عليهـم نضـرة ونعيـم

(٤) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٥)، ومِفتاح العلوم (٢٧١).

(٥) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٥).

وإذا كان درس الفصل والوصل مبنيّاً على العلم بما ينبغي أن يُصْنَعَ من عطف بعض الجمل على بعض، أو ترك العطف بينها، وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه البلاغة، فإنَّ ذلك كلَّه رهنٌ بتحقق المناسبة أو انتفائها بين الجمل، وهذا ما يبدو من تنظير البلاغيين للفَصْل والوَصْل على النحو الآتي:

عرَّف البلاغيون الفَصْل بأنَّه: تركُ العطف في الجمل، والمجيءُ بها منثورة، تُسْتَأْنَفُ واحدةٌ منها بعد أخرى(١)؛ لقوة الصِّلة المعنويَّة المحقِّقَة للربط بين الجمل، ولوجود علاقات منطقيَّة بينها، كالتَّوكيد والبدليَّة، والبيان، تجعلها مُستغنِيةً عن العطف، «فلا يكونُ فيها العطفُ البتَّةَ؛ لِشبْهِ العَطْفِ فيها - لو عُطِفَتْ - بعَطْفِ الشَّيْءِ على نَفْسِهِ»(٢)؛ وهذا هو «الفَصْل النَّحوي» المتمثل في ترك الرَّابط أو العاطف، وليس الفصل الدلالي؛ لأنَّك إنْ حاولتَ أن تُقحم عليها رابطاً، فإنَّك تُضعف نَسْجَها، وتُفقدها كثيراً من مقاصدها ودلالاتها(٣).

وقد يكون سبب الفَصْل عدم المناسبة بين الجُمل، كأن تكون الجملة «سبيلُها مع التي قبْلَها سبيل الاسم مع الاسم لا يكونُ منه في شَيْءٍ، فلا يكونُ إيَّاه ولا مشارِكاً له في معنىً، بل هو شَيْءٌ إذا ذُكِرَ لم يُذكَر إلا بأمرٍ يَنفردُ به، ويكونُ ذِكرُ الذي قبلَه وتَركُ الذِّكر سواء في حالِه؛ لعدم التعلُّق بينَه وبينَه رأساً، وحقُّ هذا تَرْكُ العطفِ البتَّةَ»(٤).

أمَّا الوَصْلُ فهو: «العلم بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجمل من عطف بعضها على بعض»(٥)، إذا ما جمعت المناسبة بينها.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٢)، وعروس الأفراح (٤٧٩/١).

(٢) انظر: دلائل الإعجاز (٢٤٣).

(٣) انظر: المقام بين النُّحاة والبلاغيين، دراسة في نحو النَّص (١٢٨)، د. إيهاب همَّام الشَّيوي، رسالة دكتوراه لم تطبع، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (ص١٢٩).

(٤) انظر: دلائل الإعجاز (٢٤٣).

(٥) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٢)، وانظر: عروس الأفراح (٤٨١/١).

هذا، وقد خصَّ البلاغيون باب الوصل «**بالواو**» دون سائر حروف العطف؛ لكونها «لا تُوجب إلَّا الإشراك بين الشَّيئَيْنِ فقط في حكمٍ وَاحِدٍ»(١).

قال سيبويه في ذلك: «ولم تُلْزِم (الواو) الشَّيئَيْن أَنْ يكون أحدُهما بعد الآخَر. ألا ترى أنَّك إذا قلتَ: مررتُ بزيدٍ وعمروٍ، لم يكن في هذا دليلٌ أنَّك مررتَ بعمروٍ بعد زَيدٍ»(٢).

أي: إن العطف بـ «الواو» لا يلزم التَّرتيب ولا التَّراخي ولا التَّعقيب الذي يتعلَّق بالفاء وبثم، وبأو(٣)، وما تثيره هذه الرَّوابط من تحريك الزَّمن وتمديده ووجوب المُهْلَة فيه. «وهذا قولُ الجمهور من أئمة العربية والأصول والفقه، ونصَّ عليه سيبويه في بضعَة عشر موضعاً في كتابه، ونقل أبو علي الفارسي اتفاقَ أئمة العربيَّة عليه، وهو المشهور الذي رجَّحَه المُحَقِّقون»(٤).

وقد تفاوتت نظرةُ كلٍّ من النُّحاة والبلاغيين والمفسرين إلى معنى المناسبة الذي يقعُ الإشراكُ بسببه بين الجمل عند تحليل التَّراكيب اللُّغويَّة المتعاطفة، فكان ثمرة ذلك اختلافهم في جواز عطف الخبر على الإنشاء، وعكسه.

١. المناسبة عند النُّحاة:

أجمع النُّحاة على إفادة «الواو» الإشراكَ بين المعطوف والمعطوف عليه في الحُكم الإعرابي، لكنهم اختلفوا في التَّوسع في فهم دلالة هذا الإشراك عند تعاطف الخبر والإنشاء، وذلك على فريقين:

---

(١) انظر: عِلَل النَّحو (٣٧٧/١)، وانظر: الكتاب (٤٣٧/١، ٤٣٨)، والمقتضب (١٠/١)، والأصول في النَّحو (٥٥/٢)، والمفصَّل في صنعة الإعراب (٤٠٣)، ومغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب (٤٦٣).

(٢) الكتاب (٢٩١/١)، وانظر: دلائل الإعجاز (٢٢٤).

(٣) انظر: الأصول في النَّحو (٧٦/٢).

(٤) انظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة (٦٧) وما بعدها، وانظر: دلائل الإعجاز (٢٢٤).

الفريق الأول: يرى عدم جواز عطف الخبر على الإنشاء وعكسه[1]؛ لأنَّه - فيما يرون - لا مشاكلة في المعنى أو اللَّفظ تقضي بعطف أحدهما على الآخر.

وقد وضع الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ) قاعدة في تعاطف الخبر والإنشاء عند توجيه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، يقول: «إذا رأيت الفعل منصوباً وبعده فعلٌ قد نُسِقَ عَلَيْهِ بواو، فإنْ كَانَ يُشاكِلُ معنى الفعل الذي قبله نسقتَه عليه، وإنْ رأيته غير مُشاكِلٍ لمعناهُ استأنفته فرفعته، رُفِعَتْ ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ﴾؛ لأنّها لا تُشاكِلُ ﴿أَن يَتُوبَ﴾، ألا ترى أَنَّ ضمَّك إيَّاهُمَا لا يَجوز، فاستأنفتَ أو رددتَه على قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾»[2].

وهذا التَّوَجُّهُ المبني على المناسبة الدلالية أو المخالفة نجده أيضاً عند السُّهيلي (ت: ٥٨١هـ) في رفضه عطف الدُّعاء على الخبر، «فلو قلتَ: مررتُ بزيدٍ وأَكْرَمَ اللهُ عمراً، لكان كلاماً غثّاً»[3]؛ لأنَّك تكون قد عطفتَ على الأول شيئاً ليس منه بسببٍ، ولا هو مِمَّا يُذْكَرُ بذِكْرِه، ويتَّصِلُ حديثُه.

ولذلك ذهب ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) إلى إبطال العطف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾ [الأنعام: ١٢١]؛ لتخالفِ الجملتين بالإنشاء وَالْخَبَر[4]. وهو يقصد من إبطال العطف بين الجملتين أن تكون (الواو) للاستئناف، وليس للعطف الذي يقضي بإشراك الثاني فِيما دخل فِيهِ الأول معنًى وحكماً.

ويبدو أنَّ هذا الفريق من النَّحاة لم يتوسَّع في طلب وجوه المشاكلة (المناسبة) التي يقعُ بسببها الإشراكُ بين الخبر والإنشاء؛ فمنعوا عطف الخبر على الإنشاء أو الإنشاء على الخبر؛ لغياب اتفاق المعاني وتناسب ألفاظها.

---

(١) أمثال: السُّهيلي (ت: ٥٨١هـ)، وابن عُصْفُور (م: ٥٩٧هـ)، وابن مَالك (ت: ٦٧٢هـ). انظر: مغني اللَّبيب لابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) (٤٧٠/١، ٥٥٤).

(٢) معاني القرآن (٦٨/٢).

(٣) انظر: نتائج الفكر في النَّحو (٤٤، ٤٥).

(٤) انظر: مغني اللَّبيب (٤٧٠، ٦٣٢).

أمَّا الفريق الثَّاني: وهم أكثر النُّحاة، فقد أجازوا تعاطف الخبر والإنشاء؛ إذا ما استقام المعنى، فإنْ اضطرب، كان الكلام خُلْفاً، وامتنع العطف فيه.

يقول سيبويه: «واعلم أنَّه لا يجوز: مَنْ عبد الله وهذا زيدٌ الرَّجُلين الصَّالحين. رفعتَ أو نصبتَ؛ لأنَّك لا تُثْنِي إلَّا على مَنْ أثبتّه وعلمتَه، ولا يجوز أن تَخلِط مَن تعلم ومَن لا تعلم، فتجعلهما بمنزلة واحدة، وإنَّما الصِّفة علَمٌ فيمَن قد علمتَه»(١).

ولم يكن إنكار سيبويه العطف لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء، وإنَّما كان لاضطراب المعنى الناتج عن تثنية (عطف) الصِّفة؛ إذ كيف تجمع في الوصف بين مَن تعلم ومَن لا تعلم؟!.

هذا، وقد وافقه أبو حيَّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، وتلميذه السَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) إذ ذهبا مذهبه في جواز عطف الجملة الطَّلبيَّة على الجملة الخبريَّة والعكس(٢)، مستدلَيْنِ بقول امرئ القيس:

وإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهرَاقَةٌ ... وهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِن مُعَوَّلِ؟(٣)

فقد عطف الاستفهام في الشَّطر الثَّاني على الخبر الشَّطر الأول.

وقد بنى بعضُ النُّحاة المجيزين لتعاطف الخبر والإنشاء رأيهم على فكرة تحويل تركيب الخبر إلى الطَّلب باستعمال أدوات مخصوصة، أو تنغيم معين، فرأوا أنَّ الإنشاء خبر في الأصل، فـ «معنى قولك «قُمْ»: أَطْلُبُ قِيامَك، وكذلك الاستفهامُ والنَّهي»(٤)، ومن ثم فلا إشكالَ عندهم في عطف أحدهما على الآخر؛ استناداً إلى أن الكلام كلَّه خبر في الأصل.

---

(١) الكتاب (٦٠/٢).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٧٩/١، ١٨٠)، الدُّر المصون (٢٠٨/١، ٢٠٩).

(٣) البيت من معلقة امرئ القيس. الديوان (١١١).

(٤) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٧٢/١).

٢. المناسبة عند البلاغيين:

شاع في الدَّرس البلاغي أنَّ الخبر والإنشاء لا يُعطف أحدهما على الآخر، وأنَّه - إنْ جاز ذلك لغةً - لا يجوز بلاغة[١]. وهو ما أشار إليه الإمام عبد القاهر في قوله: «لا يُعْطَفُ الخبرُ على الاستفهام»[٢]، إذْ لا مناسبة بينهما ولا جامع في ظاهر اللَّفظ، إلا أنَّهم - مراعاةً لصحة المعنى - أجازوا تعاطف الخبر والإنشاء في موضعين:

أحدهما: كمال الانقطاع مع إيهام خلاف المقصود:

ويُقصد به: الوَصْلُ بين الجملتين المختلفتين خبراً وإنشاءً؛ دفعاً لتوهم خلاف المقصود. وهو عكس الفَصْل للقطع والاستئناف، فالمقصود «بكمال الانقطاع» اختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً، أمَّا المقصود بقولهم: «مع الإيهام» يعني: أنَّ ترك العطف بينهما يؤدي خلاف المقصود.

ومرجع الإيهام أن يكون لإحدى الجملتين حُكْمٌ لا تريد أن تعطيه للأخرى، أو أن يكون عطفها على الأخرى يوهم العطف على غيرها[٣]، فيكون العدول عن الفَصْل إلى الوَصْل في مثل هذه الحالة؛ لغرض دلالي هو «أمن اللَّبس».

ومن شواهده قول البلغاء: «لا وأيَّدكَ الله»[٤]. وما رُوِي أنَّ رجلًا مرَّ بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه ثوب، فقال له أبو بكر: أتبيع الثوب؟، فقال: «لا عافاك الله»، فقال أبوبكر: لقد علمتم لو كنتم تعلمون، قل: «لا، وعافاك الله»[٥].

فالفصل في هذا وأمثاله قد يُفضِي إلى اللَّبس، فقد يُفهم من ظاهر اللَّفظ أنَّ الرَّجل يدعو على أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا يدعو له، وإنْ وَجَبَ اعتبار السِّياق، ومقتضى الحال، ونغمة الصَّوت في مثل هذا.

---

(١) انظر: عروس الأفراح (٤٩٦/١)، وانظر: المطول (٤٤٠).

(٢) دلائل الإعجاز (٢٣٣). لم يفصل الإمام عبد القاهر القول في هذه القضية على نحو شافٍ.

(٣) انظر: عروس الأفراح (٤٨٢/١).

(٤) انظر: الإيضاح (١٢٦/٣).

(٥) انظر: البيان والتَّبيين (٢١٩/١)، وانظر: الفصول المفيدة في الواو المزيدة (١٣٦).

ثانيهما: الوصل للتوسط بين الكمالين:

أطلق عبد القاهر على الوصل للتوسط بين الكمالين «العطف لما هو واسطةٌ بينَ الأمرينِ، وكانَ له حالٌ بينَ حالَيْن»(١).

ويشترط فيه وجود جهة جامعة بين الجملتين، كالتَّضاد، أو التَّناسب، أو غير ذلك(٢)؛ وإلا كان شأنهما شأن كمال الانقطاع؛ لأنَّه «لا يُتَصوَّرُ إشراكٌ بيَن شيئين حتَّى يكونَ هناك معنىً يقعُ ذلك الإشراكُ فيه»(٣). فالواو لا تجيءُ للعطف بين الجمل «حتَّى يكونَ المَعْنى في هذه الجملة لَفْقاً للمعنى في الأخرى ومُضَامّاً له»(٤).

ومن أمثلته التوسط بين الكمالين: أن تكون الجملتان إنشائيتين معنىً وإحداهما خبريَّة لفظاً، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، فقد عُطِفت جملة: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ الإنشائيَّة لفظاً ومعنىً، على جملة: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الخبرية لفظاً الإنشائية معنىً.

يقول أبو منصور الأزهري في معاني القراءات: «وكان في الأصل: (أن لا تعبدوا)، فلما حذف (أن) رفعَه»(٥) على تقدير: «وإذْ أخذنا ميثاق بني إسرائيل قائلين لهم: لا تعبدون إلا اللهَ، وهو إخبارٌ في معنى النَّهي، كما تقول: تذهب إلى فلان تقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنَّهي؛ لأنَّه كأنَّه سُورِعَ إلى الامتثال والانتهاء، فهو يخبر عنه»(٦)؛ ولذلك ضُمِّن الخبر في ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ معنى لا تعبدوا.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز (٢٤٣).
(٢) انظر: مفتاح العلوم (٢٢٩، ٢٣٣)، والإيضاح (١٢٧/٣) وما بعدها.
(٣) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٤، ٢٢٥).
(٤) المصدر السابق (٢٢٤).
(٥) معاني القراءات (١٦٠/١).
(٦) انظر: الكشاف (١٥٩/١).

ويؤيِّد ذلك «قراءةُ أُبَيٍّ، وابن مسعود: «لا تعبدوا إلا الله»، بالجَزْمِ على النَّهي، ويدل على أنَّها نَهْيٌ وجَزْمٌ أنه قال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، كما تقول: افعلوا ولا تفعلوا، أو لا تفعلوا وافعلوا»(١)، فلو لم يكن الخبر في معنى النَّهي لما حَسُنَ عطف الأمر عليه؛ لما بين الأمر والخبر المحض من التَّنافر، وليس كذلك الأمر والنَّهي؛ لالتقائهما في معنى الطَّلب. فالتَّناسب واضح في الآية الكريمة ما بين الأمر بعبادة الله تعالى، والإحسان إلى الوالدين وذي القُربَى، يعضده مجيء الأمر بإفراد الله تعالى وحده بالعبوديَّة مقروناً بالأمر ببرِّ الوالدين في غيرِ موضعٍ من القرآن الكريم(٢).

وإجازة البلاغيين تعاطف الخبر والإنشاء في هذين الموضعَيْنِ مبنيَّة على عنايتهم بصحة المعنى، ولذلك أَوْلَوا مسألةَ «الجامع» - وهو الوصف الذي يقرِّبُ بين الشَّيئَيْنِ ويقتضي بالجمع بينهما - عنايتَهم، فراح الإمام السَّكاكي (ت: ٦٢٦هـ) يفصِّل القول في أنواعه، إذ قسَّمه إلى جامع عقلي، وجامع وَهْمِي، وجامع خيالي(٣).

وهذه التقسيمات - رغم طابعها الفلسفي - شاخصة إلى المحافظة على صحة المعنى في الكلام؛ لأنَّكَ «إنْ جئتَ فعطفتَ على الأَوَّل شيئاً ليس منه بسببٍ، ولا هُوَ ممَّا يُذْكَرُ بذكرِه ويتَّصِلُ حديثُه بحديثِه، لم يستقِم، فلو قلتَ: «خرجتُ اليومَ من داري»، ثم قلتَ: «وأحسنَ الذي يقولُ بيتَ كذا»، قلتَ ما يُضْحَكُ منه»(٤). فالواجب أن تكون الحالُ التي عليها أحدُهما، مضمومة في النَّفسِ إلى الحالِ التي عليها الآخَرُ؛ ليسوغ قبولهما في الذوق والعقل.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٥٣/١)، وانظر: تفسير الطَّبري (٢٩٣/٢)، والكشاف (١٥٩/١)، والبحر المحيط (٤٥٧/١)، والدُّر المصون (٤٦٠/١١)، وشرح المطول (٤٥٣).

(٢) انظر: [النِّساء: ٣٦]، و[الأنعام: ١٥١]، و[الإسراء: ٢٣].

(٣) مِفتاح العلوم (٢٣٢) وما بعدها. فالجامع العقلي: يجمع فيه العقل بين الجملتين بسببه في القوة المفكرة. والجامع الوهمي: يجمع بين الشَّيئَيْنِ في القوة المفكرة جمعاً ناشئاً من جهة الوهم كالتَّضاد وشبه التَّماثل. والجامع الخيالي: يجمع بين الشَّيئَيْنِ في القوة المفكرة جمعاً ناشئاً من جهة الخيال كالتَّقارن.

(٤) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٤، ٢٢٥).

وهذا هو مفهوم المناسبة (الجامع) لدى البلاغيين، الذي قصروه على تناسب الجمل المتفقة في معنى الخبر أو الإنشاء من جهة التَّنظير، أمَّا من جهة التَّطبيق فقد عوَّلوا على مقام الكلام وسياقاته، ودلالات الأساليب في تضمين الخبر معنى الإنشاء أو الإنشاء معنى الخبر، وهو ما سوف نعرض في الفصل التَّطبيقي.

٣. المناسبة عند المفسرين:

توسَّع المفسرون في مسألة تعاطف الخبر والإنشاء في القرآن الكريم بالنظر في علاقات الجمل بعضها ببعض على مستوى النَّص؛ انطلاقاً من مقولة أنَّ القرآن جملة واحدة[١]. وقد ساعدهم منهجهم التَّحليلي على تأويل عدم المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء، استناداً إلى أسباب النزول، وسياق الآيات[٢]، أو التعويل على دلالات الأساليب، فإنْ حزَبَهم ما هدفوا إليه قالوا: بالعطف على التَّأويل، لا على التَّنْزِيل، أو بالعطف على المعنى لا على اللَّفظ[٣].

ويظهر لنا هذا في توجيه القرطبي (ت: ٦٧١هـ) لعطف الخبر على الإنشاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١، ٢].

يقول: «ومعنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ قَدْ شَرَحْنَا، الدَّلِيلُ على ذلك قوله في النَّسق عليه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، فهذا عطفٌ على التَّأويل، لا على التَّنْزِيلِ؛ لأنَّه لو كان على التَّنزيل لقال: وَنَضَعْ عَنْكَ وِزْرَكَ. فدَّل هذا على أن معنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾: قد شرحنا. و(لَمْ): جَحْدٌ، وفي الاستفهام بالهمزة طَرَفٌ من الجَحْدِ، وإذا وقع جَحْدٌ رجع إلى التَّحقِيق، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]. ومعناه: اللهُ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ. وكذا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. ومثله قول جرير يمدح عبدالملك بن مَرْوَانَ:

---

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٢١/٦).

(٢) انظر: الكشاف (١٠٤/١).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠٥/٢٠)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٢١/٦).

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بطون راح

المعنى: أنتم كذا[1]». ولو كان استفهاماً محضاً لم يكن مَدْحاً، ولكان قَرِيباً من الهجاء، وَلم يُعْطَ جرير على هَذَا البيت مائَة نَاقَة برعاتها[2].

إذن فتوجيه عطف الخبر على الإنشاء في آيتي سورة الشَّرح [١، ٢] يرجع إلى دلالة الاستفهام في الآية الأولى، لا إلى ظاهر لفظه؛ فقد خرج الاستفهام فيها إلى معنى النَّفي الدَّال على التَّحقيق والإيجاب، وهو ما حقق المناسبة المعنويَّة بينها وبين الآية الثانية الخبرية لفظاً ومعنىً، فصحَّ العطفُ بينهما.

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/١٠٥). والبيت في ديوان جرير (٧٧).

(٢) انظر: الجمل في النَّحو (٢٦٥).

الفصل الثَّاني
تأويلات المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في التَّطبيق

وقف البحث من خلال تنظير «مفهوم المناسبة» على أنَّها أساس باب الفَصْل والوَصْل، وأنَّه يترتب على وجودها أو غيابها قضايا تعاطف الخبر والإنشاء، وصحة المعنى، وتحقيق التَّماسك بين أجزاء الكلام.

وسوف نعرض في هذا الفصل التَّطبيقي لعطف الإنشاء على الخبر وعكسه بعضَ الآيات القرآنية؛ بغية الوقوف على وجوه المناسبة فيها، وذلك من خلال توجيه النُّحاة والبلاغيين والمفسرين وعلماء الوقف والابتداء للعطف فيها.

المبحث الأول: عطف الإنشاء على الخبر:

ورد عطف الإنشاء على الخبر في غير موضع من كتاب الله تعالى، ومن شواهده: [البقرة: ٢٤ - ٢٥، ١٠٢، ١٥٥، ١٨٩، ٢٢٢ - ٢٢٣]، [آل عمران: ١٢، ١٧٣]، [النِّساء: ١٩]، [التوبة: ١١٢]، [إبراهيم: ٢]، [مريم: ٤٦]، [النَّمل: ٩ - ١٠]، [الأحزاب: ٤٦ - ٤٧]، [الصَّف: ١٠ - ١٣]، [نوح: ٢٤].

قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ * وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٤ - ٢٥].

اختلف النَّحويون والبلاغيون والمفسرون في توجيه العطف في الآية الكريمة. فالزَّمخشري (ت: ٥٣٨هـ) - وهو ممَّن يشترطون التَّناسب اللَّفظي في العطف بين الجمل - يتجاوز القول بعطف الإنشاء على الخبر في الآيتين إلى القول بعطف مجموع هذي على مجموع تلك. يقول: «فإنْ قُلتَ: علام عُطِف هذا الأمرُ ولم يسبق أمرٌ ولا نهي يصحُّ عطفه عليه؟ قلتُ: ليس الذي اعتُمِدَ بالعطف هو الأمرُ حتَّى يُطلَب له مُشاكِلٌ من أمرٍ أو نهي يُعطَف عليه، إنَّما المُعتَمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي

معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: زيدٌ يُعَاقَب بالقيد والإرهاق، وبَشِّرْ عمراً بالعفو والإطلاق»[1]. ويمثل هذا العطف (عطف قصة على قصة) القائم على ربط المعطوف بالمعطوف عليه، أحدَ وجوه التَّماسك النَّصي في القرآن الكريم.

وفي توجيه آخر من الزَّمخشري يسعى فيه إلى تحقيق التَّناسب اللَّفظي بين المعطوف والمعطوف عليه في الآية الكريمة، نراه يلتمس للأمر في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أمراً مُشاكِلاً له يَصحُّ عطفُه عليه. فيقول: «ولك أن تقول: هو معطوف على قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبَشِّرْ يا فلان بني أسد بإحساني إليهم»[2].

وقد ضعَّف أبو حيان الأندلسي، والسَّمين الحلبي هذا التَّوجيه؛ «لأنَّ تبشيره للمؤمنين لا يترتب على قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾[3]»، هذا فضلًا عن اختلاف المخاطَب في كلا الجملتين.

كما يلتمس الزَّمخشري من القراءات القرآنية للآية الكريمة ما يُقوِّي رأيه في اشتراط التَّناسب اللَّفظي للعطف بين الجمل، فيقول: «وفي قراءة زَيْد بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَبُشِّرَ» على لفظ المبنيِّ للمفعول عطفاً على: ﴿أُعِدَّتْ﴾»[4].

فهو يعوِّل على هذه القراءة في إيجاد جهة جامعة للعطف تحقق المناسبة بين صيغتي الفعلين: (﴿أُعِدَّتْ﴾ و«وَبُشِّرَ»)؛ ليكون العطف عطفاً للخبر على رَسِيله، وليس عطفاً للإنشاء على الخبر، وهذا لا يتأتَّى من إعراب ﴿أُعِدَّتْ﴾ جملة حالية؛ لأنَّ المعطوف على الحال حالٌ مثله، وجملة ﴿وَبَشِّرِ﴾ لا تصلح للحالية[5].

---

(١) الكشاف (١٠٤/١).

(٢) الكشاف (١٠٤/١).

(٣) الدُّر المصون (٢٠٩/١).

(٤) الكشاف (١٠٤/١).

(٥) انظر: البحر المحيط (١٧٩/١)، والدُّر المصون (٢٠٩/١).

وهكذا بدا توجيه الزَّمخشري للعطف في الآية ضعيفاً عندما لجأ إلى التماس ما يحقق التَّناسب اللَّفظي بين الجملتين، بينما بدَا مقبولاً حينما نظر إلى مضمون الجملتين، الأمر الذي يؤكِّد ضعفَ رأيه في منع عطف الإنشاء على الخبر.

وقد اقتفى ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ) أثرَ الزَّمخشري في توجهه العطف في الآية الكريمة، حينما نظر إلى المعنى الحاصل منهما؛ ولكنه لجأ إلى تقدير يحقق من خلاله التَّناسب اللَّفظي بين الجملتين المعطوفتين؛ لأنَّه يشترط اتِّفَاقَ المعاني في العطف بين الجمل، فرأى أنَّ النَّظم في الآية «منظورٌ فيه إلى المعنى الحاصل منه، وكأنَّه قيل: وَالَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات لَهُم جنَّاتٌ فبشِّرْهم بذلك»[١]. ويكون الكلام على هذا التقدير من قبيل عطف الخبر على الخبر، وليس من قبيل عطف الإنشاء على الخبر.

أمَّا أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، وتلميذه السَّمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) فقد ذهبا إلى «أنَّ عطف الجمل بعضها على بعض ليس من شرطه أن تتفق معاني الجمل»[٢] في الخبرية والإنشائية؛ ولذلك قالا بجواز عطف الخبرية على غير الخبرية في قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ * وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مُسْتَدِلَّيْنِ بقول امرئ القيس:

وإنَّ شفائي عَبرةٌ مُهراقةٌ ... وهَلْ عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّل[٣]

وهو مذهب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) والجمهور؛ لأنَّهم شاخصون في عطف الجمل إلى اتِّساق المعنى الدلالي للتركيب كلِّه وصحته، وإنْ اختلفت معاني الجمل في الخبر والإنشاء، ومن ثم لم يشترطوا التناسب اللَّفظي للعطف بين الجمل.

أمَّا المفسرون فينظرون إلى مجمل المعنى في النَّظم القرآني بوَصْفِه جملة واحدة، فالآيات عندهم موصولة مع التي قبلها؛ لأنَّها جزء من كلٍّ متماسك. وهذا ما نلمسه في توجيه الطَّبري (ت: ٣١٠هـ) للعطف في الآية، فقد ربط بين معنى الآيتين [٢٤ - ٢٥]

---

(١) مغني اللَّبيب (٦٢٨).

(٢) البحر المحيط (١٧٩/١)، والدُّر المصون (٢٠٨/١).

(٣) انظر: البحر المحيط (١٧٩/١)، والبيت في ديوان امرئ القيس (١٥).

من سورة البقرة، فقال: «وهذا أمرٌ من الله تعالى لنبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإبلاغ بشارته خلقَه الذين آمنوا به وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبما جاء به من عند ربِّه، وصدَّقوا إيمانَهم ذلك وإقرَارهم بأعمالهم الصَّالحة، فقال له: يا محمد بَشِّرْ مَنْ صدَّقَك أنَّك رسولي، وأنَّ مَا جئتَ به من الهدى والنُّور فمن عندي، أنَّ له جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، خاصَّةً، دُون من كذَّبَ بك وأنكرَ ما جئته به من الهدى من عندي، فإنَّ لأولئك النَّارَ التي وقُودها النَّاسُ والحجارة»(١).

ووجهُ المناسبة والجامع بين الآيتين - فيما يبدو من كلام الإمام الطَّبري - التَّضاد المتمثل في الجمع بين التَّرهيب من عذاب الكافرين، والتَّرغيب في ثواب المؤمنين؛ لأنَّه لما بيَّن سبحانه في هذه الآية: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] ما أعدَّه للكافرين الذين قامت عليهم الحجة فجحدوا بها، أراد أن يبيِّن في هذه الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥] حالَ الذين ظهرَ لهم الدَّليل فآمنوا، ولاحَ لهم نور الهداية فاهتدوا، جرياً على سنَنِهِ المعهود من ذكر التَّرغيب مع التَّرهيب، وضمِّ البِشارة إلى الإنذار، والجمع بين الوَعْد والوعِيد والجنَّة والنَّار(٢).

إذن فالكلام متصلٌ، يأخذُ بعضه بحُجز بعض؛ ولذلك عطف جملة الأمر: ﴿وَبَشِّرِ﴾ الخبرية قبلها؛ لكونها متمِّمَة لفائدتها، إذْ من المناسبة بعد بيان جزاء الكافرين أن يُبيِّنَ جزاءَ المؤمنين، ولا سيما أن القرآن نظمٌ يُعتبرُ فيه حالُ المنظوم بعضُه معَ بعضٍ.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن (١/٣٨٣، ٣٨٤).

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/١٩٧).

وهذا ما أكَّده الإمام البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) بقوله: إنَّ المقصود بالعطف هنا هو «عطف حال مَنْ آمَنَ بالقرآن العظيم ووصف ثوابه، على حال مَنْ كَفَرَ به، وكيفيَّة عقابه على ما جرت به العادة الإلهية مِن أن يشفع التَّرغيبَ بالتَّرهيب؛ تنشيطاً لاكتساب ما يُنْجِي، وتثبيطاً عن اقتراف ما يُرْدِي»(١). فهذا دأب القرآن أبداً، إذا ذَكَرَ عقوبةَ الكفار، أتبعها بذكر ثواب المؤمنين؛ لتسكنَ إليه قلوبُهم، فتزول عنهم الوحشة؛ فيثبتوا على إيمانهم، ويرغبوا في ثواب ربِّهم.

وقد لفتَ أبو السعود العمادي (ت: ٩٨٢هـ) إلى هذا المعنى في تفسيره، فقال: «وكأنَّ تغيير السَّبْكِ؛ لتخييل كمالِ التَّباين بين حال الفريقين»(٢).

وهكذا يرى المفسرون أنَّ عطف الإنشاء على الخبر في الآية المباركة جاء موافقاً لأسلوب النَّظم القرآني، وطريقته في الجمع بين أساليب بعينها.

أمَّا البلاغيون فقد اعتمدوا في توجيه العطف في الآية المباركة على تقدير محذوف يصحُّ عطف الإنشاء عليه، وهم تَبَعٌ في ذلك لبعض النَّحويين المحكِّمين سلطة الإعراب، القائلين بمنع تعاطف الإنشاء والخبر(٣).

فالسَّكاكي (ت: ٦٢٦هـ) ينقل بعض توجيهات الزَّمخشري للعطف في الآية الكريمة فيقول: «وأمَّا قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد قوله: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ فيُعَدُّ معطوفاً على ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾(٤)، ثم يعمد إلى تقدير فعلِ قولٍ؛ ليصحَ عطف الأمر في الآية عليه، وهو كثيرٌ في القرآن كما يرى. يقول: «وعندي أنّه معطوفٌ على (قُلْ) مراداً قبل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ

(١) تفسير البيضاوي (٥٩/١).
(٢) تفسير أبي السعود (٦٧/١).
(٣) انظر: مفتاح العلوم (٢٥٩) في توجيه السَّكاكي للعطف في الآيات [النَّمل: ٨ - ١٠].
(٤) انظر: مِفتاح العلوم (٢٦٠).

﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]؛ لكون إرادة القول بواسطة انصباب الكلام على معناه غير عزيزة في القرآن»(١).

كما يلجأ الخطيب القزويني (ت: ٧٣٩هـ) في توجيه العطف في الآية إلى تقدير فعلٍ يدلُّ عليه ما قبله؛ ليتناسب عطف الأمر عليه، يقول: «والأقرب أن يكون الأمر في الآيتين معطوفاً على مُقَدَّرٍ يدلُّ عليه ما قبله، وهو في الآية الأولى: (فَأَنْذِر) أو نحوه؛ أي: فأنذرْهم وبَشِّرِ الذين آمنوا، وفي الآية الثَّانية: (فَأَبْشِرْ) أو نحوه؛ أي: فأبشِرْ يا محمد، وبشِّرِ المؤمنين»(٢).

إذن لم يوسِّع البلاغيون مفهومَ المناسبة والجامع؛ ليجاوزوا به أعطافَ الجُمل المتفقة في معنى الخبر أو الإنشاء إلى الجُمل المختلفة فيهما، ولو فعلوا، لوافق توجيههم للعطف في الآية المباركة توجيهَ المفسرين، ولا سيما أنَّ الآيتين يجمع بينهما التَّباين - التَّضاد - وهو أحد مظاهر الجامع الوهمي - المتمثِّل في الجمع بين التَّرهيب من عقاب الكافرين، والتَّرغيب في ثواب المؤمنين. ولَمَا تأوَّلُوا وقدَّروا هذا التَّقدير، ولأدركوا أنَّ الخبر عن الثَّاني (ثواب المؤمنين) ممَّا يَجْرِي مَجْرَى النَّقيضِ للخبر عن الأولِ (عقاب الكافرين)، ولعلموا أنَّ المُحدَّثَ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المُحدَّثِ عنه في الأخرى. وهذا من أقوى وجوه المناسبة التي تسوِّغ العطف بين الجُمل(٣).

ومثله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٩] أكثرُ النُّحاة على جواز الجزْمِ على النَّهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، وهو الأقوى عند الجمهور(٤)، وذهب كثيرٌ من المفسرين

(١) المصدر السابق (٢٦٠).

(٢) الإيضاح (١٣١/٣). ومثلها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

(٣) انظر: دلائل الإعجاز (٢٢٥).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٢٥٩/١)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠/٢)، والتبيان في إعراب القرآن (٣٤٠/١)، والبحر المحيط (٥٦٩/٣)، والدُّر المصون (٦٢٨/٣).

والنُّحاة إلى جواز عطفه على النَّفي السَّابق عليه ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، وجعل بعضُهم (لا) لتأكيد النَّفي(١).

قال أبو حيَّان الأندلسي: «وظاهر قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، أنَّ «لا» نَهْيٌ، فالفعل مجزومٌ بها، والواو عاطفةٌ جملة طلبيَّة على جملة خبريَّة»(٢)، ثم يشير إلى وجه المناسبة في عطف الإنشاء: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ على الخبر: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا﴾ في الآية الكريمة بقوله: «فَإِنْ قلنا: شرطُ عطف الجمل المناسبةُ، فالمناسبةُ أن تلك الخبريَّة تضمَّنت معنى النَّهي، كأنَّه قال: لا تَرِثوا النِّساءَ كَرهاً، فإنَّه غيرُ حَلالٍ لكم، ولا تَعضُلُوهُنَّ»(٣).

ووافقه السَّمين الحلبي في ذلك، وأشار إلى اشتراط البلاغيين وبعض النَّحويين توافق الجمل في العطف، فقال: «قوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فيه وجهان: أظهرهما أنه مجزومٌ بـ «لا» النَّاهية، عطف جملة نَهْي على جملة خبريَّة، فإنْ لم تُشترَط المناسبة بين الجمل كما هو مذهب سيبويه فواضح، وإنْ اشترطنا ذلك كما هو رأي بعضهم؛ فلأنَّ الجملةَ قبلها في معنى النَّهي، إذْ التَّقدير: لا ترثوا النِّساءَ كَرْهاً؛ فإنَّه غيرُ حَلالٍ لكم. وجعله أبو البقاء على هذا الوجه مُستأنَفاً، يعني أنَّه ليس بمعطوفٍ على الفعل قبله»(٤).

ولا ينبغي أن تحجِبَنا قناعتُنا بالإعراب عن النَّظر في مقتضَى حالِ الآيات، كأسباب النزول؛ لأنَّه «لن يُتصوَّرَ أن يكونَ لِلفظةٍ تعلُّق بلفظةٍ أُخرى من غير أن يُعتَبر حال معنى هذا مع معنى تِلكَ، ويُراعى هناك أمرٌ يصلُ إحداهما بالأُخرى»(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠/٢)، والكشاف (٤٩٣/١)، وتفسير الراغب الأصفهاني (١١٥٠/٣)، ومفاتيح الغيب (١١/١٠)، وتفسير البيضاوي (٦٦/٢)، وتفسير النَّسفي (٣٧٦/١)، وتفسير النيسابوري (٣٧٦/٢)، وروح المعاني (٤٥٠/٢).

(٢) البحر المحيط (٥٦٩/٣)، والدُّر المصون (٦٢٨/٣).

(٣) البحر المحيط (٥٦٩/٣)، وانظر: تفسير القرطبي (٩٤/٥).

(٤) الدُّر المصون (٦٢٨/٣).

(٥) انظر: دلائل الإعجاز (٤٠٦).

فقد رُوِي عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في أسباب نزول هذه الآية الكريمة: أنَّهم كانوا إذا مَاتَ الرَّجلُ كان أولياؤه أحق بامرأته؛ إنْ شَاءَ بعضُهم تزوجَها، وإنْ شَاءوا زَوَّجوها، وإنْ شَاءوا لم يُزوِّجوها، وهم أحقُّ بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك(١).

وقد تواترت أقوال النُّحاة والمفسرين في دلالة الخبر في الآية: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ على النَّهي، قال الحسن: «هو نهيٌ لوليِّ الزَّوج الميتِ أن يمنعها من التَّزويج على ما كان عليه أمر الجاهلية»(٢)، وقال الطَّبري: «ووُجِّه الكلامُ إلى النَّهي عن وراثة النِّساء؛ اكتفاءً بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام، إذْ كان مفهوماً معناه عندهم»(٣).

ولم يردْ عن علماء الوقف والابتداء وجوب الوقف (الفَصْل) على الخبر دون الإنشاء في هذا الموضع؛ وإنَّما ورد عنهم ترجيحُ الوصل على الفَصْل فيه، ويؤكِّد ذلك وضعهم علامة (صلے) التي تفيد بأنَّ الوصل أَوْلَى من الوقف؛ لتعلُّق الثَّانية (الطَّلبيَّة) بالأُولى (الخبريَّة) لفظاً ومعنىً. وفي ذلك دليل على ما يُقوِّي صحةَ عطف الإنشاء على الخبر في الآية الكريمة.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧].

وهكذا عوَّل النُّحاة والمفسرون في استنباط المناسبة على النَّظر في دلالة كلٍّ من الخبر والإنشاء، وما قد يتضمَّنه الخبر من معنى الإنشاء والعكس، كما عوَّلوا على قرائن المقام، كأسباب النزول التي قد ترجِّح تضمُّن الخبر معنى الإنشاء وعكسه، هذا فضلاً عن اعتبار رأي علماء الوقف والابتداء في مثل هذه المواضع - وهم أولو الأيدي

(١) انظر: أسباب نزول القرآن (١٤٧).
(٢) انظر: أحكام القرآن (٤٦/٣)، وانظر: الكشاف (٤٩٠/١).
(٣) تفسير الطَّبري (١٠/٨، ١٠٩).

والأبصار في هذا الباب - الذين التزموا إيراد هذه الوقوف؛ لدقة مسلكها، وقد فعلوا هذا بحسب الصِّياغة وما هم فيه بطرق الصِّناعة، وكلٌّ من الفريقين تابعٌ لارتباط المعنى بالمعنى، وانفصاله عنه بالكل أو بالبعض[1].

المبحث الثَّاني: عطف الخبر على الإنشاء:

ورد عطف الخبر على الإنشاء في غير موضع من كتاب الله تعالى، نذكر منها هذه المواضع: [المائدة: ٦٤]، [الأنعام: ٧٢، ١٠٢، ١٢١]، [الأعراف: ٨٩]، [التَّوبة: ٥٢]، [النُّور: ٥٧]، [فاطر: ٣٧]، [الزُّخرف: ١٣، ١٤]، [الضُّحى: ٦ - ٨]، [الشَّرح: ١ - ٢]، [الفيل: ٢، ٣].

قال الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧].

استبعد العطفَ في الآية الكريمة جماعةٌ ممّن لا يرون عطفَ الخبر على الإنشاء؛ لكون ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ نَهْياً، ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ جُمْلَةً خَبَرِيَّةً، فَلَمْ يُنَاسِبْ عِنْدَهم أَنْ تُعْطَفَ الْجُمْلَةُ الْخَبَرِيَّةُ عَلَى جُمْلَةِ النَّهْيِ؛ لِتَبَايُنِهِمَا في المعنى؛ ولذلك كان الفَصْلُ عندهم على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾. فقال مَكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ): «ومعنى الآية: لا تَحسبنَّ يا محمد الذين كفروا معجزين في الأرض إذا أراد الله هلاكهم، وتَمَّ الكلام على ﴿ٱلْأَرْضِ﴾. ثم ابتدأ بخبرٍ آخر عن عاقبة أمرهم، فقال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾. قيل: هو معطوف على محذوف تقديره: بل هم تحت القُدرة ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ بعد هلاكهم»[2]. فتكون جملة: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ لا محلَّ لها من الإعراب معطوفة على استئنافٍ مُقَدَّر، أي: بل هم تحت القُدرة، أو بل هم مقهورون ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾.

وذهب الزَّمخشري إلى شيء من هذا، فقال: «وعطف قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ﴾ على ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ﴾، كأنّه قيل: الذين كفروا لا يفوتون الله ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ

(١) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٥/١).
(٢) الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه (٥١٤٦/٨).

النَّارُ﴾»[1] فتأوَّل جملةَ النَّهي ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ بجملة خبريَّة دالَّة على النَّفي؛ حتَّى تقع المناسبة. إذ المقصود بالنَّهي عن الحسبان تحقيقُ نفي الحسبان، كأنَّه قيل: الذين كفروا ليسوا معجزين ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾[2]. وتشير دلالة النَّهي على النَّفي إلى المبالغة في التَّحقيق، وأنَّ ذلك معلوم لهم لا ريب، فهو عطف على المعنى بقصد بيان الارتباط والمناسبة بين الجملتين في الآية الكريمة.

أمَّا منَ لا يرون المناسبة شرطاً في عطف الخبر على الإنشاء وعكسه، فذهبوا إلى عطف جملة الخبر في الآية الكريمة على جملة النَّهي قبلها من غير تأويل ولا إضمار؛ لأنهم لا يشترطون توافق المعنى في عطف الجمل. «بل يجوز عطف الجمل على اختلافها بعضاً على بعض، وإنْ لم تتحد في النَّوعية، وهو مذهب سيبويه»[3].

أمَّا علماء الوقف والابتداء فيرون جواز الوقف على ﴿الْأَرْضِ﴾، ووضعوا العلامة الدالة على ذلك (ج)؛ «لانقطاع النَّظم مع اتِّحاد المقول»[4]، وهو وقفٌ صالحٌ عند بعضهم[5].

ومن الآيات التي ورد فيها عطف الخبر على الإنشاء كذلك، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١، ٢].

وجَّه كثيرٌ من المفسرين العطفَ في الآية الكريمة بأنَّه عطفٌ على التَّأويل لا على التَّنزيل.

قال القرطبي: «ومَعْنَى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ قَدْ شرحنا، الدَّليل على ذلك قوله في النَّسَق عليه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾، فهذا عطفٌ على التَّأويل لا على التَّنزيل؛ لأنَّه لو

(١) الكشاف (٢٥٢/٣)، وانظر: تفسير البيضاوي (١١٣/٤)، وتفسير النَّسفي (٥١٧/٢).
(٢) انظر: روح المعاني (٣٩٩/٩)، والبيضاوي (١١٣/٤)، والنَّسفي (٥١٧/٢)، وأبو السعود (١٩٢/٦).
(٣) انظر: البحر المحيط (٦٧/٨)، وانظر: الدُّر المصون (٤٣٧/٨).
(٤) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢٠٨/٥).
(٥) انظر: المقصد لتلخيص ما في المُرشِد (٦١).

كان على التَّنزيل لقال: ونضعْ عنك وزرَك. فدلَّ هذا على أن معنى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ قد شرحنا»[1]؛ لأنَّ ألف الاستفهام معناها التَّوقيف على النِّعم والآلاء التي سبقَ ذكرُ بعضها في السورة السابقة عليها في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۞ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ - ٨]، فبدخول ألف الاستفهام على النَّفي لم يعد الأسلوب أسلوب نفي ولا استفهام؛ لأنَّ أداة النَّفي مستعملة مع الاستفهام لتحقيق غرض جديد هو التَّقرير؛ ولذلك «عطف عليه: ﴿وَوَضَعْنَا﴾ اعتباراً للمعنى»[2]، وهو جائز عند جمهور النُّحاة[3].

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧] فعطفَ الخبر ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ على معنى الاستفهام ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾؛ لأنَّ «معنى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ﴾، قَدْ عَمَّرْنَاكُمْ، فلفظه لفظ استخبار، ومعناه معنى إخبار، كأنَّه قيل: قد عمَّرناكم وجاءكم النَّذير»[4].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] اختلف النُّحاة والمفسرون في توجيه عطف الخبر ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ على الإنشاء ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟﴾. فذهب مَنْ لا يرى عطف الخبر على الإنشاء إلى القول باستئناف جملة ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ أو بأنَّها حاليَّة[5]، في حين ذهب شيوخ النُّحاة والمفسرون إلى القول بعطفها على ما قبلها ولا يبالى بتخالفهما، وهو مذهب سيبويه والجمهور[6].

---

(١) تفسير القرطبي (١٠٥/٢٠)، وانظر: تفسير النَّسفي (٦٥٦/٣).

(٢) انظر: الكشاف (٧٧٠/٤)، وانظر: البحر المحيط (٤٩٩/١٠)، والدُّر المصون (٤٣/١١).

(٣) انظر: مغني اللَّبيب (٢٥).

(٤) انظر: الكشاف (٦١٦/٣)، والبحر المحيط (٣٧/٩)، والدُّر المصون (٢٣٧/٩)، وتفسير أبي السعود (١٥٤/٧)، والتَّحرير والتَّنوير (٣١٩/٢٢).

(٥) انظر: تفسير أبي السعود (١٨٠/٣)، وتفسير الآلوسي (٢٥٩/٤)، ومحاسن التَّأويل (٤٧٨/٤).

(٦) انظر: الدُّر المصون (١٣١/٥).

وقد يتأسس على القول بعدم جواز عطف الخبر على الإنشاء حكمٌ فقهي يختلف عن الحكم حال العطف، كما في الآية التي معنا، فالفَصْلُ (الوَقْفُ) على قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ﴾ يدلُّ عند الحنفيَّة على النَّهي عن الأكلِ مُطلقاً من متروك التَّسمية عمداً[1]؛ لأنَّهم جعلوا «الواو» في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ﴾ للحال وليست للعطف؛ لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء. ومن ثم «تكون جملة الحال مُقَيِّدة لِلنَّهْيِ، والمعنى: لا تأكلوا منه في حال كونه فسقاً»[2].

إذن استنَدَ المفسرون إلى التَّوجيه الدلالي لأسلوبي النَّهي والاستفهام في الآيات السابقة؛ لتحقيق المناسبة التي تسوِّغ عطف الخبر على الإنشاء؛ فلما كان النَّهي دالاً على النَّفي في آية سورة النُّور صحَّ عطف الخبر عليه، ولما كان الاستفهام دالاً على التَّقرير في آيتي سورتي الشَّرح وفاطر، صحَّ عطف الخبر عليه كذلك.

وهكذا يكون النَّظر في مقام الكلام وسياقاته، ودلالات الصِّيغ والتَّراكيب من وسائل الوقوف على المناسبة والجامع في تعاطف الخبر والإنشاء.

(١) انظر: أحكام القرآن (١٧٢/٤)، وانظر: الوقف القرآني وأثره في الترجيح عند الحنفية (٧١، ٧٣).
(٢) انظر: روح المعاني (٢٦١/٤).

خاتمة

وبعد، فقد خلص البحث إلى عدة نتائج، أهمها:

- منع البلاغيون تعاطف الخبر والإنشاء؛ لعدم التَّناسب بين معاني الجُمل، ومن ثمَّ اقتصر مفهوم المناسبة لديهم على الجُمل المتفقةِ في معنى الخبر أو الإنشاء.
- يُقصد بمفهوم المناسبة عند النُّحاة الذين أجازوا تعاطف الخبر والإنشاء، المناسبة في المعنى الدلالى الذي يُفْهم من عموم التَّركيبَيْنِ الخبري والإنشائي في سياقهما، إذ يقوم على صحة المعنى الدلالي، وليس على المعنى النَّحوي للخبر والإنشاء.
- عوَّل جمهور المفسِّرين على التَّوجيه الدلالي للأساليب الإنشائيَّة، وعلى أسباب النزول في تحقق المناسبة في تعاطف الخبر والإنشاء، فإنْ لم يُتِحْ لهم السِّياق ذلك؛ قالوا بالعطف على التَّأويل لا على التَّنزيل اعتباراً للمعنى.
- إنَّ سيطرة فكرة العَامل النَّحوي، ومفهوم التَّشريك في الحكم الإعرابي الذي يفيده العطف بالواو دفع بعض النَّحويين إلى القول بعدم جواز تعاطف الخبر والإنشاء.
- دلَّ التَّماسكَ النَّصِّي وتعلُّق الكَلِم بعضه ببعض في النَّظم القرآني على صحة تعاطف الخبر والإنشاء في آيات القرآن الكريم. وقد أكَّد هذا المعنى علماءُ الوقف والابتداء بما وضعوه من علامات تدلُّ على جواز تعاطفهما، وكذلك علماء التَّفسير، وجمهور النُّحاة.
- لم تفسرِ القواعد التي وضعها البلاغيون كلَّ ما ورد في كتاب الله تعالى من فصل ووصل؛ مِمَّا حدا بهم إلى التَّأويل حِفاظاً على اطراد قواعدهم.
- كان لتعلق الكلام الموقوف عليه بما بعده في اللَّفظ والمعنى أثرٌ في تحديد نوع الفَصْل (الوقف) على الكلمة القرآنيَّة.
- أدَّى اختلافُ النُّحاة والبلاغيين والمفسرين في توجيه العطف في الجمل الخبريَّة والإنشائيَّة إلى اختلاف الفقهاء في استنباط الأحكام الفقهيَّة من بعض الآيات القرآنيّة.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **أحكام القرآن**: أحمد بن علي أبو بكر الجصَّاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، لبنان (١٤٠٥هـ).

٣. **أسباب نزول القرآن**: علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (ط٢)، دار الإصلاح، الدَّمَّام، المملكة العربية السعودية (١٩٩٢م).

٤. **الأصول في النَّحو**: أبو بكر محمد بن سهل بن السرَّاج البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، (ط٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٥. **الإعجاز في نسق القرآن - دراسة للوصل والفصل بين المفردات**: د. محمد الأمين الخضري، (ط١)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).

٦. **الإيضاح في علوم البلاغة**: محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، (ط٣)، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٧. **البحر المحيط في التفسير**: أبو حَيَّان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت (١٤٢٠هـ).

٨. **البيان والتَّبيين**: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت (١٤٢٣هـ).

٩. **بلاغة أسلوب الفصل والوصل في القرآن الكريم**: دكتورة مسرت جمال، مجلة الدَّاعي، دار العلوم ديوبند، العدد السادس، السنة الرابعة والثلاثين، جمادى الثانية (١٤٣١هـ= مايو - يونيو ٢٠١٠م).

١٠. **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي، مراجعة: د. عبد اللَّطيف الخطيب، صدر عن سلسلة التراث العربي، طبع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب دولة الكويت (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١١. **التبيان في إعراب القرآن**: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٢. **التَّحرير والتَّنوير**: محمد الطّاهر بن عاشور، الدَّار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤).
١٣. **تفسير البيضاوي**: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤١٨هـ).
١٤. **تفسير أبي السعود**: أبو السعود العمادي محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
١٥. **تفسير الراغب الأصفهاني**: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، (ط١)، الناشر كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر (١٤٢٠هـ).
١٦. **تفسير الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١)، مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
١٧. **تفسير القرطبي**: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (ط٢)، دار الكتب المصرية، القاهرة (١٣٨٤هـ).
١٨. **تفسير النَّسفي**: عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه: محيي الدين ديب مستو، (ط١)، دار الكلم الطيب، بيروت (١٩٩٨م).
١٩. **الجمل في النَّحو**: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. فخر الدين قباوة، (ط١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (١٤٠٥هـ).
٢٠. **حاشية الشِّهَاب**: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
٢١. **حاشية الصَّبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**: محمد بن علي الصبان، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٧هـ).
٢٢. **الدُّر المصون في علوم الكتاب المكنون**: السَّمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (ط١)، دار القلم، دمشق، سورية (١٩٨٦م).
٢٣. **دلائل الإعجاز**: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، (ط٣)، مطبعة المدني، القاهرة (١٩٩٢م).

٢٤. **ديوان امرئ القيس**: ضبطه وصحَّحَه: مصطفى عبد الشافي، (ط٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

٢٥. **ديوان جرير**: دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

٢٦. **روح المعاني في تفسير القرآن**: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٥هـ).

٢٧. **شرح ألفية ابن مالك**: بدر الدين حسن بن قاسم، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (ط١)، دار الفكر العربي، القاهرة (٢٠٠٨م).

٢٨. **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**: علي بن محمد بن عيسى الأشْمُوني، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٢٩. **شرح التَّصريح على التَّوضيح**: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٣٠. **شرح ديوان أبي تمام للخطيب التبريزي**: قدّم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، (ط٢)، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

٣١. **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**: عبد الله بن يوسف بن هشام، تحقيق: عبدالغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سورية، بدون تاريخ.

٣٢. **شرح المطول**: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (ط٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م).

٣٣. **شرح المفصَّل للزمخشري**: ابن يعيش بن علي أبي السرايا محمد، قدَّم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (٢٠٠١م).

٣٤. **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**: محمد عبد العزيز النَّجار، (ط١)، مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

٣٥. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المِفتاح**: بهاء الدِّين السُّبكي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، (ط١)، المكتبة العصرية صيدا، لبنان (١٤٢٣هـ).

٣٦. **عِلَل النَّحو**: محمد بن عبد الله بن العباس بن الورَّاق، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، (ط١)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية (١٤٢٠هـ).

٣٧. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٦هـ).

٣٨. **فتح القدير**: محمد بن علي بن محمد الشَّوكاني، (ط١)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت (١٤١٤هـ).

٣٩. **الفصول المفيدة في الواو المزيدة**: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي، تحقيق: حسن موسى الشاعر، (ط١)، دار البشير، عمان (١٤١٠هـ).

٤٠. **الفصل والوصل في القرآن الكريم**: د. منير سلطان، (ط٢)، منشأة المعارف، الإسكندرية (١٩٩٧م).

٤١. **الفصل والوصل في القرآن الكريم**: د. شكر محمود عبد الله، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمَّان، الأردن (٢٠٠٩م).

٤٢. **الكتاب**: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط٣)، مكتبة الخانجي، القاهرة (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

٤٣. **الكشاف عن حقائق غوامض التَّنزيل**: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ط٣)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (١٤٠٧هـ).

٤٤. **اللُّباب في علوم الكتاب**: عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي محمد معوض، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٤٥. **محاسن التَّأويل**: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسِمي، تحقيق: محمد باسل عيون السُّود، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٨هـ).

٤٦. **المقصد لتلخيص ما في المُرشِد**: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، (ط٢)، دار المصحف (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٤٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٢٢هـ).

٤٨. **معاني القراءات للأزهري**: محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور، (ط١)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية (١٤١٢هـ).

٤٩. **معاني القرآن**: أبو زكريا يحي بن زياد الفرَّاء، تحقيق: أحمد يوسف النَّجاتي، وآخرون، (ط١)، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، بدون تاريخ.

٥٠. **معاني القرآن وإعرابه**: أبو إسحاق الزجَّاج إبراهيم بن السري بن سهل، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، (ط١)، عالم الكتب، بيروت، لبنان (١٤٠٨هـ).

٥١. **معجم مقاييس اللُّغة**: أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سورية (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٥٢. **مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام عبد الله بن يوسف، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، (ط٦)، دار الفكر، دمشق (١٩٨٥م).

٥٣. **مفاتيح الغيب**: محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرَّازي، (ط٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١٤٢٠هـ).

٥٤. **مِفتاح العلوم**: يوسف بن أبي بكر بن محمد السَّكاكي، ضبطه وعلَّق عليه: نعيم زرزور، (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤٠٧هـ).

٥٥. **المفصَّل في صنعة الإعراب**: محمود بن عمرو بن أحمد الزَّمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، (ط١)، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان (١٩٩٣م).

٥٦. **المقتضَب**: أبو العباس المبرد محمد بن يزيد الأزدي، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٥٧. **المقام بين النُّحاة والبلاغيين - دراسة في نحو النَّص**: رسالة دكتوراة للدكتور: إيهاب همَّام الشِّيوي، (مخطوط) بكلية دار العلوم بالقاهرة (١٤٣١هـ- ٢٠٠٩م).

٥٨. **المكتفى في الوقف والابتدا**: أبو عمرو الدَّاني عثمان بن سعيد بن عمر، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (ط١)، دار عمار، عمَّان (١٤٢٢هـ).

٥٩. **مواهب الفتاح**: أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي، (ط١)، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة (١٣١٨هـ).

٦٠. **الوقف القرآني وأثره في التَّرجيح عند الحنفيَّة**: عزت شحاتة كرار، (ط١)، موسسة المختار، القاهرة (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٦١. **نتائج الفكر في النَّحو**: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهيلي، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

٦٢. **النَّشر في القراءات العشر**: ابن الجزَري محمد بن محمد بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضبَّاع، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٣. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**: مَكي بن أبي طالب القيسي، (ط١)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة (١٤٢٩هـ).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٩
المقدمة	٢٠
الفصل الأول: إشكاليّة المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في النَّظريَّة	٢٣
١. المناسبة عند النُّحاة	٢٥
٢. المناسبة عند البلاغيين	٢٨
٣. المناسبة عند المفسرين	٣١
الفصل الثَّاني: تأويلات المناسبة الدلالية لتعاطف الخبر والإنشاء في التَّطبيق	٣٣
المبحث الأول: عطف الإنشاء على الخبر	٣٣
المبحث الثَّاني: عطف الخبر على الإنشاء	٤١
خاتمة	٤٥
المصادر والمراجع	٤٦
فهرس الموضوعات	٥٢

تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن في آيات الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان جمعاً ودراسة

د. هند بنت إبراهيم الشُّوَيْجري (*)

ملخص البحث

قد هدفت من هذا البحث إلى تأكيد أصالة هذا النوع من أنواع التفسير، كما هدفت إلى التعرف على منهج عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن بالقرآن من خلال تطبيقاته، وإلى التعرف على أكثر أنواع تفسير القرآن بالقرآن وروداً في تطبيقاته، واتَّبعت في ذلك المنهج الاستقرائيّ التحليليّ الاستنباطيّ.

وخرجتُ من هذا البحث بجملة من النتائج، منها: أن تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن بالقرآن من أغنى تفاسير السلف في هذا النوع من التفسير، وأنه أحد أهمِّ الذين أصَّلوا له، من خلال كثرة تطبيقاته له من جهة، وتنوعها وصحة التفسير بها في الغالب من جهة أخرى.

وخلص البحث إلى جملة من التوصيات من أهمها: إكمال هذا المشروع الذي ابتدأته، ليخرج متكاملاً يفيد القراء والباحثين، والدعوة إلى دراسة تطبيقات المفسرين لهذا النوع من التفسير على المفردة القرآنية، والمقارنة بينها من خلال السياقات القرآنية المختلفة لضبط كثير من المفردات القرآنية، ومعرفة الفروق اللغوية بينها، والدعوة إلى دراسات نقدية بين التفاسير التي تعتمد هذا اللون من البيان، للكشف عن مدى تقيدها بمفهومه، والتزامها بضوابطه.

وختاماً أسأل الله القبول، والحمد لله رب العالمين.

(*) الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات القرآنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة طيبة.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، أحمده سبحانه أنزل كتابه يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها السلامة يوم القدوم عليه جوداً منه وكرماً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى جميع الخلق عرباً وعجماً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره، وسار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن أجلَّ علم صُرفت فيه الهمم علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره؛ لذا عكف سلفنا الصالح منذ العقد الأول على تدبر آياته وتفهم معانيه؛ لاستخراج دُرره وكشف كنوزه، وقد وضع المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاعل على طريق الفهم للقرآن، فكان يستلهم هديه من آياته، إذ القرآن يفسِّر بعضه بعضاً، ولا شكَّ أن طلب البيان من القرآن نفسه هو من أشرف أنواع التفسير وأجلِّها، فلا أحد أعلم بمراد الله تعالى من كلامه منه جَلَّ جَلَالُهُ. وقد تتابعت أقوال العلماء على أهميته وعلوه على سائر طرق تفسير القرآن، ومن ذلك أن الإمام الشافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ جعله النوع الأول من أنواع البيان[1]، وسُئل ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن أحسن طرق التفسير، فقال: «والجواب: أن أصحّ الطرق في ذلك أن يفسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فسِّر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»[2]. وقال ابن القيِّم: «وتفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير»[3]. وحكى الشنقيطيُّ في الأضواء إجماع العلماء على أنه أشرف أنواع التفسير وأجلُّها[4]، ويرى

(١) الرسالة (٢٧).
(٢) مقدمة في أصول التفسير (٣٩).
(٣) التبيان في أقسام القرآن (١٨٧).
(٤) انظر: أضواء البيان (٧/١).

الدكتور الذهبيُّ أن تفسير القرآن بالقرآن مرحلة تتقدم غيرها من مراحل التفسير فقال: «ولا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها إلى مرحلة أخرى؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره»(١).

وقد أُثر عن المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن صحابته الأجلاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وتابعيهم وتابعي تابعيهم آثارٌ عديدةٌ في تفسير القرآن بالقرآن، وسأستمد العون والتوفيق من الله في جمع تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان للإمام محمد بن جرير الطبريّ.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

اخترت هذا الموضوع للبحث فيه لأسباب منها:

١. كون هذا النوع من التفسير أعلى مراتب التفسير وأشرفها.
٢. لتأكيد أصالة هذا العلم من خلال إبراز جزء من التفسير المأثور فيه.
٣. الرغبة في معايشة تفسير أحد السلف المكثرين من تفسير القرآن بالقرآن، عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، ومحاولة فهم منهجه التطبيقي في تفسير القرآن بالقرآن.
٤. ثم إنّ طلب البيان بالقرآن، واستنباط علاقة الآية المفسِّرة بالآية المفسَّرة لا يتأتى إلا من خلال التفكر والتدبر في آي الكتاب الكريم، وذلك لا شكّ مقصود عظيم.

وأما **اختياري لجامع البيان** ليكون موضعاً لقصر المرويات عليه، فللأسباب التالية:

---

(١) التفسير والمفسرون (٣١/١). قلت: ليس على الإطلاق، فورُود تفسير القرآن بالقرآن عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبلغ من وروده عن غيره؛ لأن ما صح مما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي يجب قبوله. أما ورود تفسير القرآن بالقرآن عن غير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه قد قيل باجتهاد المفسر صحابياً كان أو تابعياً أو دون ذلك، فإن ورد عن صحابيّ فحكمه حكم تفسير الصحابيّ، وإن ورد عن تابعيّ فحكمه حكم تفسير التابعيّ.

١. مكانة المصنِّف العلمية.

٢. قيمة المصنَّف العلمية؛ إذ هو من أهم كتب التفسير وأعظمها مكانة، فقد قال السيوطيُّ: «أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله»[١].

٣. لعنايته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر الآثار مسندة، مما يمكِّن من تمييز الصحيح من غيره.

وأما **اختياري لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم** لجمع تفسيره في هذا النوع من البيان ليكون مادة لهذا البحث، فللأسباب التالية:

١. لكون تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أغنى تفاسير السلف في هذا النوع من التفسير.

٢. ولكثرة تطبيقاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا النوع من التفسير من جهة، وتنوعها وصحة التفسير بها في الغالب من جهة أخرى.

أهداف هذا البحث:

قصدتُ من هذا البحث إلى جمع تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان، ودراستها، وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

١. تأكيد أصالة هذا النوع الشريف من أنواع التفسير.

٢. التعرف على منهج عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير القرآن بالقرآن من خلال تطبيقاته.

٣. التعرُّف على أكثر أنواع تفسير القرآن بالقرآن وروداً في تطبيقاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود علمي ومن خلال بحثي في قواعد البيانات للمكتبات والمراكز العلمية، على دراسة تناولت حدود البحث الذي أريد تناوله من خلال جمع تفسير عبدالرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في آيات الحزب الأول من القرآن.

---

(١) الإتقان (٤/٢٤٤).

نعم ثمة رسائل علمية اعتنت بجمع تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بالجملة، فقد جُمع في خمس رسائل دكتوراه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وما قمت به مخصوص بجمع تطبيقاته لتفسير القرآن بالقرآن ودراستها.

ومن جهة أخرى ثمة مصنفات ورسائل اعتنت بموضوع تفسير القرآن بالقرآن تأصيلاً وتطبيقاً، ومنها:

- مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن، للأمير الصنعاني.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- تفسير القرآن بكلام الرحمن، لثناء الله الهندي.

وجميعها اعتنى بالجانب التطبيقي لتفسير القرآن بالقرآن من خلال اجتهاد المصنِّفين لتفسير القرآن بالقرآن.

- تفسير القرآن بالقرآن، دراسة تاريخية ونظرية، رسالة دكتوراه للباحث د. محمد قجويّ.
- تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، د. أحمد البريدي.
- تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم، د. محسن المطيري.

وجميع الدراسات الثلاث تعنى بالجانب التأصيلي والنظري وبيان الخطأ في مثل هذا النوع الشريف من أنواع التفسير.

- تسع رسائل ماجستير سجلت ونوقشت في الجامعة الإسلامية بعنوان: تفسير القرآن بالقرآن جمعاً ودراسة. ولم يكن عمل هذه الدراسات خاصاً بالمأثور، بل هدفت لجمع تطبيقات المفسرين لمصطلح تفسير القرآن بالقرآن من خلال جملة من كتب التفسير، وقد جاء من ضمن توصيات أغلب هذه الدراسات: توصية الباحثين بالاعتناء بجمع المرويات في تفسير القرآن بالقرآن ودراستها.

وهو ما أرغب في القيام ببعضٍ منه؛ رغبة في تحقيق الأهداف المذكورة سابقاً.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أنْ يُقَسَّمَ إلى مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه وإجراءاته.

المبحث الأول: تعريف بتفسير القرآن بالقرآن، وتعريف بعبد الرحمن بن زيد، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الثاني: التعريف بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

المطلب الثالث: شرح المصطلحات المستخدمة في بيان العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة:

المطلب الرابع: دراسة إسناد الطبريّ إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

المبحث الثاني: ويشتمل على تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في آيات الحزب الأول من القرآن من خلال جامع البيان.

أما الخاتمة: فقد سجلت فيها أهم نتائج البحث مع الاقتراحات والتوصيات.

منهج البحث وإجراءته:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائيّ التحليليّ الاستنباطيّ، متبعة الخطوات التالية:

أولاً: جمعت تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في الحزب الأول من القرآن.

ثانياً: سُبقت كل رواية برقم يشير إلى تسلسل الروايات في البحث.

ثالثاً: صدَّرت روايات تفسير القرآن بالقرآن بكتابة الآية المفسَّرة التي جاءت الرواية بياناً لها.

رابعاً: ذكرت الآية المفسِّرة لها.

خامساً: ذكرت من وافق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير الآية المفسَّرة بالآية المفسِّرة من أئمة التفسير قديماً وحديثاً.

سادساً: بيَّنت العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة، ووجه الارتباط بينهما من عدة اعتبارات:

أ. العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي.

ب. العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم.

ج. العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية.

د. العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع.

هـ. في حال كان تفسير الآية بالآية يندرج تحت المصطلح الواسع، فإني أكتفي ببيان العلاقة بين الآيتين باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي، وباعتبار التطابق والتوسع فقط.

سابعاً: إن كان التفسير المذكور بالآية المفسِّرة مخالفاً للراجح، أبيّن ذلك وأذكر القول الراجح باختصار.

وهذا أوان الشروع في المقصود، وبالله التوفيق وعليه التكلان.

المبحث الأول
التعريف بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن
والتعريف بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن:

تحرير الحقائق العلمية وضبطها من أهم المسائل التي عُني بها العلماء لضبط العلوم، بل إن التعريفات والحدود هي أصل العلوم. قال المرداوي: «قال الفخر إسماعيل أبو محمد البغدادي - من أصحابنا -: «الحد على الحقيقة أصل كل علم، فمن لا يحيط به علماً لا ثقة له بما عنده». انتهى. وقاله غيره، وهو صحيح»[1].

ورغم أن السلف قد مارسوا هذا النوع من التفسير - تفسير القرآن بالقرآن - وطبقوه في مصنفاتهم، سواء كانت مصنفات في التفسير أو في علوم القرآن أو في أصول الفقه وغيرها، إلا أنهم لم يضعوا له حداً، مكتفين بالتمثيل عن التعريف.

ولمعرفة المراد بهذا المصطلح لا بد من معرفة معنى التفسير أولاً.

التفسير في اللغة: تفعيل من الفسر، والفَسْرُ: البيان وكشف المغطى. فَسَر الشيء يفسِرُه، بالكسر، ويفْسُرُه، بالضم، فَسْراً، وفَسَّرَهُ: أبانه، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل[2].

---

(١) التحبير شرح التحرير (٢٧١/١ - ٢٧٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٨٣/١٢)، ولسان العرب (٥٥/٥). وذكر الزركشي في البرهان (١٤٧/٢) عن آخرين قولهم أن: فسر مقلوب من سفر، يقال: سفرت المرأة سفوراً، إذا ألقت خمارها عن وجهها. وبمثل قوله: قال الكافيجي في التيسير في قواعد علم التفسير (٢١). وهذا القول لم أجد من قال به من أئمة اللغة في كتب اللغة التي بين يدي، ولا شك أن دعوى القلب تحتاج إلى ما يدل على صحتها من لغة العرب.

وأدق من هذا قول الراغب الأصفهاني في تفسيره (١٠): «الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسيره، وتسمى بها قارورة الماء، وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فيقل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح».

والأشهر في الاستعمال: فسَّر تفسيراً، بالتشديد، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قال مجاهد في تفسيرها: «﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بياناً»(١).

أما التفسير اصطلاحاً: فقد عرِّف بعدة تعريفات في الاصطلاح، من أبرزها ما يلي:

١. تعريف ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ): «شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه»(٢).

٢. تعريف أبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ): «علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبيّة، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب وتتمات ذلك»(٣).

وقد توسع بعض المعرِّفين للتفسير في الاصطلاح وأدخلوا فيه علوماً أخرى ضمن حد التفسير، وهذا يُعدُّ خروجاً بالتفسير عن حدّه الضابط الذي لا يتعدى: «بيان معاني القرآن»(٤).

وعلى هذا التعريف فما كان داخلاً في بيان القرآن الكريم فهو من التفسير، وما لم يدخل فليس من التفسير.

وعليه فإن التعريف الاصطلاحي لتفسير القرآن بالقرآن هو: «بيان القرآن بالقرآن».

قال د. أحمد البريدي: «ينبغي أن يعلم أن البيان درجات وأنواع، فهو يختلف قوة وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاءً، ومطابقة ومقاربة، والكل يقدر بقدره، كما أن أنواعه مختلفة كذلك، فأعلاه البيان اللفظي لكنه غير محصور فيه، إذ هو نوع من أنواع البيان»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري عنه (١٧/٤٤٨).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزي الكلبي (١/٦).
(٣) البحر المحيط لأبي حيان (١/٢٦).
(٤) انظر: أصول في التفسير للشيخ محمد العثيمين (ص٢٥).
(٥) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية (١٨).

والذي يدلُّ عليه صنيع سلف المفسرين المستخدمين لهذا النوع من التفسير أنه: متى ما بيَّنت آيةٌ آيةً أخرى من أي وجه فهو من تفسير القرآن بالقرآن، فالمقصود بالتعريف: «بيان القرآن بالقرآن» أنه مطلق البيان، وتقييد «التفسير» بعبارة «بالقرآن» يُقصد به التفسير الذي يكون استمداده محصوراً في كتاب الله تعالى وحده، وبذلك تُستثنى بقية المصادر الأخرى.

المطلب الثاني: التعريف بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[1]:

نسبه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشيّ، العدويّ، المدنيّ، مولى عمر بن الخطاب، أخو عبد الله بن زيد بن أسلم، وأُسامة بن زيد بن أسلم.

أخرج له: الترمذي، وابن ماجه.

شيوخه: روى عن: أبيه زيد بن أسلم، وأبي حازم سلمة بن دينار، وصفوان بن سليم، ومحمد بن المنكدر.

تلاميذه: روى عنه خلق كثير منهم: أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهريّ، وإسحاق بن إدريس، ورِشْدين بن سعد، وزهير بن محمد التميميّ، وهو من أقرانه، وابنه زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وسعيد بن أبي مريم، وسفيان بن عيينة، وسويد ابن سعيد، وصالح بن عبد الله الترمذيّ، وعبد الله بن عون الخراز، وعبد الله بن مسلمة القعنبيّ، وغيرهم.

وأشهر من روى تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: عبد الله بن وهب عند ابن جرير وابن أبي حاتم، وأَصْبَغ بن الفرج عند ابن أبي حاتم.

خلاصة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: ضعيف[2].

---

(١) انظر في ترجمته: التاريخ الكبير (٢٨٤/٥)، والضعفاء للعقيلي (٢٣١/٤)، والجرح والتعديل (٢٣٣/٥)، والفهرست لابن النديم (٢٧٧)، وتهذيب الكمال (١١٤/١٧ - ١١٩)، وميزان الاعتدال (٥٦٤/٢ - ٥٦٦)، وسير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، والعبر (٢٨٢/١)، وتهذيب التهذيب (١٧٧/٦ - ١٧٩)، وطبقات المفسرين للداودي (٢٧١/١)، وشذرات الذهب (٣٦٥/٢)، وطبقات المفسرين للأدنه وي (١١).

(٢) انظر: تقريب التهذيب (٣٤٠).

مؤلفاته: كان عبد الرحمن بن زيد صاحب قرآن وتفسير، أخذ التفسير من مدرسة التفسير بالمدينة التي قامت على يد: أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإذا ما عدَّ المفسرون بالمدينة تقدمهم: زيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن(١). وقد صنَّف كتاباً في التفسير في مجلد، وكتاباً في الناسخ والمنسوخ(٢).

وفاته: توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة اثنتين وثمانين ومائة(٣).

المطلب الثالث: شرح المصطلحات المستخدمة في بيان العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة:

إنَّ بيان العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة في هذا البحث كان من عدة اعتبارات، وهذا توضيح للمقصود بهذه الاعتبارات:

أولاً: اعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي:

القرب المَوْضِعيّ: ويقصد به أن تقع الآية المفسِّرة متصلة بالآية المفسَّرة، فإن كانت كذلك كانت متصلة مَوْضِعيّاً بها، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ - ٣]، فالطارق هو النجم الثاقب. أما إن وقعت الآية المفسِّرة في موضع، والآية المفسَّرة في موضع آخر إما في نفس السورة وإما في سورة أخرى، كانت منفصلة مَوْضِعيّاً عنها، ومثاله: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، فقد فُسِّر المراد بالعالمين في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

القرب المَوضُوعِي: ويقصد به اجتماع الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة في عرض موضوع واحد.

---

(١) انظر: مقدمة أصول التفسير (٢٥).

(٢) انظر: الفهرست لابن النديم (٢٧٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، وكلاهما مفقود، وقد تقدم الكلام على جمع تفسيره في خمس رسائل دكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٨)، وتهذيب التهذيب (١٧٨/٦).

ثانياً: باعتبار المنطوق والمفهوم:

المنطوق: هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق؛ أي: إن دلالته تكون من مادة الحروف التي ينطق بها.

المفهوم: هو ما دل عليه اللفظ ولكن ليس في محل النطق(١).

وبيان القرآن بالقرآن من حيث المنطوق والمفهوم أربعة أنواع: بيان منطوق بمنطوق، ومنطوق بمفهوم، ومفهوم بمنطوق، ومفهوم بمفهوم(٢).

ثالثاً: باعتبار البُنْية:

ويقصد به صيغ الكلام المفسِّر والمفسَّر أهو: لفظٌ بلفظٍ، أم جملةٌ بجملةٍ، أم لفظٌ بجملةٍ، أم جملةٌ بلفظةٍ.

رابعاً: باعتبار التطابق والتوسع:

التطابق: ويقصد به: ما يكون فيه الرابط بين الآيتين دقيقاً في التعبير عن مصطلح تفسير القرآن بالقرآن، ومن أمثلته: الآية المخصِّصة لآية عامة، الآية المبيِّنة لآية مجملة، الآية المقيِّدة لآية مطلقة، تفسير لفظة غريبة في آية بلفظة أشهر منها في آية أخرى، تفسير معنى آية بآية أخرى، وغيرها.

التوسع: توسع المفسرون في استعمال مصطلح تفسير القرآن بالقرآن من خلال تطبيقاتهم، ويبرز هذا من استقراء تفاسيرهم، ولاسيما من نصّ على هذا المصطلح في تفسيره، كابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)(٣)، أو جرَّد تصنيفه لهذا النوع من البيان كالأمير الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)، والشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، إذ يظهر من خلال تطبيقاتهم أن كل استفادة من آيات القرآن؛ كالاستشهاد أو الاستدلال بها يكون داخلاً ضمن تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/١٠٤، ١٠٦).

(٢) انظر: أضواء البيان (١/٢٣ - ٢٤)، وفيه تمثيل لكل منها.

(٣) نصَّ في مقدمة تفسيره (١/٧) على أن تفسير القرآن بالقرآن من منهجه متبعاً لشيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن كثير عند تفسيره لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢] فقال: أي «لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأجير من وبيل عقابه، ومن استحق غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير. وهذه لها نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وكقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]»(١).

ومنه أيضاً ما ذكره الصنعاني عند تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] إذ قال: «أي: قاتِلُها لعدم إيمان قومك تكرر هذا المعنى في القرآن في مواضع: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨]، وفي الكهف: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، وفي فاطر: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، ونحو ذلك مما هو دليل على شفقته على الأمة، ومحبته لإسلامهم، وشدة حرصه على هدايتهم مع تصريح الله له بأنه ليس عليه إلا البلاغ»(٢).

ومنه أيضاً ما ذكره الشنقيطي في الأضواء عند تفسير قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦] فقال: «ذكر جَلَّوَعَلَا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار اتخذوا آياته التي أنزلها على رسوله، وإنذاره لهم هزؤا، أي: سخرية واستخفافاً، والمصدر بمعنى اسم المفعول، أي: اتخذوها مهزوءاً بها مستخفاً بها: كقوله: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وهذا المعنى المذكور هنا جاء مبيناً في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الجاثية: ٩]، وكقوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، وقوله تعالى:

---

(١) تفسيره (١٥٧/٢).

(٢) مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن (٧١ - ٧٢).

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] إلى غير ذلك من الآيات»[١].

وليس هناك ضابط يضبط المصطلح المتوسع بحيث نستطيع القول: هذا يدخل في تفسير القرآن بالقرآن، وهذا لا يدخل فيه، فيدخل فيه جمع النظائر، والاستشهاد بالقرآن على ما اختاره المفسِّر، وجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، وغيرها فكلها داخلة في تفسير القرآن بالقرآن بسبب هذا التوسع في المصطلح[٢].

المطلب الرابع: دراسة إسناد الطبريّ إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:

يروي الإمام الطبريُّ تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بالإسناد التالي: حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا عبد الله بن وهب، قال: قال عبد الرحمن بن زيد[٣].

دراسة رجال هذا السند:

١. يونس بن عبد الأعلى:

نسبه: هو: يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيان الصدفيّ أبو موسى المصريّ.

مولده: ولد في ذي الحجة سنة سبعين ومائة.

أخرج له: مسلم، والنسائيُّ، وابن ماجه.

شيوخه: روى عن: أحمد بن رزق بن أبي الجراح الحرسيّ، وعبد الله بن وهب، وأبي زيد عبد الرحمن بن أبي الغمر، وآخرون. وكان إماماً في القراءات، قرأ على ورش وغيره.

تلاميذه: روى عنه: مسلم، والنسائيّ، وابن ماجه، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازيّ، وآخرون. وقرأ عليه القراءات ابن جرير الطبريّ، وجماعة.

---

(١) أضواء البيان (٣٠٨/٣).

(٢) انظر: مقالة للدكتور مساعد الطيار بعنوان: «مصادر التفسير» في مجلة البيان (ع: ٢٠، ٩٥).

(٣) عدد تكرار هذا السند عند الطبريُّ يقارب: (٢٠٠٠) مرة.

خلاصة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: ثقة[١].

وفاته: توفي يوم الاثنين ليومين مضيا من ربيع الآخر سنة أربع و ستين ومئتين[٢].

٢. عبد الله بن وهب:

نسبه: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشيّ الفهريّ، أبو محمد المصريّ، الفقيه، مولى يزيد بن زمانة، مولى يزيد بن أنيس أبي عبد الرحمن الفهريّ.

مولده: ولد في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة.

أخرج له: الجماعة[٣].

شيوخه: روى عن: عمرو بن الحارث، وابن هانئ، وحسين بن عبد الله المعافريّ، وبكر بن مضر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وآخرون.

تلاميذه: روى عنه: ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، والليث بن سعد شيخه، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن يوسف التنيسيّ، ويونس بن عبد الأعلى، وآخرون.

خلاصة أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه: ثقة حافظ عابد[٤].

وفاته: توفي يوم الأحد لأربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين ومائة[٥].

الحكم على هذا الإسناد:

إسناد متصل كما تقدم من تراجم رجاله، ورجاله ثقات، إلا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ضعيف، ولا يضرُّ ضعفه؛ لأنه هنا يفسِّر ولا يروي، لذا فهذا الإسناد صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

---

(١) انظر: تقريب التهذيب (٥٤٢).

(٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٢/٥١٣ - ٥١٦)، وتهذيب التهذيب (١١/٤٤٠ - ٤٤١).

(٣) وهم أصحاب الستة: البخاريّ، ومسلم، وأبو داود، والترمذيّ، والنسائيّ، وابن ماجه.

(٤) انظر: تقريب التهذيب (٢٧١).

(٥) انظر: تهذيب الكمال (١٦/٢٧٧ - ٢٨٧)، وتهذيب التهذيب (٦/٧١ - ٧٤).

المبحث الثاني
مواضع تفسير القرآن بالقرآن
الواردة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
في آيات الحزب الأول من القرآن

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

[١] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾، قَالَ: «مَا يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ ضَرُّوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا أَسَرُّوا مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ»، وَقَرَأَ قَوْلَ الله: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا﴾ [المجادلة: ١٨]، قَالَ: «هُمُ الْمُنَافِقُونَ»، حَتَّى بَلَغَ ﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [المجادلة: ١٨] «قَدْ كَانَ الْإِيمَانُ يَنْفَعُهُمْ عِنْدَكُمْ»(١).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة المجادلة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] قد جاءت مفسِّرة للآية [٩] من سورة البقرة.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها: ابن كثير(٢).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة وصفت حال هؤلاء المنافقين بأنهم (لا يشعرون)، ولم تذكر متعلقاً لهذا الفعل، فاحتاجت لبيان، وجاء هذا البيان في آية سورة المجادلة بذكر متعلق الفعل كما بيَّنه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بقوله: وما يشعرون بأنهم ضروا أنفسهم بما أسرُّوا من الكفر والنفاق.

---

(١) جامع البيان (٢٨٦/١).
(٢) انظر: تفسيره (١٧٧/١).

وذلك أن المنافقين بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، ولا شكَّ أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يخادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم غير شاعرين ولا دارين، بل يحسبون أنهم على شيء، ويعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً، فكذلك يكون حكمهم يوم القيامة عند الله، وأن أمرهم يروج عنده كما بينت آية المجادلة، ولا يشعرون بأن الله خادعهم بإملائه لهم واستدراجه إياهم بترك معاقبتهم على جرمهم ليبلغ المخاتل المخادع من استحقاقه عقوبة مستدرجه بكثرة إساءته وطول عصيانه، وهو سبحانه خادعهم أيضاً بخذلانهم عن حسن البصيرة بما فيه نجاة أنفسهم في آجل معادهم، فعاد خداعهم على أنفسهم مع ظنهم أنهم إلى أنفسهم محسنون، وهذا من العجائب؛ لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها[1].

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمفهوم، فقد فُسِّر المنطوق في آية سورة البقرة: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بالمفهوم من آية سورة المجادلة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير جُملةٍ بجُملةٍ، فقد فُسِّرت الجملة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بالجملة المفهومة من آية سورة المجادلة.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

(١) انظر: جامع البيان (٢٨٤/١ - ٢٨٦)، وتفسير ابن كثير (٤٣٧/٤)، وتفسير ابن سعدي (٤٢).

[٢] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ «قَالَ: زَادَهُمْ رِجْساً. وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]، قَالَ: شَرّاً إِلَى شَرِّهِمْ، وَضَلَالَةً إِلَى ضَلَالَتِهِمْ»(١).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة التوبة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] قد جاءت مفسِّرة للآية [١٠] من سورة البقرة.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها: الطبريُّ(٢)، والبغويُّ(٣)، والزمخشريُّ(٤)، والرازيُّ(٥)، وابن كثير مستشهداً برواية عبد الرحمن بن زيد هذه(٦).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة فيها إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد: ﴿مَرَضًا﴾، فاحتاجت لبيان، وجاء بيان هذا المبهم في آية سورة التوبة: ﴿رِجْسًا﴾، فالمعنيّ بالمرض: مرض القلوب الذي هو الرجس والضلال وفساد العقائد، وليس مرض الأجساد.

---

(١) جامع البيان (٢٩١/١).
(٢) تفسيره (٢٩٠/١).
(٣) تفسيره (٦٦/١).
(٤) تفسيره (٦٠/١).
(٥) تفسيره (٣٠٥/٢).
(٦) تفسيره (١٧٩/١).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسر المنطوق: ﴿مَرَضًا﴾ في آية سورة البقرة بالمنطوق: ﴿رِجْسًا﴾ في آية سورة التوبة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بلفظةٍ، فقد فُسرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿مَرَضًا﴾ باللفظة المذكورة في آية سورة التوبة: ﴿رِجْسًا﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

[٣] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَنْبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] قَالَ: خَلَقَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ حِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ. وَقَرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] حَتَّى بَلَغَ: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] قَالَ: فَكَسَّبَهُمُ الْعَقْلَ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ. قَالَ: وَانْتَزَعَ ضِلَعاً مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ الْقُصَيْرَى(١)، فَخَلَقَ مِنْهُ حَوَّاءَ، ذَكَرَهُ عَنِ النَّبِيِّ (٢)صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] قَالَ: وَبَثَّ مِنْهُمَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْحَامِ خَلْقاً كَثِيراً،

(١) الْقُصَيْرَى: هي أسفل الأضلاع، وقيل: هي الضلع التي تلي الشاكلة. انظر: لسان العرب (١٠٣/٥).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦١٤/٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١٥٥٣/٥) من طريق محمد بن شعيب، قال: حدثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسح ظهره فخرجت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وانتزع ضلعاً من أضلاعه فخلق منها حواء» على نبينا وعليهما الصلاة والسلام. قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١١٣٧/١٣) برقم (٦٤٩٩): منكر جداً.

وقرأ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦] قال: خلقاً بعد ذلك. قال: فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم في الأرحام، ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة، فذلك قول الله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقرأ قول الله: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤] قال: يومئذٍ. قال: وقرأ قول الله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [المائدة: ٧]»(١).

الآيات المفسِّرة: ذكرت هاهنا عدة آيات: **الأولى**: آية سورة غافر وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فقد جاءت نظيرة للآية [٢٨] من سورة البقرة، فالمعنى المراد في الآيتين واحد.

وسبق الصحابيان: عبد الله بن مسعود (٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعبد الله بن عباس (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والتابعيُّ مجاهد(٤) **في الاستشهاد بآية سورة غافر كآية نظيرة في معناها لآية سورة البقرة**، وتابع على ذلك أيضاً: البغويُّ(٥)، والزمخشريُّ(٦)، وابن عطية(٧)، وابن الجوزيُّ(٨)، والقاسميُّ(٩)، والشنقيطيُّ(١٠).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

---

(١) جامع البيان (٤٤٦/١ - ٤٤٧).
(٢) أخرجه الطبريُّ في تفسيره (٤٤٣/١)، بسند صحيح من طريق: سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عنه.
(٣) أخرجه الطبريُّ في تفسيره (٤٤٥/١)، بسند ضعيف من طريق: بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عنه.
(٤) أخرجه الطبريُّ في تفسيره (٤٤٤/١)، بسند ضعيف من طريق: الحسين، ثني حجاج، عن ابن جريج، عنه.
(٥) تفسيره (١٤٢/٧)، عند تفسير آية سورة غافر.
(٦) تفسيره (١٥٤/٤)، عند تفسير آية سورة غافر.
(٧) تفسيره (٥٤٩/٤)، عند تفسير آية سورة غافر.
(٨) تفسيره (٣٢/٤)، عند تفسير آية سورة غافر.
(٩) تفسيره (٣٠٣/٨)، عند تفسير آية سورة غافر.
(١٠) تفسيره (٣٧٥/٦)، عند تفسير آية سورة غافر.

فقد جاءت آية سورة غافر في هذه الرواية نظيرة لآية سورة البقرة في أن المعنى في كليهما واحد.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

الآية المفسِّرة الثانية: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آيتي سورة الأعراف وهما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]، قد جاءتا مفسِّرتين للآية [٢٨] من سورة البقرة، ومفسِّرتين لنظيرتها الآية [١١] من سورة غافر.

ولم أقف على من وافق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيرها بها.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة غافر والبقرة ذكرت أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحيينا بعدما كنا أمواتاً: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ ولم تذكر المقصود من هذه الحياة الأولى التي نحياها، فاحتاجت لبيان، وجاء البيان بذكر المقصود بهذه الحياة الأولى في آيتي سورة الأعراف ليكون المقصود بالحياة الأولى كما بيَّنه ابن زيد ودلت عليه سورة الأعراف: أن الله خلقهم أولاً في ظهر آدم وأخذ عليهم الميثاق، وهذه هي الحياة الأولى لهم.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسر المنطوق في آية سورة البقرة: ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾، بالمنطوق في آيتي سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير جُملةٍ بجُملةٍ، فقد فُسرت الجملة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾، بالجملة المذكورة في آيتي سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

الآية المفسِّرة الثالثة: آية سورة النساء وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١]، فقد ذكرت للربط بين أجزاء قصة الخلق وتتميمها، وبيان تسلسلها.

ولم أقف على من وافق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الاستشهاد بها للربط بينها وبين آية غافر والبقرة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

فقد استشهد بها ابن زيد للربط بين أحداث قصة الخلق وبيان تسلسلها، ولبيان ما الذي حدث بين الحياة الأولى (أخذ الميثاق)، وبين الحياة الثانية (الخلق في بطون الأمهات).

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

الآية المفسِّرة الرابعة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة الزمر وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر: ٦]، قد جاءت مفسِّرة للآية [٢٨] من سورة البقرة، ومفسِّرة لنظيرتها الآية [١١] من سورة غافر.

ووافق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيرها بها: الماورديُّ[١].

---

(١) انظر: تفسيره (٩١/١).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة ذكرت أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحيينا حياة ثانية: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، ولم تذكر المقصود من هذه الحياة الثانية التي نحياها، فاحتاجت لبيان، وجاء البيان بذكر المقصود بهذه الحياة الثانية في آية سورة الزمر ليكون المقصود بها كما بيَّنه ابن زيد ودلت عليه آية سورة الزمر: خلقهم في الأرحام، وهي حياتهم الثانية بعد الحياة الأولى التي كانت لأخذ الميثاق.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسر المنطوق في آية سورة البقرة: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، بالمنطوق في آية سورة الزمر: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير جُملةٍ بجُملةٍ، فقد فُسَّرت الجملة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾، بالجملة المذكورة في آية سورة الزمر: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

الآية المفسِّرة الخامسة: آية سورة النساء وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ١٥٤]، فالذي يظهر أن لا علاقة لها بآية غافر أو آية البقرة، فالميثاق المذكور فيها ليس هو الميثاق الذي أُخذ على بني آدم حين أخرجوا من ظهور آبائهم[1]، وعليه فليس فيها بيان للآية لا بالمصطلح المطابق ولا بالمصطلح الواسع.

(١) انظر تفسير الآية في جامع البيان (٦٤٥/٧)، وفيه قال الطبريُّ: «يعني: عهداً مؤكداً شديداً، بأنهم يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم الله عنه مما ذكره في هذه الآية ومما في التوراة»، وانظر أيضاً: المحرر الوجيز (١٣٢/٢)، وتفسير القرطبي (٧/٦).

الآية المفسِّرة السادسة: آية سورة المائدة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [المائدة: ٧]، فقد ذُكرت للاستشهاد بها على الميثاق الذي يُؤخذ على بني آدم، والذي يكون في الحياة الأولى المذكورة في آية سورة غافر وآية سورة البقرة: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

فقد استشهد بها ابن زيد على الميثاق الذي يُؤخذ على بني آدم في الحياة الأولى، فعلى أحد الأقوال في تفسير الميثاق في قوله في سورة المائدة: ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ أنه: «الَّذِي وَاثَقَ بِهِ بَنِي آدَمَ فِي ظَهْرِ آدَمَ»(١).

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

صحة هذا التفسير: التفسير الذي ذكره ابن زيد للحياتين الأولى والثانية، والموتتين الأولى والثانية المذكورتين في آية سورة البقرة وآية سورة غافر خلاف الراجح.

قال الطبريُّ: «وأما ابن زيد فقد أبان عن نفسه ما قصد بتأويله ذلك، وأن الإماتة الأولى عنده إعادة الله جل ثناؤه عباده في أصلاب آبائهم بعد ما أخذهم من صلب آدم، وأن الإحياء الآخر: هو نفخ الأرواح فيهم في بطون أمهاتهم، وأن الإماتة الثانية هي قبض أرواحهم للعود إلى التراب والمصير في البرزخ إلى يوم البعث، وأن الإحياء الثالث: هو نفخ الأرواح فيهم لبعث الساعة ونشر القيامة. وهذا تأويلٌ إذا تدبره المتدبر وجده خلافاً لظاهر قول الله الذي زعم مفسره أن الذي وصفنا من قوله تفسيره وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه عن الذين أخبر عنهم من خلقه أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر: ١١]. وزعم ابن زيد أن تفسيره أن الله

(١) أخرجه الطبريُّ (٨/٢٢٠) بسند صحيح من طريق: ابن أبي نجيح عن مجاهد.

أحياهم ثلاث إحياءات، وأماتهم ثلاث إماتات. والأمر عندنا وإن كان فيما وصف من استخراج الله جل ذكره من صلب آدم ذريته، وأخذه ميثاقه عليهم كما وصف، فليس ذلك من تأويل هاتين الآيتين، وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بينا بتأويل قول الله جل ذكره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ الآية، القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود، وعن ابن عباس، من أن معنى قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم نطفاً لا تعرفون ولا تذكرون، فأحياكم بإنشائكم بشراً سوياً، حتى ذكرتم وعرفتم وحييتم، ثم يميتكم بقبض أرواحكم وإعادتكم رفاتا لا تعرفون ولا تذكرون في البرزخ إلى يوم تبعثون، ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة، ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك، وفساد ما خالفه بما قد أوضحناه قبل»[1].

وقال ابن عطية بعد أن عرض الأقوال في الآية مبتدئاً بذكر قول ابن عباس وابن مسعود الذي رجحه الطبريُّ: «والقول الأول هو أولى هذه الأقوال؛ لأنه الذي لا محيد للكفار عن الإقرار به في أول ترتيبه، ثم إن قوله أولاً كُنْتُمْ أَمْواتاً وإسناده آخراً الإماتة إليه تَبَارَكَ وَتَعَالَى مما يقوي ذلك القول، وإذا أذعنت نفوس الكفار لكونهم أمواتاً معدومين ثم للإحياء في الدنيا ثم للإماتة فيها قوي عليهم لزوم الإحياء الآخر، وجاء جحدهم له دعوى لا حجة عليها»[2].

وقال ابن كثير بعد عرض الأقوال في الآية: «وهذان القولان - من السدي وابن زيد - ضعيفان؛ لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات. والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما»[3].

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧]

---

(١) (٤٤٨/١ - ٤٤٩).

(٢) تفسيره (١١٤/١).

(٣) تفسيره (١٣٣/٧)، وانظر أيضاً أضواء البيان (٣٧٤/٦ - ٣٧٥).

[٤] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الْآيَةُ. قَالَ: لَقَّاهُمَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]»(١).

[٥] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «هُوَ قَوْلُهُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]»(٢).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هاتان الروايتان أن آية سورة الأعراف وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] قد جاءت مفسِّرة للآية [٣٧] من سورة البقرة.

وسبق أبو العالية الرياحيُّ(٣) وسعيد بن جبير(٤) ومجاهد(٥) والحسن البصريّ(٦) وقتادة(٧) **عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها، وتابعه على ذلك أيضاً**: الطبريُّ(٨)، والشنقيطيُّ(٩).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة فيها إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس الجمعي: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾، فاحتاجت لبيان، وجاء بيان هذا المبهم في آية سورة الأعراف: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

---

(١) جامع البيان (٥٧٩/١ - ٥٨٠).
(٢) جامع البيان (٥٨٦/١).
(٣) أخرجه الطبريُّ (٥٨٢/١) بسند حسن من طريق أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عنه.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩١/١) بسند حسن من طريق خصيف، عنه.
(٥) أخرجه الطبريُّ (٥٨٤/١) بسند حسن من طريق خصيف، عنه.
(٦) أخرجه الطبريُّ (٥٨١/١) بسند صحيح من طريق سعيد بن أبي عروبة عنه.
(٧) أخرجه الطبريُّ (٥٨٥/١) بسند صحيح من طريق معمر، عنه.
(٨) تفسيره (٥٨٦/١).
(٩) تفسيره (٣٤/١)، أما بقية المفسرين فقد ذكروا هذا التفسير منسوباً للسلف الذين تقدم ذكرهم.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ في آية سورة البقرة بالمنطوق: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ في آية سورة الأعراف.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بجملةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ بالجملة المذكورة في آية سورة الأعراف.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]

[٦] – قَالَ الطَّبريُّ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ قَالَ: نِعَمُهُ عَامَّةً، وَلَا نِعْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ نعمة الْإِسْلَامِ، وَالنِّعَمُ بَعْدُ تَبَعٌ لَهَا. وَقَرَأَ قَوْلَ الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] الْآيَةُ[1].

الآية المفسَّرة: ذكرت هذه الرواية أن آية سورة الحجرات وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، قد جاءت مفسِّرة للآية [٤٠] من سورة البقرة.

ولم أقف على من وافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

---

(١) تفسيره ١/٥٩٥.

حيث إنَّ آية سورة البقرة جاء فيها لفظ عام: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ والمراد بها جميع النعم؛ لأنه جنس مضاف فله حكم الجمع[1]، وقد كانوا يوقعون الواحد موقع الجماعة، ويكتفون بالواحد عن الجميع، فاحتاجت الآية لبيان ما فيها من العموم، أو ذكرٍ لبعض أفراده.

وجاءت آية سورة الحجرات لتبيِّن أفضل وأعظم أفراد اللفظ العام المذكور في آية سورة البقرة، ألا وهي نعمة الإسلام: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ فمنة الله تعالى عليهم بالإيمان أعظم من كل نعمة، وهذا على أن المخاطب في الآية: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من بني إسرائيل المؤمنين بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو قول مكيّ[2]، وبهذا التفسير يستقيم الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ في آية سورة البقرة بالمنطوق: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ في آية سورة الحجرات.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بجملةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿نِعْمَتِيَ﴾ بالجملة المذكورة في آية سورة الحجرات.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

[٧] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُس، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] قَالَ: «أَوْفُوا بِأَمْرِي، أُوفِ بِالَّذِي وَعَدْتُكُمْ، وَقَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١] حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] قَالَ: هَذَا عَهْدُهُ إِلَيْكُمُ الَّذِي عَهِدَ لَهُمْ»[3].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١/٤٨٣).

(٢) حكاه عنه ابن عطية في تفسيره (١/١٣٣).

(٣) جامع البيان (١/٥٩٨).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة التوبة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] جاءت مفسِّرة للآية [٤٠] من سورة البقرة.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها: الرازيُّ(١).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة فيها إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد: ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾، فاحتاجت لبيان، وجاء بيان هذا المبهم في آية سورة التوبة: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾، ليكون المعنى كما ذكر عبد الرحمن بن زيد وكما بيَّنته آية سورة التوبة: أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات ونهيتكم عنه من المعاصي، أوف بعهدكم فأرضى عنكم، وأدخلكم الجنة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ في آية سورة البقرة بالمنطوق: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾ في آية سورة التوبة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بلفظةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ باللفظة المذكورة في آية سورة التوبة: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

---

(١) انظر: تفسيره (٤٧٨/٣).

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

[٨] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «الْخُشُوعُ: الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ للهِ عَزَّوَجَلَّ. وَقَرَأَ قَوْلَ الله: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥] قَالَ: قَدْ أَذَلَّهُمُ الْخَوْفُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَخَشَعُوا لَهُ»[١].

الآية المفسِّرة: جاءت آية سورة الشورى وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الشورى: ٤٥] مفسِّرة للآية [٤٥] من سورة البقرة.

ولم أجد من وافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

فقد جاءت آية سورة الشورى نظيرة لآية سورة البقرة في أن المعنى المراد من الخشوع في كليهما واحد؛ ليكون هذا المعنى كما بيَّنته آية سورة الشورى بدلالة السياق فيها. وبدلالة القرينة: ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾.

وكما بيَّنه عبد الرحمن بن زيد: الخوف والخشية لله، كالخوف الذي يصيب الظالمين حين يُعْرَضون على النار فيُخْضعهم ويُذِلُّهم.

وإن كان مقام الخشوع في الآيتين مختلف، فآية البقرة خشوع في مقام المدح، وآية الشورى خشوع في مقام الذم.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

(١) جامع البيان (٦٢٣/١).

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]

[٩] - قَالَ الطَّبريُّ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ قَالَ: «لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعَايِنُوا، فَكَانَ ظَنُّهُمْ يَقِيناً، وَلَيْسَ ظَنّاً فِي شَكٍّ. وَقَرَأَ: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]»(١).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة الحاقة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] جاءت نظيرة للآية [٤٦] من سورة البقرة، فالمعنى المراد من (الظنّ) في الآيتين واحد.

وسبق ابن جريج(٢) عبد الرحمن بن زيد في الاستشهاد بآية سورة الحاقة كنظير آية سورة البقرة، كما تابعه على ذلك أيضاً: الثعلبيُّ(٣)، والماورديُّ(٤)، والواحديُّ(٥)، والرازيُّ(٦)، والقرطبيُّ(٧)، وأبو حيان(٨)، والشوكانيُّ(٩)، والقاسميُّ(١٠).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

فقد جاءت آية سورة الحاقة في هذه الرواية نظيرة لآية سورة البقرة، في أن المعنى المراد من (الظنّ) في كليهما: اليقين، فالظنّ من الأضداد، فالعرب قد تسمي اليقين ظنّاً، والشكّ ظنّا.

---

(١) جامع البيان (٦٢٥/١).
(٢) أخرجه الطبريُّ (٦٢٥/١) بسند ضعيف من طريق: الحسين، ثني حجاج، عنه.
(٣) تفسيره (١٨٩/١).
(٤) تفسيره (١١٦/١).
(٥) الوسيط (١٣٢/١).
(٦) تفسيره (٤٩١/٣).
(٧) تفسيره (٣٧٥/١).
(٨) تفسيره (٣٠٠/١).
(٩) تفسيره (٩٤/١).
(١٠) تفسيره (٣٠١/١).

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]

[١٠] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ زَيْدٍ عَنْ قَوْلِ الله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ: «عَالَمِ ذَلِكَ الزَّمَانِ. وَقَرَأَ قَوْلَ الله: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْقِرَدَةُ وَهُمْ أَبْغَضُ خَلْقِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قَالَ: هَذِهِ لِمَنْ أَطَاعَه وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ عَزَّوَجَلَّ وَاجْتَنَبَ مَحَارِمَهُ»(١).

الآيتان المفسِّرتان: ذكرت هذه الرواية آيتين في تفسير آية البقرة: **الآية المفسِّرة الأولى:** بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة الدخان وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] قد جاءت نظيرة للآية [٤٧] من سورة البقرة، في أنَّ المعنى المراد في الآيتين واحد.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في الاستشهاد بآية سورة الدخان نظيرة لآية سورة البقرة: الطبريُّ(٢)، والرازيُّ(٣)، وابن كثير(٤)، والشوكانيُّ(٥).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

جاءت آية سورة الدخان في هذه الرواية نظير آية سورة البقرة في أن المعنى المراد من (العالمين) فيهما: عالم مخصوص بمن كان في زمانهم وبين ظهرانيهم.

---

(١) جامع البيان (٦٣٠/١).
(٢) تفسيره (٦٣٠/١).
(٣) تفسيره (٤٩٣/٣).
(٤) تفسيره (٢٥٥/١).
(٥) تفسيره (٩٧/١).

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

الآية المفسِّرة الثانية: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة آل عمران وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قد جاءت مفسِّرة للآية [٤٧] من سورة البقرة.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها: ابن عطية(١) وابن كثير(٢) والشوكانيُّ(٣).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة جاء فيها امتنان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على بني إسرائيل بتفضيلهم على العالمين، و﴿الْعَالَمِينَ﴾ لفظ عام، وسبب العموم التعريف فيه، فهو للاستغراق، يستغرق جميع الأجناس الصادق عليها اللفظ، فيشمل كل جنس مما سمي به، ثم إن اللفظ جاء مجموعاً (العالمين)، ولم يأت مفرداً، والجمع قرينة أخرى على الاستغراق، ولو أُفرد لتوهم أن المراد من التعريف العهد أو الجنس فكان الجمع تنصيصاً على الاستغراق، وهذه سنة الجموع مع (ال) الاستغراقية(٤).

ومجيء الآية بهذا اللفظ العام مظنة لأن يُفْهَمَ منه فضلهم على سائر العالمين بما فيهم أُمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذا جاءت آية سورة آل عمران: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ مخصصة للعموم في آيتي سورتي البقرة والدخان: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ فقد بيَّنت آية سورة آل عمران أن أُمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير من بني إسرائيل وأكرم على الله، فلم يبقَ حينئذ إلا أن يكون قوله: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ عاماً أُريد به الخصوص.

---

(١) تفسيره (١/١٣٩).
(٢) تفسيره (١/٢٥٥).
(٣) تفسيره (١/٩٧).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (١/١٦٨ - ١٦٩).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمفهوم، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في آية سورة البقرة والدخان، بالمفهوم: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ في آية سورة آل عمران، حيث ذكرت الآية: خيرية أُمة محمد على الناس جميعاً، ومفهوم ذلك أن بني إسرائيل ليسوا بأفضل منهم.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بجملةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة والدخان: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالجملة المذكورة في آية سورة آل عمران: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]

[١١] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «لَمَّا أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ الْأَرْضَ إِلَى الْبَحْرِ قَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ: قُولُوا لَهُمْ يَدْخُلُونَ الْبَحْرَ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. فَلَمَّا رَآهُمْ أَصْحَابُ مُوسَى، قَالُوا: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢] فَقَالَ مُوسَى لِلْبَحْرِ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: وَتَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللهِ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَ بِهِمْ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: وتَعْلَمُ أَنَّ هَذَا عَدُوُّ اللهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَافْرُقْ لِي طَرِيقاً وَلِمَنْ مَعِي، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَيْسَ لِي أَمْرٌ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَنِيَ اللهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى الْبَحْرِ: إِذَا ضَرَبَكَ مُوسَى بِعَصَاهُ فَانْفَرِقْ، وَأَوْحَى إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبِ الْبَحْرَ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٧٧] وَقَرَأَ قَوْلَهُ: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ﴾ [الدخان: ٢٤] سَهْلاً لَيْسَ فِيهِ تَعَدٍّ. فَانْفَرَقَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً، فَسَلَكَ كُلُّ سِبْطٍ فِي طَرِيقٍ. قَالَ: فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: إِنَّهُمْ قَدْ دَخَلُوا الْبَحْرَ. قَالَ: ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَجِبْرِيلُ فِي آخِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَقُولُ لَهُمْ: لِيَلْحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ. وَفِي أَوَّلِ آلِ فِرْعَوْنَ، يَقُولُ لَهُمْ: رُوَيْداً

يَلْحَقْ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ. فَجَعَلَ كُلُّ سِبْطٍ فِي الْبَحْرِ يَقُولُونَ لِلسِّبْطِ الَّذِينَ دَخَلُوا قَبْلَهُمْ: قَدْ هَلَكُوا. فَلَمَّا دَخَلَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ، أَوْحَى اللهُ إِلَى الْبَحْرِ، فَجَعَلَ لَهُمْ قَنَاطِرَ يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ آخِرُ هَؤُلَاءِ وَدَخَلَ آخِرُ هَؤُلَاءِ أَمَرَ اللهُ الْبَحْرَ فَأُطْبِقَ عَلَى هَؤُلَاءِ»(١).

الآيات المفسِّرة: جاءت الآيات التالية: آيتي سورة الشعراء، وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، وآية سورة طه وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، وآية سورة الدخان وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤] مفسِّرة للآية [٥٠] من سورة البقرة.

وسبق: عبد الله بن شداد(٢) **عبد الرحمن بن زيد في تفسير الآية بآية سورة الشعراء**: وتابعه على ذلك أيضاً: البغويُّ(٣)، والرازيُّ(٤)، والشنقيطيُّ(٥).

وسبق ابن إسحاق(٦) عبد الرحمن بن زيد في تفسير الآية بآية سورة طه، وتابعه على ذلك أيضاً: الرازيُّ(٧)، والشنقيطيُّ(٨).

ووافقه في تفسير الآية بآية سورة الدخان: الشنقيطيُّ(٩).

---

(١) جامع البيان (٦٦٢/١). وفيما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ من البيان شيء من الروايات الإسرائيلية المسكوت عنه، فليس هو مما علمنا صحّته مما بأيدينا من القرآن والسنة، ولا مما علمنا كذبه لمخالفته القرآن أو السنة، وهذا لا نؤمن به ولا نكذّبه؛ لاحتمال أن يكون حقاً فنكذبه، أو باطلاً فنصدّقه، وتجوز حكايته للاعتبار والتحلي بها، لا الاعتماد عليها لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بلِّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مَقعده من النار». أخرجه البخاري (١٧٠/٤)، ح: (٣٤٦١)

(٢) أخرجه الطبريُّ (٦٥٥/١) بسند حسن من طريق: ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عنه.

(٣) تفسيره (٩٣/١).

(٤) تفسيره (٥٠٨/٣).

(٥) تفسيره (٣٦/١).

(٦) أخرجه الطبريُّ (٦٥٦/١) بسند حسن من طريق: ابن حميد، ثنا سلمة، عنه.

(٧) تفسيره (٥٠٨/٣).

(٨) تفسيره (٣٦/١).

(٩) تفسيره (٣٦/١).

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآيات المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة قد ذكرت لنا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد نجّى موسى ومن معه بأن فرق بهم البحر، ولم تبيِّن لنا كيفية نجاتهم وفرق البحر بهم، فاحتاجت إلى بيان، وجاء بيان هذه الكيفية في آيات سورة الشعراء وطه والدخان.

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ في آية سورة البقرة، بالمنطوق: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ في آيتي سورة الشعراء، وبالمنطوق: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ في آية سورة طه، وبالمنطوق: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾ في آية سورة الدخان.

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير جُملةٍ بجُملةٍ، فقد فُسرت الجملة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ بالجملة المذكورة في آية سورة الشعراء: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، وبالجملة المذكورة في آية سورة طه: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾، وبالجملة المذكورة في آية سورة الدخان: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥١]

[١٢] - **قَالَ الطَّبريُّ:** حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «لَمَّا أَنْجَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] قَالَ: لَمَّا خَرَجَ مُوسَى وَأَمَرَ هَارُونَ ما أَمَرَهُ، وَخَرَجَ مُوسَى مُتَعَجِّلاً مَسْرُوراً إِلَى الله.

قَدْ عَرَفَ مُوسَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا نَجَحَ فِي حَاجَةِ سَيِّدِهِ كَانَ يَسُرُّهُ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ. قَالَ: وَكَانَ حِينَ خَرَجُوا اسْتَعَارُوا حُلِيّاً وَثِيَاباً مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: إِنَّ هَذِهِ الثِّيَابَ وَالْحُلِيَّ لَا تَحِلُّ لَكُمْ، فَاجْمَعُوا نَاراً، فَأَلْقُوهُ فِيهَا فَأَحْرِقُوهُ. قَالَ: فَجَمَعُوا نَاراً. قَالَ: فَكَانَ السَّامِرِيُّ قَدْ نَظَرَ إِلَى أَثَرِ دَابَّةِ جِبْرِيلَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَى فَرَسٍ أُنْثَى، وَكَانَ السَّامِرِيُّ فِي قَوْمِ مُوسَى. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَى أَثَرِهِ فَقَبَضَ مِنْهُ قَبْضَةً، فَيَبَسَتْ عَلَيْهَا يَدُهُ؛ فَلَمَّا أَلْقَى قَوْمُ مُوسَى الْحُلِيَّ فِي النَّارِ، وَأَلْقَى السَّامِرِيُّ مَعَهُمُ الْقَبْضَةَ، صَوَّرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذَلِكَ لَهُمْ عِجْلاً ذَهَباً، فَدَخَلَتْهُ الرِّيحُ، فَكَانَ لَهُ خُوَارٌ، فَقَالُوا: مَا هَذَا؟ فَقَالَ السَّامِرِيُّ الْخَبِيثُ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨] الْآيَةُ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١] قَالَ: حَتَّى إِذَا أَتَى مُوسَى الْمَوْعِدَ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۞ قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ [طه: ٨٣ - ٨٤] فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٦]»[1].

الآيات المفسِّرة: جاءت الآيات التالية: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۞ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۞ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ۞ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٨ - ٩١]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۞ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۞ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ [طه: ٨٤ - ٨٦]، مفسِّرة للآية [٥١] من سورة البقرة.

وسبق عبد الله بن عباس[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الرحمن بن زيد في الاستشهاد بآية سورة الأعراف، وتابعه على ذلك أيضاً: الرازيُّ[3].

---

(١) جامع البيان (٦٧٣/١ - ٦٧٤)، وفيما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ من البيان شيء من الروايات الإسرائيلية المسكوت عنه.

(٢) أخرجه الطبريُّ (٦٦٩/١) بسند صحيح من طريق: سفيان بن عيينة، ثنا أبو سعيد (عبد الكريم بن مالك الجزري)، عن عكرمة، عنه.

(٣) تفسيره (٥١١/٣).

وسبقه عبد الله بن عباس [1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسديُّ [2] **في الاستشهاد بآيات سورة طه.**

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآيات المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة قد ذكرت لنا أن الله عَزَّوَجَلَّ حين واعد موسى أربعين ليلة لإنزال التوراة هدايةً ونوراً لكم، فإذا ببني إسرائيل ينتهزون فرصة غيابه هذه المدة القليلة، ويتخذون العجل معبوداً لهم من دون الله، ولم تذكر لنا ما الذي حدث بينهما من أحداث، فاحتاجت إلى بيان، فاستشهد عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بآيات سورة الأعراف وطه لتتميم أحداث القصة المذكور طرفاً منها، والربط بين أطرافها وسرد تسلسلها.

العلاقة التفسيرية بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]

[١٣] - قَالَ الطَّبريُّ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: سَأَلْتُهُ، يَعْنِي ابْنَ زَيْدٍ، عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فَقَالَ: «أَمَّا الْفُرْقَانُ الَّذِي قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] فَذَلِكَ يَوْمُ بَدْرٍ، يَوْمَ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْقَضَاءُ الَّذِي فَرَّقَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. قَالَ: فَكَذَلِكَ أَعْطَى اللهُ مُوسَى الْفُرْقَانَ، فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُمْ، وَسَلَّمَهُ اللهُ وَأَنْجَاهُ، فَرَّقَ بَيْنَهُمْ بِالنَّصْرِ، فَكَمَا جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَالْمُشْرِكِينَ، فَكَذَلِكَ جَعَلَهُ بَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ»[3].

---

(١) أخرجه الطبريُّ (٦٦٩/١) بسند صحيح من طريق: سفيان بن عيينة، ثنا أبو سعيد، عن عكرمة، عنه.

(٢) أخرجه الطبريُّ (٦٧٠/١) بسند حسن من طريق: عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عنه.

(٣) جامع البيان (٦٧٧/١).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة الأنفال وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١]، قد جاءت نظيرة للآية [٥٣] من سورة البقرة في المعنى، فالمعنى المراد في كليهما واحد.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في الاستشهاد بآية سورة الأنفال نظيرة لآية البقرة: الثعلبيُّ(١)، والزمخشريُّ(٢)، والرازيُّ(٣)، والقرطبيُّ(٤)، والقاسميُّ(٥).

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة. فقد جاءت آية سورة الأنفال في هذه الرواية كنظير لآية سورة البقرة، في أن المعنى المراد بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ في كليهما واحد: وهو: النصر الذي به فرق بين حالهم وحال آل فرعون بالنجاة والغرق.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح الواسع.

صحة هذا التفسير: التفسير الذي ذكره ابن زيد للآية من أن المراد بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ هو: النصر، خلاف الراجح، فالراجح أنه التوراة، قال الطبريُّ بعد أن عرض الأقوال في الآية: «وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما روي... من أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل، وهو نعت للتوراة وصفة لها. فيكون تأويل الآية حينئذ: وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح، وفرقنا بها بين الحق والباطل. فيكون الكتاب نعتاً للتوراة أقيم مقامها استغناء به عن ذكر التوراة، ثم عطف عليه بالفرقان، إذ كان من نعتها»(٦).

---

(١) تفسيره (١/١٩٧).
(٢) تفسيره (١/١٤٠).
(٣) تفسيره (٣/٥١٤).
(٤) تفسيره (١/٤٠٠).
(٥) تفسيره (١/٣٠٦).
(٦) تفسيره (١/٦٧٨)، وانظر: أضواء البيان (١/٣٧).

وهذا نحو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ثلاث صفات في وصف شيء واحد وهو التوراة، فهو: الكتاب الجامع بين كونه فرقاناً وضياء وذكرى.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]

[١٤] - **قَالَ الطَّبريُّ**: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «لَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلاً قَدِ اعْتَزَلُوا مَعَ هَارُونَ الْعِجْلَ لَمْ يَعْبُدُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: انْطَلِقُوا إِلَى مَوْعِدِ رَبِّكُمْ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى أَمَا مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: بَلَى ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ الْآيَةُ. فَاخْتَرَطُوا السُّيُوفَ وَالْجِرَزَةَ(١) وَالْخَنَاجِرَ وَالسَّكَاكِينَ. قَالَ: وَبُعِثَت عَلَيْهِمْ ضَبَابَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَتَلَامَسُونَ بِالْأَيْدِي، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. قَالَ: وَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فَيَقْتُلُهُ وَلَا يَدْرِي، قال: وَيَتَنَادَوْنَ فِيهَا: رَحِمَ اللهُ عَبْداً صَبَرَ حَتَّى يَبْلُغَ اللهَ رِضَاهُ. وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣] قَالَ: فَقَتْلَاهُمْ شُهَدَاءُ، وَتِيبَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ. وَقَرَأَ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾»(٢).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة البقرة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾، قد جاءت مفسِّرة للآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ٣٣].

ولم أقف على أحد من المفسرين وافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

---

(١) الجِرَزَةُ جمع الجُرْزُ، والجُرُزُ: العمود من الحديد. انظر: لسان العرب (٣١٧/٥).

(٢) جامع البيان (٦٨٤/١ - ٦٨٥). وفيما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ من البيان شيء من الروايات الإسرائيلية المسكوت عنه.

إذ إنَّ آية سورة الدخان فيها إجمال واقع بسبب الاشتراك في الاسم: ﴿بَلَٰٓؤٞا۟ مُّبِينٞ﴾، فالبلاء يطلق بالاشتراك على: الاختبار بالخير، والاختبار بالشر، وابتلاء الله تعالى لبني إسرائيل بالنعم والخيرات قد جاء ذكره في آيات كثير يمتنُّ الله تعالى بنعمه عليهم فيها، وأما الابتلاء لهم بالشر، فهو الذي بيَّنته هذه الآية من سورة البقرة: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ وهو تعالى بهذا النوع من الابتلاء يختبر مقدار صبرهم وطاعتهم.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿بَلَٰٓؤٞا مُّبِينٞ﴾ في آية سورة الدخان، بالمنطوق: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ في آية سورة البقرة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بجملةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة الدخان: ﴿بَلَٰٓؤٞا مُّبِينٞ﴾، بالجملة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٦١]

[١٥] - قَالَ الطَّبريُّ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ قَالَ: مِصْراً مِنَ الْأَمْصَارِ. وَمِصْرُ لَا تَجْرِي فِي الْكَلَامِ، فَقِيلَ: أَيُّ مِصْرٍ؟ فَقَالَ: الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَهُمْ. وَقَرَأَ قَوْلَ الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١]»(١).

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آية سورة المائدة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المائدة: ٢١] قد جاءت مفسِّرة للآية [٦١] من سورة البقرة.

---

(١) جامع البيان (٢٣/٢).

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها، وذلك بوصفه وجهًا من وجوه التفسير في الآية: الرازيّ[1]، وأبو حيان[2].

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآية المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعِياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

إذ إنَّ آية سورة البقرة فيها إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد المذكور في آية سورة البقرة: ﴿مِصۡرٗا﴾، فاحتاجت لبيان، وجاء بيان هذا المبهم وتعيينه في آية سورة المائدة: ﴿ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿مِصۡرٗا﴾ في آية سورة البقرة، بالمنطوق: ﴿ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ في آية سورة المائدة.

العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بلفظةٍ، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية سورة البقرة: ﴿مِصۡرٗا﴾، باللفظة المذكورة في آية سورة المائدة: ﴿ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

قَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٦٣]

[١٦] - **قَالَ الطَّبرِيُّ**: حَدَّثَنِي بِهِ، يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «لَمَّا رَجَعَ مُوسَى مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ بِالْأَلْوَاحِ قَالَ لِقَوْمِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْأَلْوَاحَ فِيهَا كِتَابُ اللهِ، وَأَمْرُهُ الَّذِي أَمَرَكُمْ بِهِ، وَنَهْيُهُ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ، فَقَالُوا: وَمَنْ يَأْخُذُهُ بِقَوْلِكَ أَنْتَ؟ لَا وَاللهِ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً حَتَّى يَطْلُعَ اللهُ عَلَيْنَا فَيَقُولَ:

(١) تفسيره (٥٣٣/٣).
(٢) تفسيره (٣٧٨/١).

هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ. فَمَا لَهُ لَا يُكَلِّمُنَا كَمَا كَلَّمَكَ أَنْتَ يَا مُوسَى فَيَقُولُ: هَذَا كِتَابِي فَخُذُوهُ؟ قَالَ: فَجَاءَتْ غَضْبَةٌ مِنَ اللهِ فَجَاءَتْهُمْ صَاعِقَةٌ فَصَعَقَتْهُمْ، فَمَاتُوا أَجْمَعُونَ. قَالَ: ثُمَّ أَحْيَاهُمُ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: خُذُوا كِتَابَ اللهِ. فَقَالُوا: لَا، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَصَابَكُمْ؟ قَالُوا: مِتْنَا ثُمَّ حَيِينَا، قَالَ: خُذُوا كِتَابَ اللهِ. قَالُوا: لَا. فَبَعَثَ مَلَائِكَتَهُ فَنَتَقَتِ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الطُّورُ، قَالَ: خُذُوا الْكِتَابَ وَإِلَّا طَرَحْنَاهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: فَأَخَذُوهُ بِالْمِيثَاقِ. وَقَرَأَ قَوْلَ اللهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] قَالَ: وَلَوْ كَانُوا أَخَذُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ لَأَخَذُوهُ بِغَيْرِ مِيثَاقٍ»[1].

الآية المفسِّرة: بيَّنت لنا هذه الرواية أن آيات سورة البقرة وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٣ - ٨٥] قد جاءت مفسِّرة للآية [٦٣] من سورة البقرة.

ووافق عبد الرحمن بن زيد في تفسيرها بها: الطبريُّ[2].

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار القرب المَوْضِعيّ والقرب المَوضُوعِي: بيَّنت لنا هذه الرواية أن الآيات المفسِّرة جاءت منفصلة مَوْضِعياً متصلة مَوْضُوعِياً بالآية المفسَّرة.

---

(١) جامع البيان (٤٧/٢).

(٢) تفسيره (٤٧/٢).

إذ إنَّ آية [٦٣] من سورة البقرة فيها إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد: ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾، فاحتاجت لبيان، وجاء بيان هذا المبهم في السورة نفسها في الآيات: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآيات [٨٣ - ٨٥].

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم: هي من بيان المنطوق بالمنطوق، فقد فُسِّر المنطوق: ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾ في آية [٦٣] من سورة البقرة، بالمنطوق: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ الآيات [٨٣ - ٨٥] من سورة البقرة.

العلاقة بين الآيات المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار البُنْية: هي من تفسير لفظةٍ بجملة، فقد فُسِّرت اللفظة المذكورة في آية [٦٣] من سورة البقرة ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾، بالجملة المذكورة في الآيات [٨٣ - ٨٥] من سورة البقرة ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

العلاقة التفسيرية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع: العلاقة التفسيرية بينهما هي من تفسير القرآن بالقرآن بالمصطلح المطابق.

جدول يبيِّن الرابطة التي تربط بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة الواردة في روايات هذه الدراسة بالاعتبارات المختلفة

رقم الرواية	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار القرب الموْضُوعي	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار البُنية	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع	مخالفته للراجح	اللفظ المعبَّر به عند تفسير الآية بالآية
١	البيان بذكر متعلق للآية المفسَّرة	منطوق بمفهوم	جملة بجملة	مطابق		وقرأ قول الله
٢	إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد	منطوق بمنطوق	لفظة بلفظة	مطابق		وقرأ قول الله
٣	نظيرة لها			واسع		في قوله
	ذكر المقصود منها	منطوق بمنطوق	جملة بجملة	مطابق	مخالف	وقرأ
	تتميم القصة			واسع		وذلك قول الله
	ذكر المقصود منها	منطوق بمنطوق	جملة بجملة	مطابق	مخالف	وقرأ
	للاستشهاد بها على الآية المفسِّرة			واسع		وقرأ قول الله
٤، ٥	إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس الجمعي	منطوق بمنطوق	لفظة بجملة	مطابق		لقاهما هذه الآية هو قوله
٦	ذكر أعظم أفراد اللفظ العام	منطوق بمنطوق	لفظة بجملة	مطابق		وقرأ قول الله
٧	إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد	منطوق بمنطوق	لفظة بلفظة	مطابق		وقرأ
٨	نظيرة لها			واسع		وقرأ قول الله
٩	نظيرة لها			واسع		وقرأ
١٠	نظيرة لها			واسع		وقرأ قول الله
	مخصصة للعموم	منطوق بمفهوم	لفظة بجملة	مطابق		وقال
١١	بيان الكيفية للفعل	منطوق بمنطوق	جملة بجملة	مطابق		قالوا - وقرأ قوله

رقم الرواية	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار القرب الموْضُوعي	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار المنطوق والمفهوم	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار البُنية	العلاقة بين الآيتين المفسِّرة والمفسَّرة باعتبار التطابق والتوسع	مخالفته للراجح	اللفظ المعبَّر به عند تفسير الآية بالآية
١٢	تتميم أحداث القصة			واسع		قال موسى - فقال السامريّ - قال الله
١٣	نظيرة لها			واسع	مخالف	الذي قال الله
١٤	إجمال واقع بسبب الاشتراك في الاسم	منطوق بمنطوق	لفظة بجملة	مطابق		وقرأ قول الله
١٥	إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد	منطوق بمنطوق	لفظة بلفظة	مطابق		وقرأ قول الله
١٦	إجمال واقع بسبب الإبهام في اسم الجنس المفرد	منطوق بمنطوق	لفظة بجملة	مطابق		وقرأ قول الله

الخاتمة

الحمد لله على إتمام هذه الدراسة، وبعد جولة سريعة في جمع ودراسة تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم للقرآن بالقرآن في الحزب الأول من خلال تفسير جامع البيان، خرجت بجملة من النتائج أُجملها فيما يلي:

١. تكرار الإسناد إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عند الطبريّ مئات المرات، يدل على أن الطبريّ قد اعتمد هذا التفسير، تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

٢. ما ورد من تضعيفٍ لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، لا يضرّ لأنه يفسِّر ولا يروي، فالإسناد إليه صحيح.

٣. بلغ عدد الروايات التي أخرجها الطبريُّ بإسناده من تفسير عبد الرحمن بن زيد للقرآن بالقرآن في آيات الحزب الأول من القرآن: ست عشرة رواية، من مجموعٍ يقارب الثمانية والسبعين رواية أخرجها عنه في تفسير آيات الحزب الأول من القرآن، وهذا يعني أن تفسيره القرآن بالقرآن يمثل ما نسبته: عشرون بالمائة من مجموع تفسيره، وهذا بلا شك دليل على شدة اعتنائه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا النوع من البيان، واعتماده عليه.

٤. تفسير عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ القرآن بالقرآن من أغنى تفاسير السلف في هذا النوع من البيان.

٥. تأثرَ بعض المفسرين به في هذا النوع من البيان.

٦. نقل بعضاً من الروايات الإسرائيليات في أثناء بيانه للآيات، لكنها كانت من الروايات المسكوت عنها، والتي لا حرج في ذكرها على سبيل الاعتبار والتحلي بها، لا الاعتماد عليها.

٧. لم يضع للتعبير عن تفسير القرآن بالقرآن ألفاظاً معيّنة يُفهم منها التفسير، بل اقتصر على إيراد الآية المفسِّرة عند تفسير الآية المفسَّرة، فجلُّ الروايات ذَكرت

أنه عند إيراده للآية المفسِّرة يقرأها: فقد تكرر في الروايات: (وقرأ قول الله)، وربما قال: (وذلك قول الله).

٨. لم يفهم من تفسيره القرآن بالقرآن الجزم بذلك التفسير إلا في موضع واحد إذ قال: «هو قوله»، عند تفسير: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾، بـ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٢].

٩. لم يشر عند تفسير القرآن بالقرآن إلى وجه البيان أو الارتباط بين الآيتين، إلا في الآيات المتناظرة، وربما المتممة للقصة.

١٠. تفسيره الآية المفسَّرة بالآية المفسِّرة كان صحيحاً في الغالب.

١١. تفسيره الآية المفسَّرة بالآية المفسِّرة لم يخالف فيه قول الجمهور إلا في موضعين: الرواية رقم [٣]، و[١٣].

١٢. غالب تفسيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقرآن بالقرآن هو تفسير بالمصطلح المطابق، ولعل التوسع في مصطلح تفسير القرآن بالقرآن إنما حصل بقدر كبير عند من بعده.

١٣. من خلال دراسة تطبيقاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتفسير القرآن بالقرآن تبين مدى تنوع الرابطة الموضوعية بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة، وتعدد صورها عنده، وكانت في روايات هذا البحث كالتالي: ست منها بيان لمجمل، وخمس نظيرة في المعنى، واثنتان لتتميم أحداث القصة، واثنتان لذكر المقصود من الآية، وواحدة لذكر بعض أفراد اللفظ العام، وواحدة مخصصة لعموم، وواحدة لذكر متعلق للفعل، وواحدة لبيان الكيفية التي وقع بها الفعل، وواحدة للاستشهاد بها على الآية المفسِّرة.

١٤. ربما ذكر عدة آيات مفسِّرة لآية واحدة، وهذا يدل على طول نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا النوع من البيان.

١٥. كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمتع بقدرة عالية على الاستنباط، يدل لذلك حُسن ربطه بين آيتين، لا يظهر بينهما ترابط بيِّن، كالذي جاء في الرواية [٦]، وكما في الرواية [١٤].

١٦. والخلاصة: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد أهم الذين أصَّلوا لهذا النوع من البيان، من خلال كثرة تطبيقاته له من جهة، وتنوعها وصحة البيان بها في الغالب من جهة أخرى.

أما التوصيات:

نظراً لأهمية هذا النوع من أنواع التفسير؛ ولأن الدراسات فيه ما تزال بكراً رغم أهميتها وشدة الحاجة إليها، لذا فإني أدعو إلى الاهتمام بهذا اللون من البيان من عدة جوانب:

١. إكمال هذا المشروع الذي ابتدأته ليخرج مشروعاً متكاملاً يفيد القراء والباحثين.

٢. كما أدعو إلى دراسة تطبيقات المفسرين لهذا النوع من البيان على المفردة القرآنية، والمقارنة بينها من خلال السياقات القرآنية المختلفة لضبط كثير من المفردات القرآنية ومعرفة الفروق اللغوية بينها.

٣. كما أدعو إلى عقد دراسات نقدية بين التفاسير التي تعتمد هذا اللون من البيان، للكشف عن مدى تقيدها بمفهومه، والتزامها بضوابطه.

هذا والله تعالى أسأل أن يلهمني الصواب والسداد، وأن يثبتني على قوله الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يعطيني من الخير فوق ما أرجوه، ويصرف عني من السوء فوق ما أحذر، إنه يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٢. **أصول في التفسير**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٣. **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت (١٤٢٠هـ).

٤. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تخريج: محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٧هـ).

٥. **البرهان في علوم القرآن**: أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، لبنان، الطبعة الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

٦. **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٧. **التبيان في أقسام القرآن**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨. **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن الجبرين، وآخران، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٩. **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس (١٩٨٤هـ).

١٠. **التسهيل لعلوم التنزيل**: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

١١. **تفسير الإمام ابن عرفة**: محمد بن محمد بن عرفة المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

١٢. **تفسير الراغب الأصفهاني**: أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

١٣. **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٤. **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **والصحابة والتابعين**: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ).

١٥. **تفسير القرآن بالقرآن - دراسة تأصيلية**: د. أحمد البريدي، مجلة الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية.

١٦. **التفسير والمفسرون**: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٧. **تقريب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، عناية: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

١٨. **تهذيب التهذيب**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى (١٣٢٦هـ).

١٩. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: يوسف بن عبد الرحمن المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٢٠. **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠١م).

٢١. **التيسير في قواعد علم التفسير**: محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: مصطفى محمد حسين الذهبي، مكتبة القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٢٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٢٣. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٢٤. **الرسالة**: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب ابن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر.

٢٥. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة (١٤٠٥هـ).

٢٦. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٢٧. **الضعفاء الكبير**: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ).

٢٨. **طبقات المفسرين**: أحمد بن محمد الأدنه وي، من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

٢٩. **طبقات المفسرين**: محمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٠. **العبر في خبر من غبر**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١. **فتح القدير**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

٣٢. **الفهرست**: أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٣٣. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).

٣٤. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٣٥. **لسان العرب**: لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ).

٣٦. **محاسن التأويل**: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

٣٧. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٣٨. **مصادر التفسير**: د. مساعد الطيار، مجلة البيان، العدد (٩٥).

٣٩. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٤٠. **مفاتيح الغيب**: أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٢٠هـ).

٤١. **مقدمة في أصول التفسير**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (١٤٩٠هـ - ١٩٨٠م).

٤٢. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).

٤٣. **النكت والعيون**: أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل عبد الموجود، وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٥٣
المقدمة	٥٤
المبحث الأول: التعريف بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن والتعريف بعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم	٦٠
المطلب الأول: التعريف بمصطلح تفسير القرآن بالقرآن	٦٠
المطلب الثاني: التعريف بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٦٢
المطلب الثالث: شرح المصطلحات المستخدمة في بيان العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة	٦٣
المطلب الرابع: دراسة إسناد الطبريّ إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	٦٦
المبحث الثاني: مواضع تفسير القرآن بالقرآن الواردة عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في آيات الحزب الأول من القرآن	٦٨
جدول يبيِّن الرابطة التي تربط بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة الواردة في روايات هذه الدراسة بالاعتبارات المختلفة	٩٧
الخاتمة	٩٩
المصادر والمراجع	١٠٢
فهرس الموضوعات	١٠٧

الخُلاصَةُ في كَيفِيَّةِ تَحلِيلِ النُّصُوصِ في كُتُبِ عِلمِ القِراءَاتِ

بَابُ الإِدغَامِ في كتابِ الإِقنَاعِ في القِرَاءَاتِ السَّبعِ لِابنِ البَاذِشِ أُنمُوذَجًا

د. عَادِل إبرَاهِيم أبُو شَعر (*)

مُلخّصُ البَحث

هذه خلاصةٌ مركزة في كيفية تحليل النصوص وصناعتها في كتب علم القراءات القرآنية، تكشف عن سلسلة من التجاذبات والتفاعلات في قراءة النصوص، لعلَّها تنعكس إيجاباً على فهم طريقة تحليل النُّصوص وسبر أغوارها، واكتشاف مكنوناتها ومنهجيتها، وطرائق تفكير أصحابها.

ولم تكتف هذه الدراسة بمجرَّد التنظير، بل لجأت إلى ترجمة التجريد إلى واقع محسوس تتلمَّسه وتتذوقه، فسلَّطت الضوء على باب كبير من أبواب القراءات، وهو باب الإدغام في كتاب «الإقناع في القراءات السبع» للإمام الكبير أبي جعفر أحمد ابن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطيّ الملقَّب بـ «ابن الباذِش» (ت: ٥٤٠هـ - ١١٤٥م).

وكان سبب الاختيار لهذا البحث هو قلة الأبحاث التي تتناول نصوص القراءات بالتحليل من حيث لغتها ومصطلحاتها وقضاياها. وسبب اختيار كتاب «الإقناع» أنه كتاب جامعٌ بين الرِّواية والدِّراية، وله منزلةٌ بين كتب القراءات، وأكثرُ الروايات التي ينقلها في كتابه هي قراءاتٌ صحيحةٌ متصلةُ الإسناد إلى يومنا هذا.

(*) أستاذ مشارك في قسم القراءات والدراسات القرآنية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، عمان.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه خلاصةٌ في كيفية تحليل النصوص وصناعتها في كتب علم القراءات القرآنية، تكشف عن سلسلة من التجاذبات والتفاعلات في قراءة نصوصها، ولعلَّها تنعكس إيجاباً على فهم طريقة تحليلها وسبر أغوارها واكتشاف مكنوناتها ومنهجيتها، وطرائق تفكير أصحابها.

إن النصَّ بأشكاله المتنوعة هو «مدوَّنة حدثٍ كلاميٍّ ذي وظائف متعددة»(١)، وهو «شكلٌ لسانيٌّ للتفاعل الاجتماعيِّ»(٢)، أي: هو طريقةٌ للتواصل بين بني البشر، تبعاً للمقام الذي جاء فيه وللعلاقات الاجتماعية واللسانية والثقافية والمعرفية التي تحكمه. وهو بهذا الأخير يتعدّى مفهوم المفردة اللغوية والجملة النحوية إلى رصد العلائق المختلفة التي تضمُّ الجملَ بعضها إلى بعض، من روابطَ زمنيةٍ ومكانيةٍ، وتركيبيةٍ، وما يتصل منها بالمضمون خاصة، فيما يسمَّى اليوم بـ: «علم لغة النص»(٣).

وهذه الدراسة ونصوصها يمكن أن تدخل ضمن الدراسات الأدبية العلمية، فمن حيث إنها أدبيّة؛ لأن بعض أحكامها غير ثابتة وظنِّية؛ ويمكن أن تؤلِّف نقيضاً للنصِّ العلميِّ الذي نلحظه في العلوم التطبيقية كالقوانين الفيزيائية والكيميائية، أعني من حيث الحتمية.

ومن حيث إنها دراسة علميّة؛ لأنها قد ترتقي في نصوصها لتؤلِّف نصّاً علمياً متماسكاً، لما توافرت لديها الأدلة والشواهد المناسبة والاستقراء الذي يصدق على أفرادها. ومن هذه الحتمية - في معرض المثال لا الحصر - ألَّفت نصوص سيبويه وآراؤه

(١) تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص، محمد مفتاح، (ص١١٩، ١٢٠).
(٢) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين (ص١٨).
(٣) أصول المعايير النصية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، عبد الخالق شاهين (ص٤٨).

مفصلاً مهماً دارت عليه آراء من جاء بعده إلى زمننا أو قريب منه، ومنهم صاحبُ «الإقناع» في جملةٍ لا بأس بها من نصوصه، كما سيرد في هذا البحث.

وأيّ طرح علميٍّ تتعدد فيه الآراء هو - في الحقيقة - يصف انفعالات أذكياء الناس تجاه ما يرونه من ظواهر تحيط بهم، وكيفية قراءتها والحكم عليها، ومن هنا تتعدد قراءات الناس للنصوص بحسب مستوياتهم المعرفية، وبحسب قدرة صاحب النصِّ على الإقناع بطروحاته وآرائه.

وينطبق هذا على كتب التجويد والقراءات، إذ يتفاوت توصيف الصورة الأدائية للقرآن الكريم في عبارات المصنِّفين قوة وضعفاً؛ لأن ملكات الناس وفهومهم تختلف إزاء الظواهر الصوتية التي ينفعلون تجاهها، ومن هنا أجاب الخليل بن أحمد الفراهيديُّ (ت: ١٧٠هـ) عن سؤال وجِّه إليه عن العلل التي يذكرها في كلام العرب مقرِّراً قابلية التفاوت في التوصيف. قال السُّيوطيُّ: «وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُئل عن العلل التي يعتلُّ بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتَها أم اخترعتها من نفسك؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن العرب نطَقت على سجيَّتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها عللُه، وإن لم يُنقل ذكرٌ عنها، واعتللتُ أنا بما عندي أنه علَّةٌ لما علَّلْته منه، فإن أكن أصبتُ العلَّةَ فهو الذي التمستُ، وإن تكن هناك علَّة له، فمثَلي في ذلك مثلُ رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبةَ النظم والأقسام، وقد صحَّت عنده حكمةُ بانيها، بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هذا هكذا لعلّة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا سنَحتْ له بباله محتملةً لذلك، فجائزٌ أن يكون الحكيمُ الباني للدار فعَل ذلك للعلَّة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائزٌ أن يكون فعَله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكَره هذا الرجلُ محتملٌ أن يكون علَّةً لذلك، فإن سنح لغيري علَّة لما علَّلْته هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها»[1].اهـ. وهو كافٍ في هذا الباب.

(١) انظر: الاقتراح في أصول النحو (ص٢٧٣).

وقد لجأت هذه الدراسة - لأغراض التحليل - إلى ترجمة التجريد والتنظير في التحليل إلى واقع تطبيقيٍّ محسوس تتلمَّسه وتتذوقه، فسلَّطت الضوء على باب كبير من أبواب القراءات، وهو باب الإدغام في كتاب «الإقناع في القراءات السبع» للإمام الكبير أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطيّ الملقَّب بـ «ابن الباذِش» (ت: ٥٤٠هـ - ١١٤٥م).

مشكلة البحث:

يجيب البحثُ عن التساؤلات الآتية:

- هل يمكن دراسة كتب القراءات وتحليل نصوصها؟
- هل تصلح كتب القراءات مادةً للتحليل؟
- هل يمكن اكتشاف طريقة المصنفين في القراءات ومنهجيتهم ولغة كتابتهم من خلال التحليل؟
- هل يمكن اكتشاف أهداف الكاتب العميقة من خلال التحليل؟
- هل يمكن طريقة تحليل النصوص أن تكون رافداً مساعداً لخدمة الطلاب في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، واكتسابهم الخبرة العملية في قراءة النصوص وتحليلها؟
- إلى أي مدى يمكن الاستفادة من منهجية التحليل في طريقة تعاملنا مع نصوص التراث؟

سبب اختيار موضوع البحث:

كان سبب الاختيار لهذا البحث هو قلة الأبحاث التي تتناول نصوص القراءات بالتحليل من حيث لغتها ومصطلحاتها وقضاياها. وسبب اختيار كتاب «الإقناع» أنه كتاب جامعٌ بين الرِّواية والدِّراية، وله منزلةٌ بين كتب القراءات، وأكثرُ الروايات التي ينقلها في كتابه هي قراءاتٌ صحيحةٌ متصلةُ الإسناد إلى يومنا هذا.

حدود البحث:

تقع حدود البحث في الفترة الزمنية التي وقعت بين (٤٩١ و٥٤٠هـ - ١٠٩٨ و١١٤٥م)، أي: في أواخر القرن الخامس الهجري والنصف الأول من القرن السادس الهجريّ، وهو العصر الذي نضجت فيه العلوم القرائية واستقرت مصطلحاتها. ويتركز موضوعه في تحليل إدغام القراء السبعة من خلال كتاب «الإقناع» لابن الباذش.

أهداف البحث:

- استعمال صناعة تحليل النصوص للكشف عن جانب تأصيليٍّ من اللغة العلمية التي يكتب بها علماء القراءات مصنفاتهم من حيث التقسيم والتفريع، وتناول القضايا والمصطلحات وغير ذلك.
- اكتشاف مقاييس الترجيح والرد عند علماء القراءات.
- الكشف عن الصلة الوثيقة بين معارف علماء العربية ومعارف علماء التجويد والقراءات.

الدراسات السابقة:

هذا التناول في تحليل نصوص القراءات وصناعتها لم أعثر - فيما اطلعت عليه - على دراسة خاصَّةٍ تناولته، وجملة ما عثر الباحث عليه هو كيفية تحليل النصوص الأدبية وطرائقها، مما هو داخل في بحثي بخطوطه العامة، وخارج عنه بخطوطه وقضاياه الخاصة.

خطة البحث ومنهجيته:

انتظم هذا التحليل في مقدمة، ومبحثين تحتهما عدد من المطالب، وهناك خاتمة ونتائج كالآتي:

المقدمة:

المبحث الأول: المصنف والكتاب:

المطلب الأول: مصنِّف الكتاب وقائل النص.

المطلب الثاني: معرفة الكتاب الذي ورد فيه النصُّ ومكانته عند العلماء.

المبحث الثاني: تحليل النصِّ: وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معرفة مشكلة النصِّ.

المطلب الثاني: التحليل المباشر للنصِّ.

المطلب الثالث: التحليل المعمَّق للنصِّ.

الخاتمة ونتائج البحث.

المراجع والفهارس.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث كل من قرأه، وبالله التوفيق.

المبحث الأول
المصنف والكتاب

المطلب الأول: مصنِّف الكتاب وقائل النصِّ:

الغرض من ذكر هذه الفقرة تكوينُ فكرة إجمالية تكشف عن حال قائل النصِّ وثقافته وتكوينه العلمي، والمراجع التي يستند إليها، والفترة التي عاشها، وذلك للمساعدة في تحليل النصِّ، فهذه المؤشرات المأخوذة من خارج النص ستضع التحليل في المسار المناسب؛ لأنها ستساعد - نسبياً - في فهم النص وتحديد نوعيته.

أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:

الإمام أحمد بنُ عليّ بنِ أحمدَ بنِ خلَف الأنصاريُّ الغرناطيُّ الجيَّانيُّ (٤٩١ - ٥٤٠هـ - ١٠٩٨ - ١١٤٥م)، من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، ويعرف بابن الباذِش[1]. باذش: بِفَتْح أَوَّله وَبعد الْألف ذالٌ مُعْجمَة مَكْسُورَة ثمَّ شين مُعْجمَة. وأصله من جيَّان. وكانت مدَّة حياته: تسعاً وأربعين سنة.

ثانياً: الحياة العلمية في القرنين الخامس والسادس (الفترة التي عاشها ابن الباذِش):

عاش الإمام أبو جعفر في النِّصف الأخير من القرن الخامس والنِّصف الأول من القرن السادس، وكانت العلوم والفنون قد تأصَّلت في العراق ومصر والشام ونضجت في

(١) لعل لسان الدين بن الخطيب الأندلسي في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» (١٩٤/١) هو أبرز من جمع له ترجمة وافية لخَّصتها هي وغيرها في هذه السطور القليلة. وانظر للاستزادة من ترجمته في: الصلة لابن بشكوال (٨٢/١)، وبغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لأبي جعفر الضبيِّ (ص٢٠٠)، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٨/١ و٤٣) وغيرها، ومعجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبار القضاعي (ص٣١ وص٢٤٧)، وتاريخ الإسلام (١٦٨/١٤)، وسير أعلام النبلاء (٤١٤/١٤)، ومعرفة القراء الكبار (١٢٦٣/٣)، وميزان الاعتدال (١٥٥/١) كلاها للذهبي، والوافي بالوفيات (١٩٢/٦)، والديباج المذهب لابن فرحون (١٩٠/١)، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٨٣/١)، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم لابن ناصر الدين (٣٢٠/١)، وبغية الوعاة للسيوطي (٣٣٨/١)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد مخلوف (١٣٢/١)، والأعلام للزركلي (١٧٣/١).

الأندلس في هذه الفترة والتي سبقتها. واستقطبت الأندلس كبار العلماء والقراء، وأمَّنت لهم ظروف العطاء العلميِّ ووسائل الإقراء والاستقرار. فكوَّن الإمام مكيُّ بن أبي طالب القيسيُّ (ت: ٤٣٧هـ)، والإمام أبو عمرو الدانيُّ (ت: ٤٤٤هـ)، والإمام شريح بن محمد بن شريح بن أحمد بن الحسن الرعينيُّ الإشبيليُّ (ت: ٥٣٧هـ) الأساسَ «الذي تأسست عليه مدارس القراءات في الغرب الإسلاميِّ، فكان الحافظ أبو عمرو [الدانيُّ] رائدَ الاتجاه الأثريِّ الذي آثر الاعتصامَ بسبل الرِّواية القرآنية، وبذل جهدَه الكبير في توثيقها وتمحيصِها، وكان أبو محمد مكي شيخ المدرسة التي استندتْ إلى مقاييس لغة القرآن وترجيح الأفصح منها، ثمَّ استكمل ابن شريح عملَهما بالتزام مقوِّمات النصِّ من روايةٍ ورسمٍ ولغةٍ»[١].

ثالثاً: ثقافته وتكوينه العلمي والعلماء المؤثرون في مسيرته العلمية:

كان ابنُ الباذش واسعَ الثقافة والمعرفة والاطلاع، درَس القرآن، والحديث، والعربية، والأصول، وعلم الكلام في بيئة علميَّة جادَّة تفجَّرت فيها ينابيع العلم والحكمة في علوم القرآن والقراءات وغيرهما، فظهرت المصنَّفات المشهورة في علم القراءات والتجويد، وأبرزت تلك الحقبةُ أكابرَ العلماء كالدانيِّ ومكيِّ وابنَي غَلْبون والمالكيِّ والطَّلَمَنْكِيِّ والهُذَليِّ وأبي داود وغيرهم.

وكان أبوه[٢] فِي وَقْتِهِ المنفردَ بصناعة العربية في غرناطة مع المعرفة بالقراءات والمشارَكةِ فِي عُلُومٍ شَتَّى، ومن المتقدِّمين في النحو والأدب، وأحد من جمع علم القرآن والحديث واللغة والشعر والنحو، فتفقّه الإمام أبو جعفر بأبيه الإمام أبي الحسن، وأكثرَ الروايةَ عنه، واستوفى ما كان عنده، وشاركه في كثير من شيوخه. وكان أبوه من أحفظ الناس لكتاب سيبويه، وله مؤلَّفات في النحو، منها حاشيةٌ على كتاب سيبويه، وعلى

(١) انظر: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد ابّاه (ص١٩٨).

(٢) علي بن أحمد بن خلف أبو الحسن الباذش الأنصاري الغرناطي، أستاذ حاذق محقق كامل. وكان من المحققين البصراء بضروب القراءات والآداب، عارفاً بالحديث ورجاله، ذا ورع وديانة وإتقان وشهرة، تصدر للإقراء والنحو بغرناطة فأكثروا عنه. غاية النهاية لابن الجزري (٥١٩/١).

كتاب المقتضب للمبرِّد، وعلى الأصول لابن السّراج، وشرح كتاب الإيضاح والجمل كلاهما لأبي القاسم الزجاجي. ولذلك نجده في كتابه الإقناع يكثر الرواية عن أبيه، ويكثر أخذ التعليلات والترجيح من كتاب سيبويه. بل وذكر في مقدمة كتابه أنه أطلعه على مُشْكِله وعَوِيصه، واتضح هذا جلياً في باب الإدغام خاصة في حديثه عن مصطلح إخفاء الميم عند الباء[1]، وقلب النون الساكنة ميماً عند الباء[2].

ومن أبرز مشايخه الذين أخذ القراءات عنهم عرضاً:

أبوه أبو الحسن بروايته عن القاضي أبي علي بن سُكَّرة الصَّدَفِيِّ السَّرَقُسْطِيِّ (ت: ٥١٤هـ)، ويُعرف بابن الدرَّاج[3] تلميذ أبي طاهر بن سِوَار (ت: ٤٩٦هـ)[4].

وأخذ عن الإمام المقرئ أبي القاسم خلفِ بن إبراهيمَ بن خلفِ بن سعيد النخَّاس القرطبيِّ (ت: ٥١١هـ)[5]، رحل إلى قرطبة ولازمه، وهو الذي يتردَّد اسمه في الكتاب، وفي باب الإدغام.

وعن أبي الحسن شُرَيح بنِ محمَّد (ت: ٥٣٧هـ)[6]، وَلَدِ أبي عبد الله محمد بن شريح (ت: ٤٧٦هـ) صاحب كتاب الكافي في القراءات[7]. ويعدُّ ابن الباذش التلميذ الأخصَّ

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٧٩).

(٢) انظر: الإقناع (١/٢٥٧).

(٣) الحسين بن محمد بن سُكَّرة أبو علي الصَّدَفيُّ الحافظ إمام كبير، توفي (٥١٤هـ). غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٤٩).

(٤) أحمد بنُ علي بن عبيد الله بن عمرَ بن سِوَار، الأستاذ أبو طاهرٍ البغداديُّ الحنفيُّ، مؤلِّف المستنير في العشر، إمامٌ كبيرٌ محققٌ ثقة. قرأ عليه أبو علي بن سُكَّرة الصَّدَفيُّ شيخ ابن الباذش، ومحمد بن الخضر المحولي، وأبو محمد سبط الخياط، وأبو الكرم الشَّهْرَزُوريُّ. توفي (٤٩٦هـ). غاية النهاية لابن الجزري (١/٨٦).

(٥) خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد، الإمام أبو القاسم بن النخَّاس القرطبيُّ، عُرف بالحصَّار، أستاذ رحال ثقة. توفي (٥١١هـ). غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٧١).

(٦) شريح بن محمد بن شريح بن أحمد أبو الحسن الرعينيُّ الإشبيليُّ، إمامٌ، مقرئ، أستاذ، أديب، محدث، وَلِيَ خطابة إشبيلية وقضاءها، وكان فصيحاً بليغاً خيراً، قرأ القراءات على أبيه محمد صاحب الكافي، وروى عنه كثيراً. توفي (٥٣٧هـ). غاية النهاية لابن الجزري (١/٣٢٤).

(٧) محمد بن شريح بن أحمد أبو عبد الله الرعينيُّ الإشبيليُّ، الأستاذ المحقِّق، مؤلِّف الكافي والتذكير، لقي مكيَّ بنَ أبي طالب وأجازه، ورجع بعلم كثير فولّي خطابة إشبيلية بلده، تلا بالقراءات الثماني عليه ابنه أبو الحسن شريح، وعيسى بن حزم، توفي (٤٧٦هـ). غاية النهاية لابن الجزري (٢/١٥٣).

له، وهو الذي استفاد منه في كتابه، وروى عنه فصلاً في باب الهمز عنوانه: «مسائل ابن شريح»[1].

وعن أبي الحسن عليِّ بن أحمدَ بن محمدِ بن كُرْز الأنصاريِّ الغرناطيِّ (ت: ٥١١هـ)[2] بقراءته على الأستاذ أبي القاسم عبد الوهَّاب بن محمد القرطبيِّ[3] صاحب كتاب الموضح في التجويد، وصاحب أبي عليّ الأهوازيِّ[4]، وصرَّح أبو جعفر بقراءته على أبي الحسن في أكثر من موضع.

المطلب الثاني: معرفة الكتاب الذي ورد فيه النصُّ ومكانته عند العلماء:

أولاً: اسم الكتاب:

ألّف ابن الباذش كتاب «الإقناع في القراءات السبع»، ويبدو أنه لم يكن أولَ من اخترع هذا الاسم، فقد سبقه الإمامُ أبو علي الأهوازيُّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ إبراهيم ابن يَزدادَ بن هُرْمُز (ت: ٤٤٠هـ)، شيخ القراءة في عصره بلا منازع فقد ذُكر في كتب التراجم أنه ألّف كتاب «الإقناع في القراءات»[5]. ولصاحبنا ابن الباذش وُصْلةٌ معه في

(١) انظر: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب (ص٣٢٠).

(٢) عليُّ بن أحمد بن محمد بن كُرْز أبو الحسن الأنصاريُّ الغرناطيُّ، مقرئ فاضل ثقة، أخذ القراءات عن عبد الوهَّاب ابن محمد القرطبيِّ صاحب الأهوازي، توفي (٥١١هـ). غاية النهاية لابن الجزري (٥٤٣/١).

(٣) عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو القاسم القرطبي مقرئٌ محرِّرٌ أستاذٌ كاملٌ متقنٌ كبيرٌ رحَّالٌ، صاحب كتاب المفتاح في القراءات، رحل وقرأ على أبي علي الأهوازي بدمشق. قال أبو عبد الله الحافظ: كان عجباً في تحرير هذا الشأن ومعرفة فنونه. وقال ابن بشكوال: كانت الرحلة إليه في وقته. توفي (٤٦١هـ). غاية النهاية لابن الجزري (١٥٣/٢).

(٤) الحسن بن عليِّ بن إبراهيم بن يَزْدادَ بنِ هُرْمُز الأستاذ أبو علي الأهوازيُّ، صاحب المؤلفات شيخ القراء في عصره وأعلى من بقي في الدنيا إسناداً. إمام كبير محدث، ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بالأهواز، وقرأ بها وبتلك البلاد على شيوخ العصر، ثم قدم دمشق سنة إحدى وتسعين فاستوطنها وأكثر من الشيوخ والروايات فتكلم فيه. وقال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ولقد تلقَّى الناس رواياته بالقبول. توفي (٤٤٦هـ). غاية النهاية لابن الجزري (٢٢٢/١).

(٥) كتاب «الإقناع» لأبي علي الأهوازي، اشتمل على إحدى عشرة قراءة وعشرة اختيارات، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٤٠/١)، وإسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين (٢٧٥/١)، وكحالة في معجم المؤلفين (٢٤٧/٣)، وعثر الدكتور عمر حمدان على قطعة منه حقَّقها وأرفقها في كتابه: «الأهوازي وجهوده في علم القراءات» (ط١) المكتب الإسلامي، عمان، الأردن (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

كتابه. وهناك كتبٌ في غير فنِّ القراءات لها ذات الاسم، ككتاب: «الإقناع في النحو» لأبي سعيد السيرافيّ (٣٦٨هـ)، شارح كتاب سيبويه. وغالب ما يميِّز هذه الكتب كثرةُ المسائل وتحرير النقول.

ثانياً: سبب تأليف الكتاب:

يُعد كتاب الإقناع تهذيباً وشرحاً وتتميماً لكتابَي: التبصرة لمكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ)، والتيسير لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، كما صرَّح ابن الباذش في مقدمة كتابه[١]، وهما كتابا رواية، جعلهما ابن الجزريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ من فئة الكتب التي اشترط أصحابها فيها الأشهر من القراءات والروايات، واختاروا ما قُطع به عندهم على صحَّته. فتلقَّى الناس هذه الكتب بالقبول وأجمعوا عليها من غير معارض[٢].

ثالثاً: منهج الكتاب وطريقة تبويبه:

يبدأ الكتاب بمقدمة المصنف، ثم التعريف بالقراء السبعة ورواتهم وأسانيدهم، ثم أسانيد المؤلف إلى القراء، ثم الاستعاذة والبسملة وما يتعلق بهما، ثم أبواب الأصول، وشغَل باب الإدغام وباب الهمزة المكانَ الأكبر منها، ثم بابٌ لكيفية التلاوة وتجويد الأداء، وبابٌ آخر فيما خالف به الرواة أئمَّتهم، وهو بهذين البابين قد خالف من سبقه في الترتيب - فيما اطلعت عليه - ثم أتبع هذا الباب بفرش الحروف، ثم التكبير وما يتعلق به.

رابعاً: أسانيد الكتاب وطرقه:

أفرد الإمامُ ابن الباذش في كتابه قسماً خاصاً بأسانيده إلى القراء السبعة ورواتهم بأسانيدهم المتصلة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر أنه سيؤلِّف كتاباً خاصاً بالطرق

(١) الإقناع (٤٩/١).
(٢) منجد المقرئين (٢١).

التي قرأ بها القرآن تلاوةً، وتشتمل على ثلاثمائة طريق[1]. وأورد ابن الجزريِّ كتاب «الإقناع» في «نشره» على أنه من مصادره، ولكنه لم ينتق منه أيَّ طريق صراحةً.

لكن في «الإقناع» عدة طرق مطابقة لما اختاره ابن الجزريِّ من كتبٍ أخرى تصلُ إلى ثمانية وخمسين طريقاً[2]. وقد تقدَّم أنَّ باب الإدغام قد شغل الجزء الأكبر من الأصول، أسند فيه ابنُ الباذش الرواية عن أكثر من مائة وخمسين قارئاً دار عليهم معظم الباب[3]؛ ممَّا يدلُّ على سعة روايته، وغَناء باب الإدغام، مقصودِ هذه الدراسة.

خامساً: ثناء العلماء على الكتاب:

أثنى العلماء على كتابه «الإقناع»، وذكروا أنه لم يؤلَّف في بابه مثله. وذكر ابن الجزريِّ أنه من أحسن الكتب، ولكنَّه ما يخلو من أوهام نبَّه عليها ابن الجزريّ في كتابه «الإعلام في أحكام الإدغام»[4]. وقال أبو حيَّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في مقدِّمة تفسير «البحر المحيط»: «وأحسنُ الموضوعات في القِراءات السَّبع كتاب «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذِش (ت: ٥٤٠هـ)، وفي القِراءات العشْر كتاب «المصباح» لأبي الكرم الشَّهْرَزُوريِّ (ت: ٥٥٠هـ)»[5].

---

(١) قال في الإقناع (٣٨/١): «ولي طرق جيادٌ عاليةٌ في رواية عمرو، وليس هذا موضع ذكرها؛ لأن كتابي هذا ليس بكتاب طرق، وسأضع إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ كتاباً يشمل الطرق التي قرأت بها تلاوة ومبلغها ثلاثمائة طريق، إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ».اهـ

(٢) على سبيل المثال اشتراك طرق «الإقناع» مع طرق التيسير للإمام الداني الواردة في النشر، الأرقام: (٢، ٩٠، ١٥٥، ٢٠٠، ٣٦٨، ٣٩٦، ٤٥١، ٥٤٢، ٦٠٩، ٦٦٣، ٧١٨، ٧٨٧)، ومع طرق الشاطبية، الأرقام: (١، ٨٩، ١٥٤، ١٩٩، ٣٦٧، ٣٩٧، ٤٥٠، ٥٤٣، ٦٠٨، ٦٦٢، ٧١٧، ٧٨٨)، انظر: السلاسل الذهبية بالأسانيد النشرية (ص٣٨).

(٣) قمت بإحصاء الأعلام الذين وردت أسماؤهم في الباب بعد حذف المكرَّر فبلغ هذا العدد ما يقرب من (١٦٠) قارئاً.

(٤) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٨٣/١). و«كتاب الإعلام في أحكام الإدغام» ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (٨١/١)، وذكر أنه شرحٌ لأرجوزة أحمد المقرئ.

(٥) البحر المحيط (١٦/١).

وممَّا تميَّز به كتاب «الإقناع» تضلُّعُه بنقل نصوصٍ نادرة عن القراء الأوائل لا نجد نظائر لها عند مَن تقدَّمه إلا في «جامع البيان» للإمام أبي عمرو الدانيِّ[1]، فمن ذلك ما نقَله عن الإمام ورش عثمان بن سعيد (ت: ١٩٧هـ) قوله عن ياءَي: ﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]: «قال يونس: قال لي عثمان: وأحبُّ إليَّ أن تنصِب (محياي) وتُوقِف (مماتي)»[2]، يعني بالوقف الإسكان. وكذلك احتواؤه على بعض القراءات من خارج القراءات السبع[3].

(١) يعدُّ كتاب «جامع البيان» للإمام أبي عمرو الدانيِّ العمدةَ في هذا الباب، وأهمُّ ما يميزه هو نَقلُه مصطلحات القرَّاء الأوائل، وكيف كانوا يُعَبِّرون عن قراءتهم، والأهمُّ من ذلك حلُّ عُقَدِها وكَشْفُ مغلَقاتِها. انظر على سبيل المثال: جامع البيان (٩٧٩/٣)، (١٢٢١/٣).

(٢) الإقناع (٥٦٤/١). وانظر على سبيل المثال النصوص الواردة عن القراء الأوائل في باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة وتجويد الأداء (٥٥٢/١) وما بعدها، وباب ما خالف به الرواة أئمتهم (٥٦٣/١) وما بعدها.

(٣) انظر: الإقناع (١٨٨/١).

المبحث الثاني
تحليل النصِّ

عند البدء في تحليل النصِّ يلزم استعراضه كاملاً من قبل القارئ، والغرض من ذلك تكوينُ فكرةٍ إجمالية عنه، وعن طريقة مؤلِّفه في العرض، والموضوعات التي تطرَّق إليها، وأقسام النصِّ الرئيسة. والغرض من ذلك أن يصير بإمكاننا تكوين أفكار عن النص وربطها بما نعرفه من معلومات سابقة، تكون إما شبيهة بما نستنتجه من أفكار، أو متناقضة معها، أو ناقدة لها، فيما يسمَّى: «موقف القارئ» في علم لغة النصِّ. ولا بدَّ هنا من قراءة باب الإدغام كاملاً عند ابن الباذش قبل الدخول في عناصره الرئيسة. ومحاولة كتابة أسئلة تنقدح في الذهن في أثناء قراءته.

ويلزم التنبيه على أمرين اثنَين:

الأوَّل: القراءة السليمة للنصِّ: والمقصود بها أن تكون لدى قارئ النصِّ ثقافة لسانية خاصة في علوم العربية تُمكِّنه من قراءة النصِّ بطريقة سليمة؛ إذ لا ينبغي للمحلِّل أن يعتمد على المطبوع إن كان بلا تحقيقٍ، أو أن يسلِّم للمحقِّق تحقيقَه. وهناك شواهد كثيرة من أخطاء الكتب والتحقيق التي تطالعنا بها المكتبات التجارية كلَّ يوم. وكذا الأمر حالُه في النَّشر الإلكتروني للكتب، المكتبة الشاملة مثالاً[1].

في نصِّ ابن الباذش بذَل المحقِّق الفاضل جهداً كبيراً في تجلية النصِّ، إلا أنه يؤخذ عليه ما يأتي:

- أكثر الحواشي التي تشرح غامض النصِّ هي من كلام المحقِّق وغير موثَّقة بالمراجع، كالتعريفات التي يسوقها في شرح المفردات، فتحتاج إلى مراجعتها وتوثيقها من مظانِّها[2].

---

(١) انظر ما قاله الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة كتاب: «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» (٦/١). ومن أقرب الأمثلة في مكتبة الشاملة: «كتاب النشر»، حيث هو مليءٌ بالتصحيف والتحريف والسقط، مما يجعل المكتبة الشاملة وسيلة مساعدة في البحث عن المعلومة، غير آمنة في النقل والتوثيق.

(٢) انظر على سبيل المثال: الإقناع (١٦٤/١ و١٦٥ و١٦٦ و١٦٧ و١٧١ و١٧٢ و١٧٣ و١٩٨ و١٩٩) وغيرها.

- بعض الأوهام في وضع علامات الترقيم، كشرح القسم الذي لا يجوز فيه إلا الإدغام أوهمتْ بعض علامات الترقيم أن كلَّ الباب يمتنع فيه الإدغام[1].
- بعض الأوهام في قراءة بعض الكلمات في المخطوط، كمثل قول ابن الباذش: «قال لي أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: زعم القراء أن النون عند الباء مخفاة، كما تخفى عند غيرها من حروف الفم، وتأويل قوله أنه سمى البدل إخفاء، وقد أخذ بظاهر عبارته قومٌ من القراء المنتحلين في الإعراب مذهب الكوفيين، وتبعهم قوم من المتأخرين، خلطوا بين مذهب سيبويه وعبارة القراء، من القلب والإخفاء، فغلطوا»[2] اهـ. وكلمة: «القراء» في الموضعين اللذين تحتهما خطٌّ هي تصحيفٌ عن كلمة: «الفرَّاء»، العالم المشهور، والسياق يقتضيها.

كما يلزم محلِّل النصِّ إعادة قراءته كاملاً أكثر من مرة حتى تزول الغربة والوحشة بينه وبين النصِّ.

الثاني: التذوُّق السَّليمُ للنصِّ: المقصود بهذا أن يمتلك القارئ ثقافةً تخصُّصيةً في النصِّ الذي يتناوله، فهناك معانٍ معلنة مباشرة صريحة في النصِّ، وهي أقلُّ بكثير من المعاني المبطّنة والأفكار العميقة، يعني أن ما يُكتب تلميحاً بين السطور يفوق بكثيرٍ ما يُكتب تصريحاً فوق السطور. وهذه النقطة من الأهمية بمكان، وبها يتميز طالب التخصص على غيره، فهناك فرق بين القراءة السطحية للنصِّ - والتي تعتمد على الملاحظة المباشرة بشكل رئيس، والدخول عليه بمعلومات سابقةٍ، والتنظير السطحيّ له، وإصدار الأحكام الجزافية والمتسرِّعة وغير الدقيقة في حقه - وبين القراءة المعمَّقة له، التي تستدعي التعرُّف على لغته ومصطلحاته في زمنه واستعمالاته وسبر أغواره وطرائق استدلالاته، وما يستدعيه من معلومات سابقة عليه أو لاحقةٍ به، وبالتالي استنباط الفوائد منه، ومعرفة قيمته، وإصدار حكم عادل في حقِّه بحسب الوُسع

(١) الإقناع (١/١٧٠).
(٢) الإقناع (١/٢٥٨).

والطاقة. وحينئذ يكون باستطاعة محلِّل النصوص - بواسطة ربط المعاني بعضها ببعض - تقديمُ تحليل يتميز بالعمق والشمولية والاحترافية والإبداع.

المطلب الأول: معرفة مشكلة النصِّ:

يقصد بهذا المطلب الكشف عن الفكرة الرئيسة المباشرة في النصِّ، ووضع عنوان مناسب لها، وكذا الكشف عن الأفكار العميقة عند استقراء النصِّ.

أولاً: الفكرة الرئيسة:

تتلخص الفكرة الرئيسة في باب الإدغام عند ابن الباذش في: «تأثر الحروف بعضها ببعض وأحكامها»، أو قل: «التلاؤم الصوتي بين الحروف وقوانينه، والصحيح المقروء به والشاذّ عنه».

ثانياً: الأفكار العميقة:

- لغة النصِّ والمصطلحات المستعملة للتعبير عن الظواهر الأدائية.
- طريقة العرض والتقسيم والتفريع، وإيراد المسائل والأمثلة، والتقوِّي بالأدلَّة النقليَّة والعقليَّة.
- معرفة القوانين الصوتية التي تحكم الأداء القرآني.
- قواعد الاختيار والترجيح بين القراءات والروايات.

ثالثاً: صياغة مشكلة النصِّ على هيئة أسئلة:

يقصد بهذه الفقرة استخلاص الأفكار الرئيسة من النصِّ، وصياغتها على هيئة أسئلة. وفي باب الإدغام عند ابن الباذش، **جاءت الأفكار الرئيسة على هيئة الأسئلة الآتية:**

- ما تعريف الإدغام؟[1]
- ما أقسام الحروف عند التقائها بحروف أخرى، من حيث جواز إدغامها فيها وعدمه؟[2]

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٦٤).

(٢) انظر: الإقناع (١/١٦٤).

- ما تعريف القسم الذي لا يجوز فيه إلا الإدغام؟(١)
- هل هناك فرق بين إدغام حرف المدِّ واللِّين في مثله وبين إدغام حرف اللِّين في مثله؟(٢)
- ما الاستثناءات من المثلين في هذا القسم؟(٣)
- ما تعريف القسم الذي لا يجوز فيه الإدغام؟(٤)
- ما مخارج الحروف؟ وما الحروف المنطوق بها عند كل مخرج؟(٥)
- ما صفات الحروف التي تتميز بها؟ وما الحروف المتَّصفة بكل صفة من هذه الصفات؟(٦)
- ما القسم الذي يخشى على صاحبه من اللَّحن فيه؟ وما سبب إيراده قبل الإدغام الكبير؟(٧)
- ما تعريف القسم الذي يجوز فيه الإظهار والإدغام؟(٨)
- ما سبب تسمية الإدغام بالكبير؟ وما شروطه؟ وما موانعه؟(٩)
- ما هي أصول الإدغام الكبير عند حروف الهجاء؟ وما الفرق بين الهمزة إذا التقت بأختها، وسائر الحروف إذا التقت بأمثالها ومقارباتها، من حيث جواز وقوع الإدغام عليها وعدمه؟(١٠)

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٦٤).
(٢) انظر: الإقناع (١/١٦٥).
(٣) انظر: الإقناع (١/١٦٥ - ١٦٩).
(٤) انظر: الإقناع (١/١٧٠).
(٥) انظر: الإقناع (١/١٧١ - ١٧٣).
(٦) انظر: الإقناع (١/١٧٤ - ١٧٦).
(٧) انظر: الإقناع (١/١٧٦).
(٨) انظر: الإقناع (١/١٩٤).
(٩) انظر: الإقناع (١/١٩٥).
(١٠) انظر: الإقناع (١/١٩٧ - ١٩٩).

- بم يدغَم كل حرف من حروف الهجاء العربية؛ عدا الهمزة، إدغاماً كبيراً؟ وما شروط ذلك الإدغام لكل حرف من تلك الحروف؟ وما موانعه؟(١)
- ما أقسام الإدغام الصغير؟(٢)
- ما أحكام الأصناف الستة، من حيث الإظهار والإدغام، اتفاقاً واختلافاً؟(٣)
- ما الأصناف التسعة للمختلف فيه من الساكن الذي تعرَف حركته في الإدغام الصغير؟(٤)

المطلب الثاني: التحليل المباشر للنصِّ:

يُنظر عادةً في التحليل المباشر للنصوص إلى طريقة عرض المصنِّف للموضوعات والمسائل المعقودة لخدمتها ومنهجيتها؛ هل كان حديثه فيها مركزاً أو مشتتاً؟ وهل استطرد المصنِّف في جزئية ما على حساب غيرها؟ وهل استقى معلوماته من الفنِّ نفسه أو استعان بعلوم أخرى في خدمة غرضه؟

صدَّر الإمام ابن الباذش باب الإدغام بتعريفٍ عامٍّ مقتبس جعل تحته ثلاثة أقسام كبرى هي:

القسم الأول: الواجب الذي لا يجوز فيه إلا الإدغام:

تناول فيه الساكن الواجب إدغامه من الحرفين المتماثلين، نحو: ﴿يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢٢] وغيره، ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ [الإسراء: ٣٣].

واستثنى من الساكن حالاتٍ أعطاها أحكاماً متعددة وعلَّل لها تعليلات صوتية وصرفية مستطرداً فيها، والحالات هي:

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٩٩ - ٢٣٧).
(٢) انظر: الإقناع (١/٢٣٨).
(٣) انظر: الإقناع (١/٢٣٨ - ٢٦١).
(٤) انظر: الإقناع (١/٢٦١).

١. الساكن الصحيح الذي قبله ساكنٌ صحيح، نحو إدغام الراء في الراء في: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فيمتنع عنده إدغامه؛ لما فيه من التقاء الساكنين على غير حدِّه(١).

٢. الواو والياء المديتان إذا التقتا بمثلَيهما متحرِّكتين، نحو: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥]، وغيره، ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، فيمتنع عنده إدغامهما وعند سائر القراء(٢).

٣. الواو والياء اللَّينتان في مثلَيهما متحرِّكتين، نحو: ﴿عَصَواْ وَّكَانُواْ﴾ [البقرة: ٦١]. ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ﴾ [الطلاق: ٤] في قراءة أبي عمرو، ورواية البزيِّ عن ابن كثير، فيجب عنده إدغام المثالين، مُورداً حجج المخالفين في ذلك والردّ عليهم(٣).

٤. هاء السكت عند التقائها بمثلها وصلاً في: ﴿مَالِيَهْ * هَلَكَ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]. فيجوز عنده الوجهان: الإظهار والإدغام، مع التعليل لهما(٤).

---

(١) انظر: الإقناع (١٦٥/١). ومعنى «على غير حدِّه»: أن نحاة البصرة وضعوا قاعدة تقضي بمنع التقاء الساكنين الصحيحين في وسط الكلمة، إلا إن كانا حرفَي مدٍّ أو لين. وهذا وإن امتنع عنده وعند بعض القراء وعند نحاة البصرة، إلا أنه ووجه الاختلاس جائز مقروءٌ به اليوم عند القراء في رواية السوسيِّ عن أبي عمرو بن العلاء البصريِّ من طريق الشاطبية. انظر: التيسير للداني (ص١٩)، الشاطبية البيت رقم (١٥٦)، الوافي في شرح الشاطبية للقاضي (ص٦٧)، البدور الزاهرة للقاضي (ص٣١).

(٢) انظر: الإقناع (١٦٥/١).

(٣) انظر: الإقناع (١٦٦/١ - ١٦٨). واختلف عن أبي عمرو والبزي في قراءة: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ﴾، فقرأ البزي وأبو عمرو وصلاً بتسهيل الهمزة بين بين مع المد والقصر عنهما، وإبدال الهمزة ياء ساكنة مع المد المشبع لالتقاء الساكنين وصلاً أيضاً، وهو يقتضي وجهين: الإظهار مع السكت، والإدغام. فإذا وقفا كان لهما ثلاثة أوجه: تسهيل الهمزة بالروم مع المد والقصر وإبدالها ياء ساكنة مع المد المشبع لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن عامر والكوفيون بإثبات ياء ساكنة بعد الهمزة، وقرأ الباقون بحذفها وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، واختلف عن هؤلاء في تحقيق الهمزة وتسهيلها وإبدالها، فقرأ يعقوب وقالون وقنبل بتحقيق الهمزة، وقرأ أبو جعفر وورش بتسهيلها بين بين. انظر: النشر (٤٠٤/١)، البدور الزاهرة للقاضي (ص٢٥٣).

(٤) انظر: الإقناع (١٦٩/١). والوجهان متواتران مقروء بهما اليوم، قرأ حمزة ويعقوب في: ﴿مَالِيَهْ * هَلَكَ﴾ بحذف هاء ﴿مَالِيَهْ﴾ وصلاً، والباقون بإثباتها، ولكل من المثبتين للهاء وصلاً وجهان: الأول: إدغام الهاء في الهاء. والثاني: الإظهار، وهو لا يتأتى إلا بالسكت على ﴿مَالِيَهْ﴾ سكتة لطيفة من غير تنفس، غير أن هذين الوجهين بالنسبة لورش مفرَّعان على وجهيه في: ﴿كِتَٰبِيَهْ * إِنِّي﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠]. فإذا قرأت له بالنقل في: ﴿كِتَٰبِيَهْ * إِنِّي﴾ تعيَّن عليك الإدغام في: ﴿مَالِيَهْ * هَلَكَ﴾، وإذا قرأت له بترك النقل تعيَّن الإظهار، ولا خلاف بين العشرة في إثباتها في الوقف. انظر: النشر (٢١/٢)، والبدور الزاهرة للقاضي (ص٣٢٧).

القسم الثاني: الممتنع الذي لا يجوز فيه الإدغام:

تناول فيه ابن الباذش معنى الممتنع، وهو ما تباعد بالمخرج والصفةِ، قدَّم فيه بعجالة سريعة عن مخارج الحروف وصفاتها توطئةً لهذا القسم، ثم ذكر الحالات التي يمتنع فيها الإدغام في الغالب، تضمَّنت تسع عشرة حالة حصل فيها خلاف بين القراء، أو وَهْمٌ من بعضهم في دلالة مصطلحٍ ما، أو انفرد في إدغامها بعض القراء، أو لم يدغمها أحدٌ من القراء مما يجوز عربيةً، وهذه الحالات هي:

١. الفاء في الميم والواو والباء، نحو: ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، و﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، و﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ [سبأ: ٩]. **حكم** ابن الباذِش بإظهارها جميعاً، حتى وإن أدغم الكسائيُّ الحرف الأخير منها على توجيه حسنٍ لها، وليس له نظيرٌ غيره في القرآن(١).

٢. الميم عند الفاء والواو، نحو: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، و﴿عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. **حكم** ابن الباذِش بإظهارها وعدم جواز الإدغام فيها؛ لما فيها من ذهاب غنة الميم. وإن روى بعض الرواة عن أبي عمرو قراءاتٍ شاذةً بإخفائها(٢).

٣. الميم عند الباء، نحو: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٥٧]. **حكم** ابن الباذِش بعدم جواز الإدغام فيها. وذكر أن القراء مجمِعون على كيفية أدائها بإطباق الشفتين، لكنهم اختلفوا في التعبير عن هذه الكيفية، قال: «فاختلفت عبارات القراء عنه بعد إجماعهم، إلا من شذ»(٣). فبعض القراء عبرَّ عن هذه الكيفية بمصطلح: «الإظهار»(٤)، وبعضهم عبرَّ عنها بمصطلح: «الإخفاء»(٥). وأشار ابن الباذش هنا

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٧٦ - ١٧٧). وإدغام الفاء في الباء مع إبدال نون المضارعة ياءً في: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ قراءةٌ متواترة عن الكسائيِّ في هذا الموضع فقط، وأظهرها الباقون. انظر: التيسير (ص٤٤)، والنشر (١٢/٢)، والبدور الزاهرة (ص٢٥٩).

(٢) انظر: الإقناع (١/١٧٩). وإظهار الميم عند الفاء والواو هو المأخوذ به عند القراء اليوم. انظر: النشر (١/٢٢٢).

(٣) الإقناع (١/١٧٩).

(٤) انظر: الإقناع (١/١٨٠).

(٥) انظر: الإقناع (١/١٧٩).

إلى الوهم الذي حصل من بعض قراء زمانه في إخفاء ذات الميم، وذلك بترك فرجةٍ بين الشفتين، ونفى أن يكون استعمل ذلك أحدٌ من القراء أو تكلَّم به العرب، وقال حاكياً هذا التعليل عن والده: «وما ذُكر عن الفرَّاء من إخفاء النون عند الباء فوجه ذلك أنه سمَّى الإبدال إخفاءً، كما سمَّى الإدغام في موضع آخر من كتابه إخفاء، فيرجع الخلاف إلى العبارة لا إلى المعنى، إذ الإخفاء الصَّحيح في هذا الموضع لم يستعمله أحد من المتقدِّمين والمتأخرين في تلاوة، ولا حكَوه في لغة»(١).

٤. القاف عند الكاف، في مثال واحد في القرآن: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ﴾ [المرسلات: ٢٠]. **حكم** ابن الباذش باختلاف القراء فيها على ثلاث فرق: فرقةٍ ترى الإدغام المحض، أي كافاً مشددة، وفرقةٍ ترى الإدغام مع إبقاء صفة الاستعلاء في القاف، وهما الوجهان المعمول بهما، وفرقةٍ قالت بالإظهار المحض، وليس عليه عملٌ كما يقول ابن الباذِش(٢).

٥. الكاف عند القاف. **حكم** ابن الباذش بمجيئها في اللغة، نحو: (انهك قَّطناً)، وعدم مجيئها في القرآن العظيم(٣). ولا أرى داعياً لذكرها ضمن هذا القسم.

٦. الظاء عند التاء، في مثال واحد في القرآن العظيم: ﴿أَوَعَظْتَ﴾ [الشعراء: ١٣٦]. **حكم** ابن الباذش بإظهارها إجماعاً من أهل الأداء إلا مَنْ شذَّ منهم(٤).

٧. الضاد عند التاء والجيم واللام والطاء، نحو: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾ [المائدة: ١٢]، و﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤]، و﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [البقرة: ١٧٣]. **حكم** ابن الباذش بإظهارها جميعاً لمزية الضاد بالاستطالة إلا من شذَّ من القراء في إدغام المثال الأخير. ثم قرَّر

(١) الإقناع (١٨٢/١). ومع الأسف الشديد ما حصل في عصر ابن الباذش حصل نظيره اليوم من بعض القراء من تركهم فرجة بين الشفتين في نحو: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠١]. وكل ذلك راجع إلى وهمٍ في فهم دلالة مصطلح: «الإخفاء». انظر: المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب (٧٣٩/٢).

(٢) انظر: الإقناع (١٨٦/١). وهكذا المأخوذ به عند القراء في العمل بالوجهين الأوَّلين معاً. انظر: النشر (٢٢١/١)، والوافي (ص٦١).

(٣) انظر: الإقناع (١٨٣/١).

(٤) انظر: الإقناع (١٨٧/١). وهكذا المأخوذ به عند القراء اليوم. انظر: النشر (٢٢٠/١).

ابن الباذِش قانوناً صوتياً عن الأصوات التي تملك مزيةً تمنعها من الإدغام في الغالب، قال: «والمزايا التي لا تذهب للإدغام خمس، وهي: الاستطالة، والتفشي، والتكرير، والصفير، والغنة»(١).

٨. الراء الساكنة عند اللام، نحو: ﴿يُغْفَرْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٣٨]، و﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥] ونحوه. **حكم** ابن الباذش بإظهارها للقراء - للتكرير الذي فيها - إلا ما روي عن الإمام أبي عمرو في قراءته أداءً؛ لقرب مخرج الراء من اللام(٢).

٩. السين عند التاء، نحو: ﴿نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. **حكم** ابن الباذش بإظهارها بلا خلاف؛ حتى لا تذهب مزية الصفير في السين.

١٠. العين عند الغين، نحو: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ [النساء: ٤٦] و﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ﴾ [النساء: ١١٥] في الموضعين، والغين عند العين، نحو: ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٥٠]، و﴿أُفْرِغْ عَلَيْهِ﴾ [الكهف: ٩٦]، والحاء عند العين: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٩]، والعين عند الحاء: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ﴾ [النور: ٢١]. والحاء عند الهاء، ونلاحظ أنه لم يأت بمثال للحاء عند الهاء في مثل: ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ [ق: ٤٠]. **حكم** ابن الباذش في هذه الخمسة السابقة بإظهارها جميعاً بلا خلاف، قال عن قانون ذلك: «وحروف الحلق التي تدغم: الهاء والعين والحاء والخاء والغين، فما كان منها أدخل في الحلق لم يدغم فيه الأدخل في الفم»(٣).

١١. لام (قل) عند السين والصاد والنون والتاء والراء، نحو: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]، و﴿قُلْ صَدَقَ﴾ [آل عمران: ٩٥]، و﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الصافات: ١٨]، و﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ [الأنعام: ١٥١].

---

(١) الإقناع (١/١٨٨).

(٢) انظر: الإقناع (١/١٩٠ - ١٩١). وهذه القراءة بالإدغام هي قراءة متواترة معمول بها في قراءة أبي عمرو البصري. أدغم الراء في اللام في ذلك أبو عمرو من رواية السوسي. واختلف عنه من رواية الدوري. انظر: النشر (٢/١٢)، الوافي في شرح الشاطبية (ص٦٤)، البدور الزاهرة (ص٣٣) وغيرها.

(٣) الإقناع (١/١٩١).

حكم ابن الباذش بإظهارها بلا خلاف، إلا في الراء في نحو: ﴿قُل رَّبِّ﴾ [المؤمنون: ٩٣]، فإنه مجمعٌ على إدغامها[١].

١٢. لام (بل) عند الجيم، نحو: ﴿بَلْ جِئْنَاكَ﴾ [الحجر: ٦٣]. **حكم** ابن الباذش بإظهارها جميعاً بلا خلاف[٢]. في غير الحروف التي اختلف في إدغامها القراء في لام (بل)، مما يأتي في القسم الثالث.

١٣. لام (بل) عند الراء، نحو: ﴿بَل رَّبُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٦] و﴿بَلْ رَانَ﴾ [المطففين: ١٤]. **حكم** ابن الباذش بإدغامها إجماعاً، إلا من انفرد من القراء بإظهارها[٣]. في غير الحروف التي اختلف في إدغامها القراء في لام (بل)، مما يأتي في القسم الثالث.

١٤. اللام الساكنة عند النون، نحو: ﴿جَعَلْنَا﴾ [البقرة: ١٢٥] وغيرها، و﴿أَرْسَلْنَا﴾ [البقرة: ١٥١] وغيرها، و﴿بَدَّلْنَا﴾ [الأعراف: ٩٥]، و﴿يُبَدِّلْ نِعْمَةَ﴾ [البقرة: ٢١١]، و﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ [الشورى: ٣٣] ونحوه حيث وقع. **حكم** ابن الباذش بإظهارها جميعاً بلا خلاف[٤]. وذكر فيها اختلافاً في كيفية أدائها بين القراء، ما بين محسنٍ ولاحنٍ.

١٥. ودال (قد) وذال (إذ) و(تاء التأنيث). **حكم** ابن الباذش بإظهارها في غير الحروف التي اختلف في إدغامها القراء مما يأتي في القسم الثالث.

القسم الثالث: الجائز الذي يجوز فيه الإظهار والإدغام:

هذا القسم هو لبُّ القصيد من باب الإدغام، والقسمان السابقان يدخلان فيه ضمناً، وإذا كان ابن الباذش أفردهما وأنفق فيهما وقتاً؛ لما تضمَّناه من تنبيهات مهمة،

---

(١) الإقناع (١٩٢/١). وإدغام اللام في الراء وإظهار الباقي هو المعمول به في الأداء لجميع القراء. انظر: النشر (٢٢١/١، و١٩/٢)، الوافي في شرح الشاطبية (ص١٣٤)، الهادي في شرح طيبة النشر (١٢٨/١).

(٢) الإقناع (١٩٢/١). وهو المعمول به في الأداء اليوم بلا خلاف.

(٣) الإقناع (١٩١/١). وإدغام لام بل في الراء لا خلاف في إدغامه بين القراء إلا حفصاً في: ﴿بَلْ رَانَ﴾ سكت على اللام من طريق الشاطبية، وله الإدغام والسكت من طريق الطيبة. انظر: النشر (١٩/٢، و٤٢٦/١)، والبدور الزاهرة (ص٣٣٩)، والوافي شرح الشاطبية (ص٣١٠).

(٤) الإقناع (١٩٣/١)، وهو المعمول به في الأداء اليوم بلا خلاف.

فإني أرى أن حقَّ هذا الباب أن يكون أولاً، ولاسيما للإنسان المبتدئ الخالي الذهن الذي لا يعرف شيئاً عن الإدغام. قال ابن الباذِش عن هذا القسم: «وهذا الباب طريقُه الرِّواية، وإنما يرتدف التعليل على مرويٍّ»[1].

قسَّم ابن الباذش هذا القسم إلى إدغام كبير وصغير، أختصرُ ما جاء فيهما بشكل مجمل.

أولاً: الإدغام الكبير:

تضمَّن ثلاثة أمور:

أ. المقدِّمة: عرَّف بالإدغام الكبير، وسبب تسميته، ومن انفرد به من القراء السبعة، وهو أبو عمرو بن العلاء، وأنه استعمله عند الحدر والإسراع بالقراءة، وأن أكثر الرواة يستعمله مع تخفيف الهمز، ثم ذكر قاعدته في المتماثلين والمتقاربين، وموانعَه إذا كان الأول مشدداً أو منوناً أو منقوصاً أو تاءَ خطابٍ، ومن حكى فيه جواز الإدغام مع وجود المانع[2].

ب. أصول الإدغام الكبير على حروف المعجم: بعد المقدمة استعمل ابن الباذش طريقة مبتكرة في حصر الأمثلة في هذا الباب لم يسبقها إليه أحدٌ من المصنِّفين فيما أعلم، وهو أن يجعلها مرتَّبةً على الحروف الهجائية بدءاً بالهمزة وانتهاء بالياء[3]. وظهر في هذا القسم سعة روايته، وقوة تعليلاته وترجيحاته، وقدرته الفائقة في جمع الأمثلة وحصرها، وما صحَّ منها رواية، وما شذَّ منها مع جوازه في العربية، وما لم يجز لرداءته في العربية، وما أجمع عليه أهل الأداء، وما روي عن بعضهم. وظهرت براعته في التعليل لبعض

(١) الإقناع (١/١٩٤).
(٢) انظر: الإقناع (١/١٩٥ - ١٩٧).
(٣) انظر: الإقناع (١/١٩٨ - ٢٣٦).

الأوجه من أقوال النحويين، وبخاصةٍ سيبويه[١]، وما نقله عن أبيه ووجَّهه له[٢]، وما ناقش فيه بعض شيوخه[٣].

ج. بعد استعراضه لأصول الإدغام الكبير نبَّه في نهايته إلى أن المدغم يصحُّ معه الروم والإشمام إلا في النَّصب، أو الميم والباء لخروجهما من الشفتين[٤].

ثانياً: الإدغام الصغير:

قسَّم ابن الباذش الإدغام الصغير إلى قسمَين:

أ. الساكنُ الخِلقة الذي لا تعرف حركته[٥]:

ويعني به: دال (قد)، وذال (إذ)، وتاء التأنيث، ولام (هل وبل)، وحروف الهجاء المقطَّعة في فواتح السور، والنون الساكنة والتنوين. استعرض الإمام ابن الباذش ما فيها من خلاف للقراء السبعة، وما قرأ به على شيوخه، وما يختاره ويرجِّحه[٦].

ب. الساكنُ عن حركةٍ (حروف قربت مخارجها):

تناول فيه ابن الباذش الحروف الساكنة المتقاربة في المخرج المختلف في إدغامها، وهي تسعة أصناف:

الباء عند الفاء والميم، والثاء عند التاء والذال، والدال عند الثاء، والذال عند التاء، واللام عند الذال، والراء عند اللام، والفاء عند الباء. حصر ابن الباذش الأمثلة في هذه الأبواب، واستعرض ما فيها من خلاف للقراء السبعة، وما قرأ به على شيوخه، وما يختاره ويرجِّحه[٧].

---

(١) انظر على سبيل المثال: الإقناع (١٩٨/١ و٢١٠ و٢٢٠ و٢٢٥ و٢٢٦).

(٢) انظر: الإقناع (٢٢٦/١).

(٣) انظر: الإقناع (٢٣١/١ و٢٣٤).

(٤) انظر: الإقناع (٢٣٦/١).

(٥) هذا المصطلح - الذي أطلق على هذه المجموعة - قديمٌ استعمله ابن زنجلة في الحجة (ص١٢١)، والدانيُّ في التيسير (ص٤١)، والإدغام الكبير له (ص٨٦ - ٨٩).

(٦) انظر: الإقناع (٢٤٠/١ و٢٤٢ و٢٤٤ و٢٤٥).

(٧) انظر: الإقناع (٢٦١/١ - ٢٦٧).

المطلب الثالث: التحليل المعمَّق للنصِّ:

المقصود بهذا المطلبِ الحديثُ عن كيفية بناء النصِّ عند المصنِّف وتماسكه والروابط التي تربط بين عناصره وأقسامه. ويتضمَّن: لغةَ النصِّ، والتعريفات والقوانين والقواعد، وأماكن السَّرد والتفصيل والاستطراد، وأماكن الاختصار والاختزال، والتقسيمات العامة والتفريع عنها، والاقتباسات والشواهد والأدلة، ومعايير الترجيح والرد في القراءات عند ابن الباذش. وجاء هذا المطلب متشابكاً حياً بملاحظه واستنباطاته، محقِّقاً - في غالبه - للمعايير السبعةِ التي وضعتها بعض الدراسات المعاصرة لتحليل النُّصوص والحكمِ عليها، وهي: السَّبكُ، والالتحام، والقصد، ورعاية الموقف، والقبول، والتناصُّ، والإعلام.

وقد تناول الباحث جملةً من هذا في المطلبَين السابقَين وسيتناول الباقي من هذه العناصر في هذا المطلب. **فالسبكُ** يعني الكيفيةَ التي يتم بها ربطُ العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية بحيث يؤدي السابق منها إلى اللاحق. **والالتحام**: يُقصَد به الطريقة التي يتم بها ربط التراكيب على مستوى البنية العميقة للنصِّ. **والقصد**: يعني أن النصَّ حدَثٌ لغويٌّ مخطَّط له، وليس رصفاً للجمل والكلمات. **والقبول**: يتضمن موقف المرسل إليه أو متلقِّي النصِّ حول توقُّع نصٍّ متماسك ومتناسق. **ورعاية الموقف**: وتشمل العواملَ التي تجعل النصَّ ذا صلة بموقف حاليٍّ أو موقف قابل للاسترجاع. **والتناصُّ**: وهو مصطلح نقديٌّ يُقصد به وجود تشابهٍ بين نصٍّ وآخر أو بين عدة نصوص. **والإعلام**: وهو الرسالة التي يخبر بها النصُّ، ويتضمَّن قدراً من المعلومات تختلف طبيعتها باختلاف نوع النص، بمعنى هل استعمل المصنِّف في جزء من نصوصه الذائقة النقديَّة أم الإعلامية الإخبارية أم غير ذلك[1].

(١) انظر: أصول المعايير النصية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، عبد الخالق شاهين (ص٢١ - ٢٢). وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري (ص١٤٥) وما بعدها.

في باب الإدغام لابن الباذش جاء تطبيق هذا المطلب كالآتي:

أولاً: لغة النصّ:

الظاهر أن ابن الباذش قاصدٌ للنصِّ مخطِّطٌ له، يكتب للمتخصِّصين في الفنِّ. يشهد لهذا تقديمه مسائل القسم الأول والثاني - الشائك بعضها - على مسائل القسم الثالث المتفق عليها - غالباً - بين القراء. وهو في القسمَين الأولين يستعمل الذائقة النقدية، فتراه يعلِّل ويوجِّه ويردُّ الرواية الضعيفة ويحتجُّ بالشواهد العقلية والنقلية من معارف العلماء الذين سبقوه، وأما في القسم الثالث فنراه هادئاً استعمل الرسالة الإخبارية الإعلامية للأحكام المتفق عليها في باب الإدغام، وكأن ابن الباذش أراد أن يصفِّي في القسمَين الأولين ما يحيط بباب الإدغام من شوائب، ليجعله صافياً رائقاً في القسم الثالث.

واللغة في باب الإدغام بناها صاحب النصِّ على معارفَ سبقَته، نظَّمها ببراعة ودقة فائقة. وهو ما يدخل في باب التناصِّ، وليؤخذ على ذلك مثال من تعريف الإدغام:

قال ابن الباذش: «الإدغام أن تصل حرفاً ساكناً بحرفٍ مثلِه من غير أن تَفصل بينهما بحركةٍ أو وقفٍ، فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعة واحدة»[1] ا.هـ.

هذا التعريف يكاد يكون مأخوذاً بنصِّه من أصول ابن السراج (ت: ٣١٦هـ)، قال عن الإدغام: «وهو وَصْلُكَ حرفاً ساكناً بحرفٍ مثْلِه مِن مَوضعِهِ من غير حركةٍ تَفْصِلُ بينهما ولا وقفٍ، فيصيرانِ بتداخلِهما كحرفٍ واحدٍ، تَرْفَعُ اللِّسانَ عنهما رفعةً واحدةً، ويَشتَدُّ الحرفُ، ألا ترى أنَّ كلَّ حرفٍ شديدٍ يَقومُ في العَروضِ والوزنِ مقامَ حرفَين، الأوَّلُ منهما ساكنٌ»[2].

وكما يُرى - عند المقارنة - فإن نصَّ ابن السراج أوفى وأكثر تفصيلاً، وتعريف ابن الباذِش أكثر اختصاراً، على أن هناك مسائل ترِد على هذا التعريف:

---

(١) الإقناع (١/١٦٤).

(٢) الأصول (٣/٤٠٥). وعرَّفه الدانيُّ نحواً من ذلك في التحديد (ص٩٩)، والقرطبّي في الموضح (ص١٣٩).

أ. ما المقصود بالساكن هنا؟ وهل يدخل في السكون - عنده - سكون حرف المد؟ الظاهر أنه كذلك من كلامه الذي يأتي بعدُ عند قوله: «وكذا كلُّ حرفٍ ساكنٍ لقي مثلَه... إلخ»، فيدخل فيه: الأنواع التي ذكرها كالساكن في كلمة وفي كلمتين، وساكن الخلقة كدال قد وتاء التأنيث والنون الساكنة، وساكن الإدغام، وساكن حروف المد، وساكن حرفي اللين، وساكن الحروف المقطَّعة في القرآن الكريم كـ: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١][1].

ب. كيف يرتفع اللِّسان في سكون حروف المدِّ عنهما أو بهما ارتفاعة واحدة؟ وكيف نفهم خروج الحرف من طبيعته المدِّية (الذائبة) إلى طبيعته غير المدية (الجامدة)؟ مما يدخل في عنصر «القَبول» من المتلقِّي النصّ. ومن وراء النصِّ في عنصر «رعاية الموقف»: كيف نفهم حجة الإمام الشاطبيِّ:

«وَوَاوُ هُوَ المَضْمُومِ هاءً كَهُو وَّمَنْ فَأَدْغِمْ وَمَن يُظْهِرْ فَبِالمَدِّ عَلَّلَا
وَيَـــأْتِيَ يَـــوْمٌ أَدْغَـــمُـــوهُ ونحـوَه وَلَا فَرْقَ يُنجِي مَنْ عَلَى المَدِّ عَوَّلا»[2]

وقول الإمام ابن الجزري:

«وَالخُلْـفُ في وَاوِ هُـوَ المَضْمُـومِ ها»؟[3]

وفي هذه الفقرة لم يتعرَّض ابن الباذش للإجابة عن هذه الأسئلة.

ج. هل التقييد بالتماثل مطردٌ؟ وهل يستثنى الذي بقي له صفة من الأول كـ: (أحطت)؟ وهل كان قوله: «بحرف مثله» دون تقييده بـ: متحركاً مثلاً من التجوُّز في العبارة؟

لعلَّ الجواب عن بقاء صفة من المدغَم هو: أن الإدغام إذا أُطلق، فهو يراد به الإدغام المحض. قال الإمام الدانيُّ: «الإدغام الصحيح: ألَّا يَبقى من المدغم أثرٌ

(١) انظر: الإقناع (١/١٦٥).
(٢) البيت رقم (١٢٩ - ١٣٠) من الشاطبية، تحقيق سويد (ص١٣).
(٣) البيت رقم (١٢٧) من الطيبة، تحقيق سويد (ص١٣).

لانقلابه إلى لفظ المدغَم فيه، ويصير مخرجه من مخرجه»[1]. اهـ. والجواب عن الثاني: أنه يمكن أن يكون ذلك من التجوُّز؛ لأن نصَّ ابن السرَّاج الذي أخذ منه هذا النصّ - فيما أحسب - قد ذكر في آخره: «ألا ترى أنَّ كلَّ حرفٍ شديدٍ يَقومُ في العَروضِ والوزنِ مقامَ حرفَين، الأوَّلُ منهما ساكنٌ». اهـ.

ولعلَّ ابن الباذِش يعلمُ بداهةً أنه لا بدَّ في الإدغام أن يَسكُن الأوَّل ويتحرَّك الثاني، ولا يجوز أن يَسكن الثاني بحال عند الإدغام، قال سيبويه: «فلم يكن ليكونَ إدغامٌ إلا بسكون الأوَّل. ألا ترى أن الحرفَين إذا تقارَبَ موضعُهما فتحرَّكا أو تحرَّك الأولُ وسكَن الآخِرُ لم يُدغِموا»[2] اهـ.

د. قوله عن الحركة أنها مانعةٌ من إدغام الحرفين الجامدين (الصحيحَين)، أظنُّ أن هذا مأخوذ من المبرِّد، قال: «اعلم أن الحرفين إذا كان لفظهما واحد فسكن الأول منهما فهو مدغم في الثاني. وتأويل قولنا: (مدغم) أنه لا حركة تفصل بينهما، فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة؛ لأن المخرج واحد ولا فصل. وذلك قولك: قطَّع وكسَّر. وكذلك محمَّد ومعبَّد، ولم يذهب بَّكر ولم يعم معك. فهذا معنى الإدغام»[3]. لاحظ في النصِّ الأخير أن المبرِّد يعدُّ المشدَّد في كلمة من المدغَم.

هـ. ما المقصود بالوقف الذي يمنع الإدغام؟ هل الوقف هنا بمعنى السكت؟ أم تقطيع الحروف والكلمات؟ أم الوقف على آخر الكلمة؟ أم السكون؟ ولماذا ذكره في النصِّ؟ بداية ليس المقصود بالوقف السكونَ؛ لأن من شرط الإدغام سكونَ الأول. قال مكي: «الإدغام لا يكون إلا مع اتصال الحرفين وملاصقة الأول للثاني»[4]. هذا

(١) جامع البيان (٢/٧٢٩).
(٢) الكتاب (٤/٣٦٧).
(٣) المقتضب (١/٣٣٣).
(٤) الكشف (١/٩٤).

مع أن سيبويه قد عبَّر في بعض النصوص عن السكون بالوقف، قال: «هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية. وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرّ والرفع والجزم، والفتح والضمّ والكسر والوقف»[1]. وقول الفرَّاء عن الحروف المقطعة: «الهجاء موقوف في كل القرآن»[2]. فهذان عالمان واحد بصريٌّ وآخر كوفي يتفقان على ذات المصطلح بمعنى السكون، غير أن مصطلح «السكون» في النصِّ يحتمل باقيَ المعاني الأخرى للسكون، أعني السكت وتقطيع الحروف والكلمات والوقف على آخر الكلمة، ويجمعها خلاصة عامة مؤدَّاها تضييع فرصة التقاء الحرفين.

و. التعبير بـ: «ارتفاع اللسان بالحرفين ارتفاعة واحدة» معناه: الضغط على مخرج الحرف في المدغم والمدغم فيه ضغطاً واحداً. وأصل هذه العبارة لسيبويه[3]، لكن عبر بـ: «الارتفاع عن الحرفين»، ومعناه انفصال عضوي النطق عن المخرج وليس الضغط عليه.

كلُّ هذه مسائل تعرض على هذا التعريف وتعطينا قراءةً تاريخية له، ونستطيع أن نقيس عليه باقي الجمل والمفردات التي وردت في النصِّ، وحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

وإذا كانت هذه القراءة التاريخية لتعريف الإدغام قد أخذت كلَّ هذا التفصيل؛ فإنه مما لا شك فيه أن عقد الموازنات والمقارنات بين باب الإدغام في كتاب الإقناع وغيره من كتب القراءات التي سبقته لهو أمرٌ بالغ الأهمية، إلا أنه يضيق على هذه الدراسة، ويلزم أن يفرد بأبحاث ودراسات خاصةٍ تتناوله، وتهيأ الأسباب له، والله الموفق.

---

(١) الكتاب (١٣/١).
(٢) معاني القرآن (٩/١).
(٣) انظر: الكتاب (٣٦٧/١ - ٣٦٨).

ثانياً: التعريفات:

١. تناول المؤلف - في الغالب - جميع أقسام باب الإدغام بالتعريف.

٢. لم يتعرَّض المؤلف لبيان بعض المصطلحات كماهية الصفات والمخارج، إنما سرَدها سرداً؛ للاختصار(١)، واتكاءً على فهم المتلقي، ولأنه لا يستهدف في كتابه المبتدئ في العلم.

ثالثاً: القوانين والقواعد:

برع المؤلف بذكر القواعد والقوانين، وغالباً ما يوردها بعد ذكر التعريف، أو في ثنايا التقسيمات التي يتطرق إليها، إلا أنه أحياناً يتعقب القواعد بذكر بعض المستثنيات(٢). ولنستعرض بعض القواعد:

١. «كُلُّ حرفٍ فيه زيادةُ صوتٍ لا يُدغَم فيما هو أنقص صوتاً منه». وهو مسبوق بهذه القاعدة(٣).

٢. قال: «والمزايا التي لا تذهب للإدغام خمس، وهي: الاستطالة والتفشي والتكرير والصفير والغنة»(٤).

٣. «حروف الحلق التي تدغم: الهاء والعين والحاء والخاء والغين، فما كان منها أدخل في الحلق لم يدغم فيه الأدخل في الفم»(٥).

---

(١) ذكر ابن الباذش معتذراً عن اختصار مسائل التجويد في آخر باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة وتجويد الأداء، قال: «وليس كتابي هذا موضوعاً لذلك، فلم أرد إطالةً به... وأنا أوصي الطالب بحفظ مخارج الحروف وصفاتها. وقد ذكرتها في باب الإدغام، وأعرِّفه أنَّ صفات الحروف أغمضُ من مخارجها، وأدقُّ لمن أراد تحصيلها». اهـ الإقناع (٥٦٢/١).

(٢) انظر: الإقناع (١٩٦/١).

(٣) الإقناع (١٧٠/١). وانظر: سيبويه، الكتاب (٤٤٨/٤ و٤٦٠ و٤٦٤)، والفارسي، التكملة (ص٢٧٩)، والدانّي، الإدغام الكبير (ص٤٢)، وابن الأنباريّ، أسرار العربية (ص٢١٠).

(٤) الإقناع (١٨٨/١).

(٥) انظر: الإقناع (١٩١/١).

٤. «ليس في الإدغام الصغير إدغامُ متحرِّك ولا مِثْلٌ»[١]، وكقوله عند إدغام الذال بالتاء: «وذلك أصل مطَّردٌ وثلاثة مواضع»[٢].

رابعاً: السرد والتفصيل والاستطراد والاختصار والاختزال:

١. منهج المؤلف من حيث الاختصارُ والاستطراد راجعٌ إلى ضرورته في الشرح، كما اختصر في ذكر المخارج والصفات، قال: «ولا يوصَل إلى ذلك إلا بعد العلم بمخارج الحروف وصفاتها»[٣]، وكتصريحه بنفسه عند نهاية باب الإدغام، قال: «فهذه أصول الإدغام مشروحةٌ محصَّلة»[٤]. وكذلك تفصيله لحروف الإدغام حرفاً حرفاً حسب الترتيب الهجائي للحروف[٥].

٢. اختزل المؤلف في بعض المواضع، مكتفياً بقياس ما لم يذكره على ما ذكره، قال: «وهذا كافٍ في هذا الباب، مَن علِمه قاس عليه ما لم أذكرْه»[٦].

٣. حديثه عن مخارج بعض الحروف وصفاتها قبل أن يأتي الحديث عنها، كما في: (موسى وعيسى)[٧].

٤. حديثه الرافد للإدغام، والمقتضب جداً عن صفات الحروف دون شرح لها مكتفياً بألقابها[٨] لم يساعد كثيراً في شرح باب الإدغام لمن لم يكن مطَّلعاً من قبلُ على صفات الحروف.

---

(١) الإقناع (٢٣٨/١). ولم يتَّجه للباحث معنى عبارة: «ولا مثلٌ»، ولاسيما أن الإدغام الصغير يتحقَّق في نحو إدغام التاء في التاء: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ [البقرة: ١٦]، إلا إن كان ابن الباذش يقصد بأن تقسيم باب الإدغام الصغير لا يحتوي على إدغام متماثلين، كما في أبواب الإدغام الكبير، والله أعلم.

(٢) الإقناع (٢٦٥/١).

(٣) الإقناع (١٧٠/١).

(٤) الإقناع (٢٣٦/١).

(٥) انظر: الإقناع (١٩٧/١).

(٦) الإقناع (١٩٣/١).

(٧) انظر: الإقناع (١٦٦/١).

(٨) انظر: الإقناع (١٧٥/١ - ١٧٦).

٥. توسُّعه في بعض المسائل مستعيناً بعلم الصرف، كما في امتناع إدغام الواو والياء المديتَين في مثلَيهما متحرِّكتَين، نحو: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾ [البقرة: ٢٥]، والتدليل على ذلك بامتناع إدغام الواو والياء المديَّتين في سين: (موسى وعيسى) في كلمة واحدة، وحديثه عن إدغام ياءَي: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ﴾ [الطلاق: ٤]، وهما منفصلتان، والتدليل عليها بامتناع إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة في قياس العربية[١]، وما ساقه من أدلَّة صرفية في إدغام: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٥٩][٢]، وامتناع إدغام النون في الواو والياء في كلمة واحدة، نحو: ﴿قِنۡوَانٞ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ [البقرة: ٨٥][٣].

٦. جاء استطراده في: «حروفٍ يُخاف على القارئ اللَّحنُ فيها بالإدغام»، قبل الإدغام الكبير، ليبيِّن خطورة وضع المصطلحات وأهمِّيتها، وما قد يسبِّبه التعبير عن بعض الظواهر الأدائية من انحراف في كيفية الأداء كحديثه المسهَب في الميم عند الباء، والاختلاف المصطلحيُّ في التعبير عنها، وما ترتَّب على ذلك من اختلاف الأداء عند بعض القراء في إطباق الشفتين وانفراجهما[٤]، وانقسام القراء في إدغام القاف عند الكاف[٥] وهكذا.

٧. الاستشهاد بنصوص سيبويه في صدر بعض الأبواب، كباب الهمزة[٦]، وفي ثنايا باب الإدغام جعلَته أصلاً تقاس عليه المسائل.

٨. استرسل ابن الباذش في الحديث عن مسائل أدائية في أحكام النون الساكنة والتنوين، ففي الإدغام: تناول الحكمَ على الصوت الناتج عن إدغام النون في

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٦٦ و١٦٨).
(٢) انظر: الإقناع (١/٢٢٤ - ٢٢٧).
(٣) انظر: الإقناع (١/٢٥٠).
(٤) انظر: الإقناع (١/١٧٩ - ١٨٢)، وانظر: إبدال النون ميماً (١/٢٥٧).
(٥) انظر: الإقناع (١/١٨٢).
(٦) انظر: الإقناع (١/١٩٨).

الميم، نحو: ﴿وَمَن مَّعَكَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، هل تعدُّ الغنة للنون أو للميم؟(١)، والإدغام بغنة في الراء واللام، واستطراده فيه من أقوال الأئمة والقراء(٢). وحديثه عن درجات التشديد في الإدغام عند وجود الغنة(٣). وفي الإظهار: حديثه عن درجات إظهار النون عند حروف الحلق، وما خرج به من قوانين أدائية فيها، كقوله عن رياضة اللِّسان في حروف الإظهار: «وللتعمُّل حدٌّ، وإذا ارتاض اللِّسانُ سقَطَ»(٤)، أي التعمُّل والتكلُّف يزولان بالرِّياضة. وفي إبدال النون ميماً عند الباء (الإقلاب)؛ أعاد ابن الباذش الحديث في هذا القسم عن إبدال النون ميماً عند الباء، وما حصل من وهمٍ أدائيٍّ عند بعض القراء في المصطلح(٥). وأما الحكم الرابع: الإخفاء، فتناوله من ثلاثة جوانب: الأول: اختلاف درجة إخفاء النون بحسب قرب مخرج المخفى منها. والثاني: اختلاف القراء في تطويل زمن الغنة عند حروف الإخفاء ما بين مفرطٍ ومقتصد. والثالث أنه غير مشدَّد(٦).

خامساً: التقسيمات والتفريعات:

١. عناوين الأبواب والتفريع عليها كثيرة عند الإمام ابن الباذش، وهو أمر حسنٌ في منهجية الأئمة في التقسيم، وفيها راحة للقارئ في حصر المسائل، فمنهم من يضع تحت الأبواب فصولاً، ومنهم من يضع تحت الفصول مسائل، كنظير ما نفعل نحن في منهجية الأبواب، وهذه فقرة يمكن جعلها بحثاً مستقلاً في طريقة التبويب عند علمائنا الأوائل.

---

(١) انظر: الإقناع (٢٤٧/١).
(٢) انظر: الإقناع (٢٥١/١ - ٢٥٢).
(٣) انظر: الإقناع (٢٥٢/١). وقد أفرد مكي في كتابه الرعاية (ص٢٤٥) باباً للمشدَّدات، وذكر أن أضعفها ما كان معه غنة.
(٤) انظر: الإقناع (٢٥٦/١).
(٥) انظر: الإقناع (٢٥٨/١). وقد تقدم الحديث عن هذا الوهم في القسم الأول (١٧٩/١ - ١٨٢).
(٦) انظر: الإقناع (٢٥٩/١ - ٢٦١).

٢. قام المؤلف بتقسيم الشرح إلى فِقرات تبعاً للعلَّة الموجبة للاشتراك، كأصول الإدغام الكبير على حروف المعجم(١)، وتبعاً لأهمية المستثنيات كالحروف التي يخاف على القارئ اللَّحن فيها بالإدغام(٢).

سادساً: الاقتباسات:

أكثرَ المؤلِّف من ذكر الاقتباسات: إما مستدلاً بها على ما ذهب إليه، وإما من باب أن يتعقَّبها بالردِّ عليها(٣)، أو التوقف عند عدم المرجِّح كقوله: «وتحقيق رواية عِصْمة يحتاج إلى تأمل»(٤)، وأحياناً يترك النَّقل بلا تعقيب(٥).

سابعاً: الشواهد والأدلة:

١. على وجه العموم: أورد المؤلف لجميع التقسيمات أدلةً وشواهدَ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو من كلام العرب.

٢. على وجه الخصوص: إذا لم يكن للقسم المذكور شاهدٌ من القرآن صرَّح بذلك، مثاله: «ولا أعلم الحاء جاءت عند الهاء في القرآن»(٦)، و«ولا أعلمه جاء في القرآن»(٧).

٣. انتهج المؤلف منظومة الاستقصاء بذكره الأمثلة، من حيث عدد ورودها في القرآن الكريم، كقوله: «وهو موضع واحد»(٨)، وقوله: «وجملة ذلك خمسة مواضع»(٩)... إلخ.

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٩٨).
(٢) انظر: الإقناع (١/١٧٦).
(٣) انظر: الإقناع (١/٢٢٥). وللاستزادة انظر: (١/٢٣٠ و٢٣٤ و٢٤٠).
(٤) الإقناع (١/٢٢٥).
(٥) انظر: (الإقناع ١/١٧٩).
(٦) الإقناع (١/١٩١).
(٧) الإقناع (١/١٨٣).
(٨) الإقناع (١/٢٦٤).
(٩) الإقناع (١/٢٦١).

ثامناً: معايير الترجيح بين القراءات:

أ. قواعد الترجيح بين القراءات:

عرض ابن الباذش في باب الإدغام قراءات وروايات وأوجهاً أدائية اختار بعضها، ورجَّح بعضها، وضعَّف بعضها، وردَّ بعضها، فما هو ميزان الاختيار والترجيح والتضعيف والردِّ عنده؟

إن ميزان التضعيف والردِّ في كتب القراءات عموماً وفي كتاب الإقناع خاصةً يرتكز على أسباب نقلية واجتهادية، نلخِّص مجملها فيما يأتي[1]:

١. ضعف الرواية، أو الطريق، أو المرويَّة، إما لغلطٍ حصل من القارئ في روايته أو من طريقه، أو في مرويَّاته، أو في طريقة التعبير عن روايته، أو لوهمٍ وقع منه عن طريقه، أو يكون سهو قلمٍ وقع له في كتابته من حيث عزو الرواية، وتخصيصها لغير قارئها. ومن أمثلته في نصِّ ابن الباذش قوله: «وذكر الأهوازيُّ: قال: سمعتُ أبا الفرج الشَّنَبوذيَّ وأبا الحسين القطَّان يقولان: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ﴾ [البقرة: ٣٧]، وما أشبهه لا يسمَّى إدغاماً، وإنما هو طرحُ حركة الهاء، فبقيتْ ساكنةً، ولقِيتْ مثلَها ولم تدغم فيها؛ لأنك لو أدغمتها وشدَّدتَ أتيتَ بما هو أثقلُ من الإظهار، والإدغام إنما هو إيثار التخفيف. قال: وسمعت شيوخنا البصريين وأكثر شيوخنا البغداديين يسمُّون ذلك إدغاماً، قال: **وقولهما لا أعوِّل عليه**؛ لأنهم أجمعوا أن سائر الحروف إذا سكنتْ، ولقِيتْ مثلَها تُدغمُ فيها بلا خلاف، قال أبو جعفر: وهو إدغام صحيحٌ...»[2].

٢. انفراد القارئ وشذوذه، إما لضعفه في الرِّواية، أو الطريق، أو لشذوذه عن سائر الرواة. ومن أمثلته في نصِّ ابن الباذش قوله: «والإخفاء حال بين الإظهار والإدغام، ونصَّ جميعهم على أنه لا تشديد فيه، إلا الأهوازيَّ فإنه كان يقول: كما أن المظهر

(١) انظر: قواعد نقد القراءات القرآنية «دراسة نظرية تطبيقية» للدكتور عبد الباقي سيسي (ص٣٩٩ و٥٢٥).
(٢) الإقناع (٢٣٤/١).

مخفّفٌ والمدغم مشددٌ، فكذلك المخفى بين التشديد والتخفيف، إذ هو رتبةٌ بين الإظهار والإدغام، وغلّط من قال: إن المخفى بيِّن مخفَّف، وزعم أنه خلافٌ لقول من مضى. ولا أرى الأهوازي إلا واهماً؛ لأن التشديد...»[1] اهـ.

٣. عدم شهرة القارئ بالإقراء، وذلك بأن تنسب القراءة إلى قارئٍ لم يكن مشهوراً بالإقراء.

٤. مخالفة القارئ ما استقرَّ عليه رأي الجماعة والمحقِّقين من أهل الأداء. ومن أمثلته في نصِّ ابن الباذش قوله: «من ذلك الميم عند الباء، نحو: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٥٧]... فاختلفت عبارات القراء عنه بعد إجماعهم، إلا من شذَّ»[2] اهـ.

٥. ما ذكر على وجه الحكاية لا الرواية؛ لبيان ضعف القراءة وشذوذها، ومن أمثلته في نصِّ ابن الباذش قوله: «فإن سكن ما قبلها لم يدغَم إلا: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٣]، و﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] و﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ﴾ [هود: ٥٣] و﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا﴾ [يونس: ٧٨] حيث وقع، وجملته تسعة مواضع، فإنه أدغمها فيها خاصَّة إلا من طريق الخزاعي لأبي شعيب. وذكر عثمان بن سعيد أن أبا شعيب نصَّ على الإدغام فيه، والإدغام الصَّواب لليزيديِّ من طرقه كلِّها، وأظنُّ ما حكى الخزاعي عن أبي شعيب من الإظهار اختياراً من أبي عمران». اهـ[3].

٦. مخالفة القراءة إجماع مصاحف أهل الأمصار، وذلك متعلِّقٌ بالرَّسم. ومن أمثلته القريبة بوجهٍ في نصِّ ابن الباذش قوله عن إدغام النون في الميم: «فأما إدغامها في الميم فلا بدَّ من الغنة، إلا ما جاء عن عاصم وحمزة أن النون الساكنة والتنوين يدغمان عند الميم بغير غنة... وأما ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، و﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥]، فكلمتان، والأصل: عن ما، ومن ما، وكذلك ما كان نحوه، وحذفت الألف فرقاً

---

(١) الإقناع (١/٢٦٠).
(٢) الإقناع (١/١٧٩).
(٣) الإقناع (١/٢٣٠)، وانظر: (٢٤٧ و٢٥١).

بين الاستفهام والخبر، ولم تثبت النون في الخط؛ لأنهم كتبوا المسموع فقط، وفي كتبهم كذلك عندي دلالةٌ على أن الغنَّة للميم لا للنون، فتأمَّله»[1] اهـ.

٧. مخالفة القواعد النحويَّة والأقيسة الصرفية والمشهور من اللُّغات. ومن أمثلته في نصِّ ابن الباذش قوله: «قال لي أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما ذكراه من إظهار ياء ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي﴾ عند ياء ﴿يَئِسۡنَ﴾ خطأٌ، ولا يمكن فيها إلا الإدغام، وتوالي الإعلال غير مبالًى به إذا كان القياس مؤدِّياً إليه، والقياس في المثلين إذا سكن الأول منهما الإدغامُ في المتصل والمنفصل»[2] اهـ.

٨. مخالفة القراءة للأشهر في المعنى عند القراء والمفسِّرين والفقهاء. ومن أمثلته القريبة بوجهٍ في نصِّ ابن الباذش قوله عن أصل كلمة (آل): «وردَّ عليه أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الكلامَ، وعلى من قال به سواه من القراء والنحويين، فقال لي: لا يثبت أن ألف «آل» بدلٌ من هاء «أهل» ولا من همزة مبدلة من هاء؛ لأن معنى «آل» غير معنى «أهل»؛ لأن الأهل: القرابة، والآل: مَن يؤول إليك في قرابة أو رأي أو مذهب»[3] اهـ.

ومن مفهوم المخالفة نعلم أن القراءة التي تكون خالية من هذه العيوب السابقة هي المعوَّل عليها عند الأئمة في الاختيار والترجيح.

ب. الألفاظ والعبارات التي تدلُّ على اختيار القراءات وترجيحها:

وردت في كتب القراءات والتفسير والعربية ألفاظ تدل على اختيار القراءات وترجيحها، منها: الصواب - الاختيار - الوجه - عندي - قراءة العامة - عليه مصاحف الأمصار - وبه نقرأ - هو الجيد - أعجب إلي - الأخذ - القياس، وغيرها[4].

---

(١) الإقناع (٢٤٨/١).
(٢) الإقناع (١٦٨/١).
(٣) الإقناع (٢٢٦/١).
(٤) انظر: قواعد نقد القراءات القرآنية «دراسة نظرية تطبيقية» للدكتور عبد الباقي سيسي (ص٥٦٤).

في نصِّ ابن الباذش اختار ألفاظاً عدة منها: الحمل على...[1] - الأخذ[2] - القياس[3] - النظائر[4] - التشبيه بالأصليِّ الثابت في جميع أحواله[5] - وهو الوجه[6] - المعمول به[7] - العبارة[8] - إجماع القراء[9] - النصُّ[10] - الاتفاق على المعنى[11] - رجوع الخلاف إلى العبارة لا إلى المعنى[12] - الاختيار[13] - الجماعة[14] - الإجماع[15] - أهل الأداء[16] - ولم يذكر خلافاً ولا اختياراً[17] - العمل على[18] - الاتفاق من الأئمة[19]، أحبُّ[20]، أميل[21]، وغير ذلك.

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٦٥): الحمل على الألف، و(١٦٦): الحمل على قاول وساير، و(١٦٧) و(١٦٩) حمل الوصل على الوقف و(١٨١) تحمل الميم على النون.

(٢) انظر: الإقناع (١/١٦٧ و١٦٨ و١٦٩ و٢٠٧ و٢٠٩ و٢١٥ و٢١٨ و٢٢١ و٢٢٥ و٢٣٥ و٢٤٠ و٢٤٢ و٢٥١).

(٣) انظر: الإقناع (١/١٦٧ و١٦٨ و٢٢١ و٢٣٢).

(٤) انظر: الإقناع (١/١٦٩ و٢٣٤).

(٥) انظر: الإقناع (١/١٦٩).

(٦) انظر: الإقناع (١/١٦٩).

(٧) انظر: الإقناع (١/١٦٩).

(٨) انظر: الإقناع (١/١٧٩ و١٨٢ و٢٣٤).

(٩) انظر: الإقناع (١/١٧٩).

(١٠) انظر: الإقناع (١/١٨٠ و٢١٦ و٢٢٧ و٢٣٠ و٢٣٣).

(١١) انظر: الإقناع (١/١٨٦).

(١٢) انظر: الإقناع (١/١٨٢).

(١٣) انظر: الإقناع (١/١٨١ و٢٠٧ و٢١١ و٢٢٠ و٢٢٤ و٢٢٦ و٢٣٣ و٢٣٦).

(١٤) انظر: الإقناع (١/١٨٤ و١٨٥ و١٨٩ و٢٤٧ و٢٥١).

(١٥) انظر: الإقناع (١/١٨٥ و٢٢١).

(١٦) انظر: الإقناع (١/١٨٧ و١٩٥ و٢١٤ و٢٢٧).

(١٧) انظر: الإقناع (١/١٩١).

(١٨) انظر: الإقناع (١/١٩١).

(١٩) انظر: الإقناع (١/١٩٦).

(٢٠) انظر: الإقناع (١/٢٥١).

(٢١) انظر: الإقناع (١/٢٥١).

ج. الألفاظ والعبارات التي تدلُّ على تضعيف القراءات وردِّها:

وردت في كتب القراءات واللغة والتفسير عباراتٌ تدل على التضعيف، منها: الضعف، القبح، الخطأ في العربية، المنكر، اللحن، الجهالة في السند، الشذوذ، الخروج من القياس، الغلط، الجهل، لست أشتهيه، أكرهه، وغيرها[١].

في نصِّ ابن الباذش استعمل ألفاظاً عدة تدلُّ على تضعيف القراءة أو ردِّها، منها: انتقاض الأقيسة[٢] - انخرام الأبواب[٣] - الرَّداءة[٤] - الوهم[٥] - الغلط[٦] - الزعم[٧] - الخروج عن الظاهر من غير ضرورة[٨] - النقل على المعنى[٩]، وغيرها.

(١) انظر: قواعد نقد القراءات القرآنية «دراسة نظرية تطبيقية» للدكتور عبد الباقي سيسي (ص٥٤٩).
(٢) انظر: الإقناع (١٦٨/١).
(٣) انظر: الإقناع (١٦٨/١).
(٤) انظر: الإقناع (١٩٨/١).
(٥) انظر: الإقناع (٢٦٠/١).
(٦) انظر: الإقناع (٢٦٠/١).
(٧) انظر: الإقناع (٢٦٠/١).
(٨) انظر: الإقناع (١٨٤/١).
(٩) انظر: الإقناع (١٨٦/١).

الخاتمة ونتائج البحث

١. حاولت هذه الدراسة المختصرة أن تقدم نموذجاً عملياً في تحليل النصوص في كتب القراءات، أعني باب الإدغام في كتاب «الإقناع»، فدرست المؤلف: حياتَه ومكانتَه في عصره وثقافتَه، ثم اتجهت إلى تأطير كيفية التحليل من اكتشاف مشكلة النص والفكرة الرئيسة التي يقوم عليها والأفكار العميقة التي يتضمَّنها، ثم قراءة تحليلية مباشرة لنصوص باب الإدغام، فقراءة أخرى معمَّقة له، ثم خاتمة ونتائج له.

٢. لم يخالف ابن الباذش في موقع باب الإدغام من الكتاب التقسيم الذي اعتمده مَنْ قبله لأبواب الأصول والفرش. ويعدُّ ابن مجاهد (٣٢٤هـ) في كتابه السبعة أوَّلَ من رسم المنهجية المتبعة في هذا العلم من حيث البدءُ بالتعريف بأئمَّة القراءة وأسانيدهم المتصلة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطرق رواياته عنهم، ثم البدء بسورة الفاتحة وما فيها من قراءات، ثم باب الإدغام، ثم فرش الحروف. وهذا المنهج هو الذي اتَّبعه ابن مهران (ت: ٣٨١هـ) في كتابَيه «الغاية» و«المبسوط» في القراءات العشر[١]. ثمَّ جاء الإمام الحافظ أبو الحسن عليُّ بن عمر الدارقطنيُّ البغداديُّ (ت: ٣٨٥هـ) فرتَّب أبواب الأصول والفرش على الشكل المعروف في كتب القراءات[٢]. وتبعه الإمام الحافظ أبو عمرو الدانيُّ مثبِّتاً هذه المنهجية في التقسيم في كتابيه في «جامع البيان» و«التيسير»، فصار تقليداً شائعاً فيما بعد عند أكثر المصنِّفين، ومنه استفاد صاحبنا الإمام ابن الباذش في كتابه «الإقناع».

٣. تأكد واضحاً في القراءات التي رجَّحها ابن الباذش في باب الإدغام ما ذكره في مقدمته من أن كتابه يُعدُّ تهذيباً وشرحاً وتتميماً لكتابَي: «التبصرة» لمكي بن أبي

(١) انظر: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد ابّاه (ص١٢٩).
(٢) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء للإمام ابن الجزري (٥٥٨/١).

طالب (ت: ٤٣٧هـ)، و«التيسير» لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ) رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وهما كتابا رواية، جعلهما ابن الجزريّ رَحِمَهُ اللَّهُ من فئة الكتب التي اشترط أصحابها فيها الأشهر من القراءات والروايات، واختاروا ما قُطع به عندهم على صحَّته. فتلقَّى الناس هذه الكتب بالقبول وأجمعوا عليها من غير معارض، «كغايتَي ابن مهران وأبي العلاء الهَمَذانيّ، وسبعة ابن مجاهد، وإرشاد أبي العزّ القلانسيّ، وتيسير أبي عمرو الدانيّ، وموجَز أبي علي الأهوازيّ، وتبصرة ابن أبي طالب، وكافي ابن شريح، وتلخيص أبي مَعْشَر الطبريّ، وإعلان الصفراويّ، وتجريد ابن الفحَّام، وحرزِ أبي القاسم الشاطبي وغيرها، فلا إشكال في أن ما تضمَّنَته من القراءات مقطوعٌ به إلا أحرفاً يسيرةً يعرفها الحفاظ من الثقات، والأئمة النقَّاد»[1].

٤. يعدُّ باب الإدغام في كتاب «الإقناع» مثالاً تطبيقياً واقعياً للعناصر الواقعة في تحليل النُّصوص والحكمِ عليها، من السَّبك، والالتحام، والقصد، ورعاية الموقف، والقبول، والتناصّ، والإعلام، وظهر ذلك جليّاً في لغة النصِّ، والتعريفات والقوانين والقواعد التي ساقها ابن الباذش، وأماكن السَّرد والتفصيل والاستطراد، وأماكن الاختصار والاختزال، والتقسيمات العامة والتفريع عنها، والاقتباسات والشواهد والأدلة، ومعايير الترجيح والرد في القراءات.

٥. جمع ابن الباذش في باب الإدغام بين اتجاهات أقطاب المدرسة الأندلسية واختياراتهم، فقد رسم فيه اتجاه أبي عمرو الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ) الأثريِّ الذي آثر الاعتصامَ بسبل الرِّواية القرآنية، وبذل جهدَه الكبير في توثيقها وتمحيصِها، واتجاهَ أبي محمَّد مكي (ت: ٤٣٧هـ) شيخ المدرسة التي استندتْ إلى مقاييس لغة القرآن وترجيح الأفصح منها، والاتجاهِ التوفيقيِّ بينهما الذي استكمله أبو عبد الله محمد بن شريح (ت: ٤٦٧هـ) بالتزام مقوِّمات

(١) منجد المقرئين (٢١).

النصِّ من روايةٍ ورسمٍ ولغةٍ. وبهذا يعدُّ ابن الباذش قد مهَّد الطريق لابن أبي السَّداد المالقيِّ أن يقوم بعملية تلخيصٍ وتوفيق لمذاهب هؤلاء الأقطاب الثلاثة وغيرهم في كتابه «الدرِّ النثير والعذب النمير»[1].

٦. ظهر في باب الإدغام ذائقة ابن الباذش النقدية والإعلامية، فهو في القسمَين الأولين منه يستعمل الذائقة النقدية، فتراه يعلِّل ويوجِّه ويرد الرواية الضعيفة ويحتجُّ بالشواهد العقلية والنقلية من معارف العلماء الذين سبقوه، وأما في القسم الثالث فنراه هادئاً استعمل الرسالة الإخبارية الإعلامية للأحكام المتفق عليها في باب الإدغام، وكأن ابن الباذش أراد أن يصفِّيَ في القسمَين الأولين ما يحيط بباب الإدغام من شوائب، ليجعله صافياً رائقاً في القسم الثالث.

٧. مما تميَّز به باب الإدغام عند ابن الباذش تحريرُ النُّقول وكثرة المسائل؛ حيث أورد فيه ابن الباذش روايات أدائية منقولة، ميَّز في كثير منها صحيحَها من سقيمها، وجيِّدَها من رديئها، وقويَّها من ضعيفها، واضعاً معايير للقراءة المرضية المقبولة، وهي:

الأول: تلقِّي العلماء والقراء لها بالقبول، وإمامة ناقلها وضبطه في القراءة.

الثاني: انتفاء القراءة والرواية من العلل القادحة فيها: فمن العلل القادحة:

- كونها مما حكم عليها جمهور القراء بالغلط.
- أو الوهم فيها من ناقلها وراويها.
- أو مخالفتها للرِّواية الأوثق منها مع عدم إمكان الجمع.
- أو مخالفتها للغة العربية، وهي قرينةٌ تدلُّ على وهم ناقلها فيها وغلطه[2]. وهنا نجد ابن الباذش قد طبَّق ذلك فاستعان بأقوال جهابذة عصره كأبيه، ورجَّح

(١) انظر: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب للدكتور محمد المختار ولد ابَّاه (ص٣٢٩ - ٣٣٠).

(٢) انظر: الاختيار عند القراء (ص٤٠٩).

ما عليه العمل في مواطن من هذا الباب، أو قال بالأكثر، أو بشواهد ومسائل قياسية من النحو واللغة والأعاريب، وخاصة من كتاب سيبويه.

٨. مما يلفت النظر في باب الإدغام عند ابن الباذش الاحتفاءُ البالغ بكتاب سيبويه وآرائه، وجعله أصل الأصول يقاس عليه، وينبَّه على مسائل الروايات التي ليست على قياسه، بل وتحاكم إن خالفته. وورد ذكر سيبويه في باب الإدغام عند ابن الباذش أكثر من خمسٍ وعشرين مرةً، وجاء اسمه متصدراً في بعض الأبواب كباب الهمزة[١]. على أننا نلتمس العذر لابن الباذش؛ إذ مضى في ذلك على سنَن من قبله، فهذا الداني يقول في كتابه «التحديد»: «وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة؛ إذ هو الصحيح المعوَّل عليه إن شاء الله تعالى»[٢] اهـ. وهكذا فعل القرطبيُّ في الموضح[٣]. ومما يدلُّك على مكانة كتاب سيبويه العالية في ذلك الزمان قول صَاعِدِ بن أحمد القرطبيِّ (ت: ٤٦٢هـ) أحدِ مؤرِّخي العلم المشهورين من أهل الأندلسِ: «ولا أَعْرِفُ كتاباً أُلِّفَ في عِلْمٍ من العُلُومِ، قديمِها وحديثِها، فاشتَمَلَ على ذلك العلمِ، وأحَاطَ بجميع أجزاءِ ذلك الفَنِّ غيرَ ثلاثةِ كتُبٍ: أحدُهَا: كتابُ: (المَجِسْطِي)، هذا في علم هَيئةِ الفَلَكِ وحركاتِ النُّجُوم[٤]. والثاني: كتابُ (أرِسْطاطاليس) في علمِ صناعةِ المَنطقِ. والثالثُ: كتابُ سيبويه البصريِّ في علمِ النَّحْوِ العربيِّ، فإنَّ هذه الكتبَ الثلاثةَ لا يَشِذُّ عن كلِّ وَاحِدٍ مِنها مِن أصولِ عِلْمِهِ، ولا مِن فُرُوعِهِ إلاَّ ما لا خَطْبَ له. ولله تعالى وحْدَهُ مزيدُ الإحاطةِ، وفضيلةُ التَّمَامِ، لا رَبَّ غيرُهُ»[٥].

---

(١) انظر: الإقناع (١/١٩٨).
(٢) التحديد (ص١٠٢).
(٣) انظر: الموضح في التجويد (ص٧٧).
(٤) للفلكيّ الإغريقي بطليموس.
(٥) انظر: طبقات الأمم (ص٦٧٦).

٩. مما تميَّز به ابن الباذش أمانته العلمية في نقله للنصوص حيث نقل عدداً من القراءات والروايات عن عدد من الشيوخ، تحرَّى فيها أمانة النَّقل، حتى لو كان بعض هذه النصوص يحمل قراءات وروايات شاذةً. فقد تضمَّن باب الإدغام قدراً من نصوص الكتب التي لم يشترط أصحابها فيها شيئاً من الضوابط. قال ابن الجزريّ عن هذه الفئة من الكتب: «ومنهم من ذكر ما وصل إليه من القراءات كسبط الخياط، وأبي معشر في «الجامع»، وأبي القاسم الهذَليّ، وأبي الكرم الشَّهْرَزُوريّ، وأبي علي المالكيّ، وابن فارس، وأبي علي الأهوازيّ وغيرهم، فهؤلاء وأمثالهم لم يشترطوا شيئاً، وإنما ذكروا ما وصَلهم، فيرجع فيها إلى كتاب مقيَّد أو مقرئ مقلَّد»[1] اهـ.

١٠. وأخيراً يعدُّ ابن الباذش في النصِّ المحلَّل من فئة العلماء الهاضمين لمعارف من سبقهم من العلماء، المنظِّمين لها، والبانين عليها، والمستفيدين منها في ضمِّ النظير إلى النظير والترجيح بينها، وهو امتداد للمدرسة البصرية القياسية في النحو، وقطبها سيبويه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) منجد المقرئين ٢١.

المراجع

١. **الإحاطة في أخبار غرناطة**: محمد الغرناطي الأندلسي الشهير بلسان الدين بن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٢. **الاختيار عند القراء «مفهومه ومراحله وأثره في القراءات»**: أمين بن إدريس فلاتة، كرسي القرآن الكريم وعلومه، جامعة الملك سعود (ط١) (١٤٣٦هـ- ٢٠١٤م).

٣. **الإدغام الكبير في القرآن**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٤. **أسرار العربية**: عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (ط١) (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

٥. **أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**: عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م).

٦. **الأصول في النحو**: محمد بن سهل بن السراج (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٢) (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

٧. **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت (ط٨) (١٩٨٩م).

٨. **الاقتراح في أصول النحو**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسمى شرحه «الإصباح في شرح الاقتراح»، دار القلم، دمشق (ط١) (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م).

٩. **الإقناع في القراءات السبع**: أحمد بن علي الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن البَاذِش (ت: ٥٤٠هـ)، حققه وقدم له: عبد المجيد قطامش، جامعة أم القرى (ط١) (١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م).

١٠. **انفتاح النص الروائي**: سعيد يقطين، المركز الثقافي الغربي، بيروت، لبنان (ط٢) (٢٠٠١م).

١١. **البحر المحيط في التفسير**: أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، حققه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت (ط١) (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

١٢. **بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس**: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبيّ (ت: ٥٩٩هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة (ط١) (١٩٦٧م).

١٣. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

١٤. **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي (ط١) (٢٠٠٣م).

١٥. **تاريخ القراءات في المشرق والمغرب**: محمد المختار ولد ابّاه، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو (ط١) (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).

١٦. **التحديد في الإتقان والتجويد**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمَّان، الأردن (ط٢) (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

١٧. **تحليل الخطاب الشعري «استراتيجية التناص»**: محمد مفتاح، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، المغرب (ط٣) (١٩٩٢م).

١٨. **التكملة «وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضديّ»**: أبو عليّ الحسن بن أحمد الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض (١٤٠١هـ- ١٩٨١م).

١٩. **التكملة لكتاب الصلة**: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان (ط١) (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

٢٠. **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**: أبو بكر محمد الشافعي شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١) (١٩٩٣م).

٢١. **التيسير في القراءات السبع**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، عناية أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي (ط٣) (١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م).

٢٢. **جامع البيان في القراءات السبع**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، جامعة الشارقة، الإمارات، «أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة» (ط١) (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٢٣. **جامع البيان في القراءات السبع، من أول الكتاب إلى أوّل فرش الحروف**: أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)، إعداد عبد المهيمن عبد السلام طحّان، رسالة دكتوراه مقدَّمة إلى كلِّية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرَّمة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).

٢٤. **حجَّة القراءات**: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغانيّ، مؤسَّسة الرِّسالة (ط٤) (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٢٥. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت: ٧٩٩هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

٢٦. **الرِّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، دار عمار، عمان، الأردن (ط٢) (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٢٧. **السبعة في القراءات**: أحمد بن موسى بن مجاهد (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف (ط٢) القاهرة.

٢٨. **السلاسل الذهبية بالأسانيد النشرية من شيوخي إلى الحضرة النبوية**: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات (ط١) (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٢٩. **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة (ط٣) (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٣٠. **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**: محمد مخلوف (ت: ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان (ط١) (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٣١. **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت: ٥٧٨هـ)، عني بنشره وصححه وراجع أصله: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي (ط٢) (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

٣٢. **طبقات الأمم**: أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسيّ (ت: ٤٦٢هـ)، ضمن مجلة المشرق الكاثوليكية، بيروت، السنة الرابعة عشرة (١٩١١م).

٣٣. **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**: د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة (ط١) (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م).

٣٤. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (ت: ٤٥٦هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٣٥. **غاية النِّهاية في طبقات القراء**: شمس الدين محمد الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)، نشر ج. برجستراسر، دار الكتب العلميَّة، بيروت (ط٣) (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٣٦. **قواعد نقد القراءات القرآنية «دراسة نظرية تطبيقية»**: عبد الباقي سيسي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع (ط١) (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٣٧. **كتاب سيبويه**: سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (ط٣) (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٣٨. **الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها**: مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة (ط٤) (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٣٩. **المصطلحات الصوتية في التراث اللغوي عند العرب**: عادل أبو شعر، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض (ط١) (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

٤٠. **معاني القرآن**: يحي بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار.

٤١. **معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي**: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي الشهير بابن الأبار (ت: ٦٥٨هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (ط١) (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

٤٢. **معجم الأدباء - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**: ياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ط١) (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٣. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية (ط١) (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

٤٤. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: طيار آلتي قولاج، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول (ط١) (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٤٥. **المقتضب**: أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة (ط٢) (١٣٩٩م).

٤٦. **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: شمس الدين محمد الجزريّ (ت: ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية (ط١) (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٤٧. **الموضح في التجويد**: عبد الوهاب القرطبي (ت: ٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن (ط١) (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

٤٨. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (ط١) (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م).

٤٩. **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت (ط١) (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٠٩
المقدمة	١١٠
مشكلة البحث	١١٢
سبب اختيار موضوع البحث	١١٢
حدود البحث	١١٣
أهداف البحث	١١٣
الدراسات السابقة	١١٣
خطة البحث ومنهجيته	١١٤
المبحث الأول: المصنف والكتاب	١١٥
المطلب الأول: مصنِّف الكتاب وقائل النصِّ	١١٥
أولاً: اسمه وكنيته ولقبه	١١٥
ثانياً: الحياة العلمية في القرنين الخامس والسادس (الفترة التي عاشها ابن الباذِش)	١١٥
ثالثاً: ثقافته وتكوينه العلمي والعلماء المؤثرون في مسيرته العلمية	١١٦
المطلب الثاني: معرفة الكتاب الذي ورد فيه النصُّ ومكانته عند العلماء	١١٨
أولاً: اسم الكتاب	١١٨
ثانياً: سبب تأليف الكتاب	١١٩
ثالثاً: منهج الكتاب وطريقة تبويبه	١١٩
رابعاً: أسانيد الكتاب وطرقه	١١٩
خامساً: ثناء العلماء على الكتاب	١٢٠
المبحث الثاني: تحليل النصِّ	١٢٢
المطلب الأول: معرفة مشكلة النصِّ	١٢٤
أولاً: الفكرة الرئيسة	١٢٤
ثانياً: الأفكار العميقة	١٢٤
ثالثاً: صياغة مشكلة النصِّ على هيئة أسئلة	١٢٤

الموضوع	الصفحة
المطلب الثاني: التحليل المباشر للنصّ	١٢٦
القسم الأول: الواجب الذي لا يجوز فيه إلا الإدغام	١٢٦
القسم الثاني: الممتنع الذي لا يجوز فيه الإدغام	١٢٨
القسم الثالث: الجائز الذي يجوز فيه الإظهار والإدغام	١٣١
المطلب الثالث: التحليل المعمَّق للنصّ	١٣٤
أولاً: لغة النصّ	١٣٥
ثانياً: التعريفات	١٣٩
ثالثاً: القوانين والقواعد	١٣٩
رابعاً: السرد والتفصيل والاستطراد والاختصار والاختزال	١٤٠
خامساً: التقسيمات والتفريعات	١٤٢
سادساً: الاقتباسات	١٤٣
سابعاً: الشواهد والأدلة	١٤٣
ثامناً: معايير الترجيح بين القراءات	١٤٤
الخاتمة ونتائج البحث	١٤٩
المراجع	١٥٤
فهرس الموضوعات	١٥٩

دِرَاسَةُ قَصِيدَةِ الإِمَامِ أَبِي مُزَاحِمٍ الْخَاقَانِي فِي حُسْنِ الأَدَاءِ

د. حَازِم بْنُ سَعِيد حَيْدَر السَّعِيد (*)

مُلَخَّصُ البَحْث

يحوي هذا البحث دراسةَ قصيدة رائعة عَذْبة من عيون الشعر التعليمي للإمام أبي مُزاحم موسى بن عُبَيْد الله الخاقاني رَحِمَهُ اللَّهُ (ت: ٣٢٥هـ)، وهي أوَّلُ كتاب نَعْلمه أُلِّف في علم تجويد القرآن الكريم.

وتناولت الدراسة أهمية هذه المنظومة، وعنايةَ أهل العلم بها من خلال روايتها وإسنادها عن شيوخهم، وبيانِ من تصدَّى لشرحها، والاستشهاد بها، وبروزِها تسعة قرون حاضرة في الدَّرْس العلمي لدى علماء القراءة تمَثَّل في اقتناصاتٍ من أبياتها في مصنَّفاتهم؛ للتدليل أو التوضيح لمسائل علم التجويد.

وقد أحدثت القصيدة جوَّاً مفعَماً بالإعجاب بها والتأثر بأبياتها؛ مما حدا بثلَّة من العلماء الشعراء إلى محاكاتها، ومضاهاة معانيها وقوافيها.

وكان جزء من هذه الدراسة يشير إلى التسلسل التاريخي لطبعاتها، والتسجيلات الصوتية لنصِّها.

وشملت الدراسة مكوِّناتِ القصيدة، والمحاورَ الرئيسة التي بُنيت عليها، كالمحور الأدائي، الذي ظهر فيه بعض السِّمات، مثل: منهج التلقي، ومراتبِ التلاوة، وتجنُّب اللحن. وبدا في صناعة القصيدة ما يهمُّ القارئَ، ويمَسُّ بناء شخصيته العلمية في باب الإقراء.

وأسهمت «قصيدة الخاقاني» في التنبيه على معالمَ تربوية وإرشادية في القضايا المتعلِّقة بآداب القارئ والمقرئ.

(*) أستاذ مشارك في علوم القرآن الكريم بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - مركز البحوث الرقمية.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضلُ الصلاة وأزكى التسليم على سيِّد الورى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الناظر في معظم كتب علم التجويد المتداولة بين أيدي عامة المتعلمين اليوم يلمِس فيها ظاهرةً غريبة عن هذا العلم الجليل، توحي إليه بأن قواعد التِّلاوة ما هي إلَّا أسس وضعها علماء هذا الفن اجتهاداً واستحساناً، دون رواية أو أثر؛ وذلك لأن كثيراً من المباحث في تلكم المصنَّفات اصطبَغت بتلك الوِجهة في عَرْضها وتقريرها، دون التركيز على رُكنية التَّلقي والمشافهة.

وقد بدأ هذا العلم أخِيّاً ملازِماً لعلم القراءات، ووجدنا مباحثَه وأصوله متداخلةً في ثنايا كتب اختلاف القراء.

وظهرت أوَّلُ محاولة وليدة - فيما أعلم - لفَصْل بعض أقسام علم التجويد عن القراءات على يد الإمام أبي مُزاحم موسى بن عُبَيْد الله الخاقانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣٢٥هـ) الذي كان معاصراً لابن مجاهد البغدادي، وهو من علماء القراءة الأثبات - في منظومته في «حُسْن الأداء» المعروفة بـ «الخاقانيَّة» أو «الرَّائية».

ولكون هذه القصيدة أولَ مصنَّف في تجويد القرآن الكريم، ولاحتفاء أهل العلم بها، ولمكانتها في مؤلفات هذا الفن، وما أحدثته من أثر عند العلماء وفي المؤلَّفات بعدها، أحببت إجراء دراسة متواضعة حول هذه المنظومة.

ولا أعلم أن لها دراسة مستفيضة من قبلُ، لكن هنالك بعض الدراسات السابقة في هذا المضمار، وهي:

١. ما كتبه المستشرق الإيطالي بونيشي (Boneschi.p.) في مجمع لنشاي العِلْمي في إيطاليا عام (١٩٣٨م) عن القصيدة، كما يحكي سزكين[١].

(١) انظر: تاريخ التراث العربي (٤٥/١). وذكر الأستاذ الدكتور غانم الحمد أنه حاول الوقوف على ما كتبه (بونيشي) عن القصيدة، لكنه لم يظفر بشيء. انظر: أبحاث في تجويد القرآن (٤٧).

ويظهر أن ما كتبه بونيشي عنها هو باللغة الإيطالية، ويرجِّح هذا عنوانُ الدراسة التي أوردها سزكين، وهي بالإيطالية أيضاً، والله أعلم.

٢. مقالة «رائية الحُصْري ومنظومات معارضة لرائية الخاقاني» لمحمد محفوظ (ت: ١٤٠٨هـ)، نشر في مجلة الفكر التونسية ضمن حوليات الجامعة التونسية العدد (١) سنة (١٩٦٤م). تناول في مقالته وصف مخطوط يحوي: «منظومة الخاقاني»، ومعارضاتها (الحُصْرية، والمَلَطية، واللَّالكائية)، وهذه الثلاث برواية الحافظ أبي طاهر السِّلَفي إلى أصحابها.

٣. دراسة الأستاذ الدكتور غانم قَدُّوري الحَمَد في مجلة كلية الشريعة ببغداد، ضمن بحثه: (علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى)[١]، عام (١٤٠٠هـ)، وأعاد نشره ضمن مباحث كتابه: (أبحاث في علم التجويد)[٢] عام (١٤٢٢هـ) الصادر في دار عمَّار بالأردن، وتحدث عن القصيدة بشكل موجز، ونشر نصَّها.

٤. دراسة الأستاذ غازي بنيدر العَمْري في مقدمة تحقيقه «شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني» للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، الذي نال بتحقيقه درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام (١٤٢٢هـ)، ودراسته لمكونات القصيدة مختصرة جداً.

وسلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين:

المقدمة: وتضمنت أهمية دراسة القصيدة «الخاقانية»، والدراسات السابقة، وخِطَّة البحث.

---

(١) انظر: مجلة كلية الشريعة، بغداد (العدد السادس) سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) (ص١ - ٦٦).

(٢) ص (٩ - ٧٥).

التمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي مزاحم الخاقاني.

المبحث الثاني: إطلالة سريعة على نشأة علم التجويد.

الفصل الأول: **اهتمام أهل العلم بـ «القصيدة الخاقانية»**: وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: روايتها.

المبحث الثاني: شروحها.

المبحث الثالث: الاستشهاد بها.

المبحث الرابع: معارَضَات القصيدة.

المبحث الخامس: طبعاتها.

المبحث السادس: التسجيل الصوتي للقصيدة.

الفصل الثاني: **مكوِّنات القصيدة**: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عنوانها.

المبحث الثاني: المحور الأدائي.

المبحث الثالث: محور القراء.

المبحث الرابع: المحور التربوي.

ثم الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

وعملت فهرساً لمصادر البحث، وآخرَ للموضوعات. وقد أُورد بعضَ أبيات منها - فيما نقله العلماء عنها - تكون مخالفة للمشهور المعروف من نصِّ القصيدة، ولا أنبِّه على ذلك؛ اكتفاء بتوثيق النقل من مصدره. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

التمهيد

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول
ترجمة موجزة لأبي مزاحم الخاقاني[1]

يمثِّل أبو مزاحم: موسى بن عُبَيد الله بن يحيى بن خاقان الخاقاني ظاهرة الشاب الذي ابتعد عن الإرث الأُسْري الذي قد ينشأ عليه بعض الناس؛ إذ إنه من أبناء الوزراء، وترعرع - بعد ولادته سنة (٢٤٨هـ) - في بيئة لها صلات بصُنَّاع القرار السياسي، فجدُّه يحيى بن خاقان وَلِي ديوان الخراج زمن المتوكِّل سنة (٢٣٣هـ)[2]، ووالده عُبَيْد الله بن يحيى بن خاقان، كان وزيراً للمتوكِّل والمعتَمِد، وكان عاقلاً حازماً، واستمرَّ في الوزارة حتى وفاته سنة (٢٦٣هـ)، وأخوه محمد بن عُبَيْد الله بن يحيى، أبو علي، ولي الوزارة بعد سقوط ابن الفُرات سنة (٢٩٩هـ)، وابن أخيه أبو القاسم عبد الله بن محمد ابن عُبَيْد الله بن يحيى بن خاقان وزير[3].

لكن أبا مُزاحم اختطَّ طريق العلم والقراءة والحديث والفقه، وهو من «بيت حِشْمة وتقدُّم»[4]، كما وصفه الإمام الذهبي في ترجمة عمِّه: أبي علي عبد الرحمن بن يحيى ابن خاقان (ت: ٢٧٥هـ).

فأُولع بالعلم، وترك الدنيا، وأعمل نفسه في رواية الحديث، وتمسَّك بالسُّنة، وكتب شعاراً على خاتمه: «دِنْ بالسُّنن، موسى تُعَنْ»؛ ليكون تَذْكاراً له في هذه السَّبيل.

وتلقَّى عن علماء عصره، فممَّن أخذ عنهم:

---

(١) انظر في ترجمته: معجم الشعراء للمرزباني (٢٩٠ - ٢٩١)، وتاريخ بغداد (٥٩/١٣)، وسير أعلام النبلاء (٩٤/١٥)، ومعرفة القراء الكبار (٥٥٤/٢)، وغاية النهاية (٣٢٠/٢)، وغيرها.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢٩٧/٥).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٣٥٩/٢٣).

(٤) تاريخ الإسلام (٣٨٨/٢٠).

١. الحسن بن عبد الوهاب بن الحَكَم، أبو بكر البغدادي الوَرَّاق (ت: ٢٩٢هـ) - تلميذ حفص الدُّوري - الذي قرأ عليه قراءة الكسائي، وحَذِقها، فصار إماماً فيها، ضابطاً لها، مضطلعاً بها.

٢. الحسين بن عبد الله بن أحمد، أبو علي الخِرَقي (ت: ٢٩٩هـ)، والد أبي القاسم الخِرَقي صاحب «المختصر في الفقه»[١]، الذي من شروحه شرح الإمام ابن قدامة المقدسي، المعروف بـ «المغني».

٣. عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الرحمن الشَّيْباني (ت: ٢٩٠هـ).

فغدا هذا الفتى محدِّثاً ثقةً دَيِّناً من أهل السُّنة، ومن جِلَّة العلماء، جمع بين علوم الشريعة واللغة، واعتنى بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتفقَّه به.

وهو مِن طبقة الإمام ابنِ مُجاهدٍ قارئ أهلِ بغدادَ في زمانه صاحبِ كتاب «السَّبعة» في القراءات، وقد شاركه في كثيرٍ من شيوخه وتلامذته.

والخاقاني بصير باللغة العربية، وشاعر مُجيد، وظَّف شعره في خدمة القرآن الكريم، والسنَّة، والعِلْم وأهله.

وذكره الإمامُ الدانيُّ في «الأُرجوزة المُنبِّهة» في باب: القول في أهل الأداء، فقال[٢]:

وَقَـدْ سَمَا في هـذه الصِّنَاعَهْ ... قَـومٌ هُـمُ أَئِـمَّـةُ الجَـمـاعَـهْ

مَـنِ اقْـتَـدى بـقَـولِهِم مُـسَـدَّدُ ... مُـوَفَّـقٌ لـرُشْـده مُـؤَيَّـدُ

ثم قال:

وابْـنُ عُبَيدِ الله ذُو الإِتْـقَـانِ ... مُـوسَى أَبُـو مُـزَاحِـمِ الخَـاقـانِي

وعدَّه الذهبي في «طبقات القرَّاء» من الطبقة الثامنة، التي ابتدأها بابن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)[٣].

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (٤٥/٢).

(٢) الأرجوزة المنبهة (١٤٣، ١٤٥).

(٣) انظر: معرفة القراء الكبار (٥٥٤/٢).

وتخرَّج على يديه ثُلَّة من أهل العلم المشهورين، مثل: إمام المقرئين أبي طاهر عبدالواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم البغدادي (ت: ٣٤٩هـ)، صاحب كتاب «البيان»، والإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجُرِّي شيخ الحرم المكي (ت: ٣٦٠هـ) مصنِّف كتاب «الشريعة»، والحافظ شيخ العراق أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ) صاحبِ «التفسير الكبير» الواقع في نيِّف وعشرين مجلداً كلُّه بالأسانيد[١].

وترك الإمام الخاقاني لنا تراثاً أغلبه من القريض، وهو:

١. **«القصيدة الخاقانية»**: وهي محلُّ الدراسة.

٢. **«القصيدة الميمية»** التي قالها في الفقهاء، ومطلعها:

أعـــوذُ بـعـزَّة اللهِ الـسَّـلامِ ... وقـدرتِـه مـن البِـدَع الـعِـظـامِ
أُبـــيِّن مَـذْهـبي فـيـمَـن أَراه ... إمـامـاً في الحَـلالِ وفي الحَـرامِ
كما بـيَّـنـتُ في الـقُـرَّاء قَـوْلي ... .[٢]

ونهايتها:

إذا خالفتُ قـولَ رسـولِ ربِّي ... خَشِيتُ عقابَ ربٍّ ذي انتقامِ
ومـا قـال الـرَّسـولُ فـلا خـلافٌ ... لَه يـا ربِّ أَبْـلـغـه سَـلامِ

وهي قصيدة من البحر الوافر، تقع في ثمانيةَ عشر بيتاً، أوردها كاملة الحافظ ابن عبد البَرِّ بسنده إلى المؤلِّف، في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»[٣].

وذكر علم الدِّين السَّخاوي أن «قصيدة الخاقاني» في القراءة اشتهرت، بخلاف قصيدته التي نظمها في أئمَّة الفقه[٤].

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٤٣١).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/٨٩٩).
(٣) في باب: جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء (٢/٨٩٩ - ٩٠٠).
(٤) انظر: فتح الوصيد (١/٢١٠).

ونشرها المستشرق الإيطالي (بونيشي) في مجلة الدراسات الشرقية عام (١٩٤٠م)[١]، ونشرها - كذلك - الأستاذ محمد عُزَير شمس في كتابه «روائع التراث»[٢].

٣. «قصيدة في السُّنَّة»: رواها الحافظُ ابن الجزري عن شيخه أبي حفص عمر ابن الحسن بن مَزْيَد المَراغي المِزِّي، المعروف بن أُمَيْلة المتوفى بدمشق سنة (٧٧٨هـ)، بقراءته عليه، عن علي بن أحمد المَقْدسي، عن ابن طَبَرْزَد بسنده[٣].

٤. «مذاهب أهل العلم في أخذهم بالسَّماع»: ذكره ابن أبي يَعْلى[٤].

٥. «أخبار الثقلاء»: سمعه الحافظ ابن حجر العَسْقلاني من شيخه محمد بن محمد ابن محمد بن مَنِيع الورَّاق (ت: ٨٠٣هـ)، بسماعه من الحافظ المِزِّي، بسنده إلى تلميذ المؤلِّف (أبي عمر محمد بن العباس بن حيُّويه)[٥].

وقد اضطربت عبارات بعض المتأخرين في نسبة كتب الخاقاني؛ وذلك بذكر الكتاب أكثر من مرة، أو بأسماء مختلفة[٦].

وبقي الإمام الخاقانيُّ رافعاً للواء العلم ناشراً له، إلى أن تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحادي عشر من شهر ذي الحِجَّة سنة (٣٢٥هـ)، عن عُمرٍ ناهَزَ السابعةَ والسبعين عاماً.

---

(١) انظر: المستشرقون (٤٦١/١).
(٢) ص: (٨٧ - ٨٨).
(٣) انظر: غاية النهاية (٣٢١/٢)، وتكملة الإكمال لابن نقطة (٩/٢).
(٤) انظر: طبقات الحنابلة (١٧٦/١).
(٥) انظر: المجمع المؤسس (٤٤٨/٢).
(٦) انظر: كشف الظنون (١٣٣٧/٢، ١٣٣٩، ١٣٤٨).

المبحث الثاني
إطلالة سريعة على نشأة علم التجويد

بدأ علم التجويد ملازِماً لعلم القراءات، ومواكباً له من حيث التطبيق العملي، والنقلُ التدويني، ووجدنا مباحثَه وأصوله كالترقيق والتفخيم، والفتح والإمالة، والتحقيق والتسهيل، والإظهار والإدغام، والمدِّ والقَصْر متداخلةً في ثنايا كتب القراءات على شتَّى مناهجها التصنيفية.

وظهرت أوَّلُ محاولة وليدة لفَصْل بعض أقسام علم التجويد عن علم القراءات على يد الإمام أبي مُزاحم موسى بن عُبَيْد الله الخاقانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته في «حُسْن الأداء» المعروفة بـ «الخاقانية» أو «الرَّائية»، وصرَّح الحافظ ابن الجزري بذلك في «طبقات القراء»[(١)]، وفي كتابه «النشر»[(٢)].

وهي معلومة لا نكاد نجد لها مخالفاً، سوى ما ذكره الدكتور أشرف محمد فؤاد من أن إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن نافع أبا محمد الخُزاعي المكِّي (ت: ٣٠٨هـ) له مصنَّف في «تجويد القرآن»[(٣)]، وهو يُعَدُّ من طبقة شيوخ الخاقاني.

وعند تدقيقي لما ذكره الدكتور أشرف، وجدته ينقل عن الأستاذ كحالة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٨هـ)، الذي قال في ترجمة الخُزاعي: «جوَّد القرآن، وله مصنَّفات فيه»[(٤)]، ومصدر كحالة في الترجمة: الذهبي في «السير»، وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي».

ولما رجعت إلى «السير» وجدت عبارته: «وله مصنَّفات في القراءات»[(٥)]، وليس فيها ما يفيد تأليفه في علم التجويد مستقلاً، وأمَّا عبارته في «طبقات القراء» فتدلُّ

---

(١) انظر: غاية النهاية (٣٢١/٢).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (١٥٧٢/٥).
(٣) انظر: بشرى السعيد بمصنفات علم التجويد (١٥).
(٤) معجم المؤلفين (٣٤٠/١).
(٥) سير أعلام النبلاء (٢٨٩/١٤).

على أن للخُزاعيِّ كتاباً في قراءة أهل مكة، فقال: «وهو إمام في قراءة المكيين، مطَّلِع ضابط ثقة مأمون، له كتاب حسن، جمعه في اختلاف المكيين واتفاقهم»(١).

ولم أجد في النُّسخة المترجمة إلى العربية من «تاريخ الأدب العربي» أي ذكر لإسحاق الخُزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فيظهر أن ما أورده الدكتور أشرف فَهْمٌ فهمه من عبارة صاحب «معجم المؤلفين» غفر الله له، التي ظهر لنا عدم دقتها، فتَبْقى أوليةُ التأليف في علم التجويد متجهة للخاقاني.

ثم تتابع التأليف في علم التلاوة بصورة أبسط وأوسع مما حوته أبياتُ «القصيدة الخاقانية»، نحو: كتاب «التنبيه على اللَّحن الجلي واللَّحن الخفي» لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي الحذَّاء (ت: نحو: ٤١٠هـ)، وكتاب «بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القرَّاء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء» لأبي علي الحسن بن أحمد المعروف بابن البنَّاء الحنبلي (ت: ٤٧١هـ)، وكتاب «التمهيد في التجويد» للحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار الحنبلي (ت: ٥٦٩هـ).

وكان لعلماء الأندلس القِدْح المعلَّى في وضع جَمْهرة من تصانيف علم التجويد، نحو كتاب «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة» لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، وكتابيَ الداني (ت: ٤٤٤هـ): «التحديد في الإتقان والتجويد»، و«شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني».

وكان لنونية علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) أثر في علم التلاوة، وبخاصة في نقول العلماء الذين أخذوا عنها، أو تناولوا شرحها مثل ابنِ أمِّ قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) في كتابه: «المفيد في شرح عُمدة المُجيد».

كما أن كتب الجَعْبَريِّ إبراهيمَ بن عمر (ت: ٧٣٢هـ) المنثورة والمنظومة في علم التجويد، كان لها دور في بناء مسيرة التأليف في هذا الفن.

---

(١) معرفة القراء الكبار (٤٥١/١).

وتمثِّل منظومةُ الحافظ الإمام أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) المعروفة بـ «المقدِّمة الجزرية» واسطة العِقْد في مؤلَّفات هذا العلم، وبخاصة إذا اتضح لنا أنه ألَّفها في فترة متأخرة من عمره، وتزامنت مع تصنيفه أهمَّ كتابين وضعهما في بيان حروف القراءة، وهما: «النشر في القراءات العشر»، ونظمه «طيبة النشر»، وقد ضمَّن هذه الأخيرة أربعةً وثلاثين بيتاً من أبيات «المقدمة الجزرية» على وجه التقريب.

فالمقدمةُ الجزرية ليست ككتابه «التمهيد في علم التجويد» الذي ألَّفه في سن الرشد، وعمره تسعة عشر عاماً، سنة (٧٦٩هـ) في القاهرة[١].

ويترجَّحُ لديَّ أن ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضع مقدمته التجويدية بين عامي (٧٩٨ - ٨٠٠هـ)، وذلك في رحلته إلى بلاد الرُّوم (وهي تركيا الآن)؛ لأن ابنه أبا بكر أحمد حضر سماعاً إجازة أبيه لأبي الحسن علي باشا بقراءة الأخير «المقدمة» عليه عام (٨٠٠هـ)، كما هو مثبت بخط ابن الجزري في نهاية نسخة مكتبة [لاله[٢]]، وأيضاً فإن ابنه الآخر أبا الخير محمداً لحق بأبيه إلى تركيا عام (٨٠١هـ)، وفيه حفظ «المقدمة الجزرية»[٣]، فلو كان ابن الجزري نظمها قبل ذلك في الشَّام، أو مدةَ إقامته في مصر؛ لسبق لابنه المذكور حِفْظُها.

وقد أرست مقدمةُ ابن الجزري قواعد علم التجويد، وحدَّدت معالمه وأطره في أربع حلقات، وهي: مخارج الحروف، وصفاتها، والمسائل التجويدية، والوقف والابتداء؛ لهذا لاقت احتفاء كبيراً من أهل العلم، ووصلت شروحها - التي علمنا من خبرها - قرابة سبعين شرحاً بين مخطوط ومطبوع.

---

(١) انظر: التمهيد في علم التجويد (٢٣٨).
(٢) انظر: المقدمة الجزرية الورقة (٨/أ).
(٣) انظر: غاية النهاية (٢/٢٥٣).

ونجد كذلك أن كتاب «الدُّر اليتيم» لمحمد بن بِيْر علي الرُّومي المعروف بالبِيْركلي (ت: ٩٨١هـ) وما أنشئ حوله من شروح[١]، أسهم في ترعرع هذا العلم في البلاد التركية وما حولها.

ويرى أستاذنا الدكتور غانم الحَمَد أن كتاب «جُهد المقل» وشرحه «بيان جهد المقل» لمحمد بن أبي بكر المَرْعشي، المعروف بساجَقْلي زاده (ت: ١١٥٠هـ)، هما غاية ما وصل إليه التأليف في علم التجويد دقة وعمقاً[٢].

وحَظِيت منظومة «تحفة الأطفال والغِلْمان في تجويد القرآن» للشيخ سليمان بن حسين الجُمْزوري (كان حياً: ١٢٠٨هـ) بعناية عدد من العلماء، فوضعوا عليها شروحاً متعددة.

ومن أهمِّ كتب التجويد المتأخرة كتاب: «نهاية القول المفيد فيما يتعلق بتجويد القرآن المجيد» للشيخ محمد مكّي نصر الجُرَيسي (كان حياً: ١٣٠٧هـ)، الذي يُعَدُّ أتقنَ كتب هذا العلم في مطالع القرن الرابع عشر الهجري.

ثم وضعت مؤلَّفات كثيرة في التجويد كان من أمْيَزها كتابان:

الأول: منظومة «الآلئ البيان في تجويد القرآن» لشيخنا إبراهيم بن علي شحاثة السمنودي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٢٩هـ)، وهي مكوَّنة من (٢٠١) بيت.

الثاني: كتاب: «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري» لشيخنا عبد الفتاح بن السَّيِّد عَجَمي المَرْصفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٤٠٩هـ)، الذي مكث في تحريره وتنقيحه نحواً من عشرين عاماً.

---

(١) انظر: كشف الظنون (٧٣٧/١)، والفهرس الشامل - مخطوطات التجويد (٦٠ - ٦١).

(٢) انظر: أبحاث في علم التجويد (٧٤). مع ما فيهما من آراء سببها اعتماد المسألة دون تَلَقٍّ.

الفصل الأول
اهتمام أهل العلم بـ «القصيدة الخاقانية»

تمهيد

اهتمَّ علماء القراءة بهذه القصيدة الرَّائعة العَذْبة؛ لكونها أوَّل مصنَّف في علم التجويد، ولما امتازت به من إتقان وجودة في سبك ألفاظها، ولأن ناظمها من الشعراء المبدعين في النَّظم.

وبَرَز هذا الاهتمامُ في ستة مسارات كوَّنت بمجموعها القيمة العلمية لهذه المنظومة، وسأتناول - بعون الله - في المباحث الآتية الجوانب التي تُظهر لنا احتفالَ أهلِ العلم والمهتمين بهذه القصيدة.

المبحث الأول
رواياتها

رَوَى عدد من العلماء قصيدةَ الإمام أبي مُزاحم الخاقاني عنه، أو عن شيوخهم بسندهم إليه، وقد وقَفْتُ على إحدى عشرة رواية لهؤلاء العلماء الذين أسندوا القصيدة إلى ناظمها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وذلك وَفْق التفصيل الآتي:

١. **رواية الآجُرِّي**: أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الإمام[١]، قال: «نسخت هذه القصيدة، وصِرْت بها إلى أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، فأخذها وقال لي: تَدَعها عندي حتى أشْكُلَها وأُصلِحها، ففعلت. ثم عدت إليه مجلساً ثانياً وقد شَكَلها وأصلَحها بيده، ثم أنشدني في فضل هذه الأبيات - هبةً - فقال:

قد قُلتُ قولاً ما سُبقتُ بمثله ... في وصْف حِذْق قراءة القرآنِ
أوضحته عَمْداً لِيَسْهل حفظُه ... لمريده ويَسيرَ في البُلْدان
فاعرفْ معانيَه يَبِنْ لك فضلُه ... واحفظْه واستَعْمِلْه بالإتقانِ
أعني مَقالَ قصيدةٍ مبثوثةٍ ... أحكمتُها بإعانةِ الرَّحمنِ
أبياتُها إحدى وخمسون اعتَلَت ... فوقَ القصائدِ، فهْي للخاقاني

ثم قال: أنشدنا أبو مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وذكر القصيدة كاملة)[٢].

٢. **رواية الأَنْطاكي**: أبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل التميميّ القرطبيّ (٢٩٩ - ٣٧٧هـ) المولودِ بأنطاكية، والمتوفَّى بقرطبة، ورائدِ مدرسة الإقراء بها، وصاحب التصانيف المتعددة[٣]، إذ روى القصيدة بتمامها عن شيخه صالح بن إدريس

---

(١) شيخ الحرم المكي، وصاحب التصانيف المشهورة، توفي بمكة سنة (٣٦٠هـ). وحدَّث بهذه الواقعة قبل وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعشر سنين. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٤٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣٣/١٦).

(٢) المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (١٥٤٠ - ١٥٤١).

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس (٣٦١/١)، وبغية الملتمس (٤١٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٥٥/١٦)، وغاية النهاية (٥٦٤/١ - ٥٦٥).

البغدادي الوَرَّاق (ت: ٣٤٥هـ)[١]، كما ورد في نُسْخة فريدة بالمغرب، وقف عليها الدكتور عبد الهادي حميتو[٢].

٣. **رواية ابن الآجُرِّي**: أبي حفص عمر بن أحمد بن هارون البغدادي (ت: ٣٨٢هـ)[٣]، روى القصيدة مباشرة عن المؤلِّف؛ لذلك افتتح الذهبي ترجمته من «طبقات القراء» بقوله: «روى «الخاقانية» عن ناظمها»[٤].

٤. **رواية الداني**: أبي عمرو عثمان بن سعيد الحافظ إمام أهل الأندلس في القراءات (ت: ٤٤٤هـ)، فقد روى القصيدة وأنشدها عن ثلاثة من شيوخه[٥]، هم:

أ. أبو الحسن طاهر بن غَلْبون الحَلَبي ثم المصري (ت: ٣٩٩هـ)[٦].

ب. أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى الحِمْصي الضَّرير (ت: ٤٠١هـ)[٧].

ج. أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الباغَنْدي البغدادي (ت: ؟)[٨].

٥. **رواية الأَنْدَرابي**: أبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الأَنْدَرابي (ت: ٤٧٠هـ)[٩]، فقد روى القصيدة بتمامها عن شيخه الصَّالح أبي جعفر أحمد بن أحمد بن محمد ابن مَتُّويه المَرْوَذيِّ، بسنده إلى ابن حَسْنون المقرئ البغدادي (ت: ٣٠٧هـ)، عن الناظم[١٠] رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٥٨٩/٢)، وغاية النهاية (٣٣٢/١).

(٢) انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة (٣٦٢/٦ - ٣٦٣).

(٣) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٢٦٤/١١)، والمنتظم (٣٦٤/١٤).

(٤) معرفة القراء الكبار (٦٥٩/٢).

(٥) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٦/٢).

(٦) انظر ترجمته في: غاية النهاية (٣٣٩/١)، وحسن المحاضرة (٤٩١/١).

(٧) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٧١٧/٢)، وغاية النهاية (٥/٢ - ٦).

(٨) روى عنه الدانيُ الحروف في القراءة. انظر: جامع البيان في القراءات السبع (٣٣٦/١)، وغاية النهاية (١٩٣/٢)، والنشر (٣٧٨/٢)، ومعجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني (١٣٦ - ١٣٧).

(٩) انظر ترجمته في: المنتخب من السياق (١١٢)، وغاية النهاية (٩٣/١).

(١٠) انظر: الإيضاح في القراءات (٩٤٨ - ٩٤٩).

٦. **رواية الشَّهْرَزُوري**: أبي الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد البغدادي (٤٦٢ - ٥٥٠هـ)، الذي نقل «المنظومة الخاقانية» روايةً عن شيخ شيوخه أبي الحسن علي بن محمد العلَّاف المقرئ (٣١٠ - ٣٩٦هـ)[١]، بسنده إلى الخاقاني، وأورد نص القصيدة كاملًا[٢].

٧. **رواية العَطَّار**: الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهَمَذاني (٤٨٨ - ٥٦٩هـ)، الذي روى قصيدة أبي مزاحم كاملةً بثلاثة أسانيد عن اثنين من شيوخه، هما:

أ. أبو القاسم: علي بن أحمد بن محمد بن بَيان الرَّزَّاز البغدادي (٤١٣ - ٥١٠هـ)[٣].

ب. أبو غالب: أحمد بن عُبَيْد الله بن محمد النَّهْري البغدادي (٤٣٨ - ٥٠٨هـ)[٤]، عن شيخيه أبي منصور السَّوَّاق، وأبي علي الحَرْبي[٥].

٨. **رواية ابن خَيْر**: أبي بكر محمد بن خير بن عمر الإِشْبيلي (٥٠٢ - ٥٧٥هـ)، الذي حدَّث بالقصيدة سماعاً عن شيخه أبي الحسن عَبَّاد بن سَرْحان المَعَافِري، ورواها مناولة عن الشيخ أبي الأَصْبَغ عيسى بن محمد بن أبي البَحْر، ورواها إجازة عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن هُذَيل[٦].

٩. **رواية ابن الجَزَري**: أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الإمام المقرئ (٧٥١ - ٨٣٣هـ)، إذ روى القصيدةَ وشَرْحَها للداني عن شيخه أبي حفص عمر بن الحسن ابن مَزْيَد المَراغي المِزِّي، المعروف ابن أُمَيْلة[٧] بقراءته عليه، عن علي بن أحمد المَقْدسي، عن ابن طَبَرْزَد بسنده[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٦٨٨/٢)، وغاية النهاية (٥٧٧/١).

(٢) انظر: المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (١٥٣٩ - ١٥٤٠).

(٣) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٥٧/١٩)، والبداية والنهاية (٢٣٠/١٦).

(٤) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣١٣/١٩)، وغاية النهاية (٧٩/١).

(٥) انظر: التمهيد في معرفة التجويد (٣٠١).

(٦) انظر: فهرسة ما رواه عن شيوخه (٧٢ - ٧٣).

(٧) ولد قبل سنة (٦٨٠هـ)، انتهى إليه علوُّ الإسناد بدمشق، وكان شيخاً صالحاً كثير التلاوة للقرآن، صبوراً على السماع، ربما أسمع اليوم الكامل من غير مَلَل ولا ضَجَر. قال ابن الجزري: «قرأتُ عليه كثيراً من كتب القراءات بإجازته من شيخيه ابن البخاري والفاروثي». توفي بدمشق سنة (٧٧٨هـ). انظر ترجمته في: غاية النهاية (٥٩٠/١)، ودرر العقود الفريدة (٤٤٢/٢)، والدرر الكامنة (٢٣٥/٣).

(٨) انظر: غاية النهاية (٣٤١/٢).

١٠. **رواية المِنْتُوري**: أبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القَيْسي (٧٦١ - ٨٣٤هـ)، فقد قرأ جميع القصيدة على شيخه أبي زكريا يحي بن أحمد السَّرَّاج بسنده إلى الناظم، ورواها إجازة عن شيخه أبي الحسن علي بن سليمان القُرْطبي، بسنده إلى الخاقاني[١].

١١. **رواية ابن غازي**: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد العُثْماني المِكْناسي (٨٤١ - ٩١٩هـ)، الذي روى القصيدة عن شيخه أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد ابن يحي التَّفْزي المشهور بالسَّرَّاج[٢]، بسنده إلى صاحب القصيدة[٣].

(١) انظر: فهرسة المنتوري (٩٢).
(٢) انظر ترجمته في: نيل الابتهاج للتنبكتي (٢٢١).
(٣) انظر: فهرس ابن غازي (٩٤).

المبحث الثاني
شروحُها

لم تُسْعفنا كتب التراجم بتفصيل حول من شرح قصيدة الإمام أبي مُزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعند سَبْر من قام بشرحها نجد أن هنالك عدداً من شروحها، وهي تنتظم في الآتي:

١. **شرح المقرئ أبي الحسن علي بن محمد بن إسماعيل التميميّ الأنطاكيّ (٢٩٩ - ٣٧٧هـ)**: رائد مدرسة الإقراء بقُرطبة، وصاحب التصانيف المتعددة؛ إذ أورد أبو العاص خليفة بن عبد الله القَيْسي في كتابه «الكشف في قراءة ورش» عن الأنطاكي شرح البيت الواحد والأربعين منها[١]، وهو:

وضَمُّك قبلَ الواوِ كن مُشبِعاً له كما أشبَعوا (إيَّاكَ نعبدُ) في المَرِّ

فنقل عن الأنطاكي قولَه: «تأويل هذا البيت على خلاف ما تأوله الجاهل بعلمه، وأنا مفسِّره وقاطع منه اللَّبْسَ، وحجةَ من تعلَّق به....»[٢]، إلى آخر ما نقله عنه في إيضاح معنى هذا البيت.

ولا أدري إن كان الأنطاكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح هذا البيت من قصيدة أبي مزاحم فحسب، أو شرح أبياتاً أخرى لم نقف على نصوصها، أو شرح كامل القصيدة؟ مع كونه روى القصيدة بتمامها عن شيخه صالح بن إدريس البغدادي الورَّاق (ت: ٣٤٥هـ)، كما ورد في نسخة فريدة بالمغرب، وقف عليها الدكتور عبد الهادي حميتو[٣].

ويرجِّح الدكتور محمد الطَّبَراني في مقدمة تحقيق: «كتاب عدد آي القرآن» للأنطاكي أن له كتاباً في شرح «القصيدة الخاقانية»[٤].

---

(١) قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٩).

(٢) كتاب عدد آي القرآن لأبي الحسن الأنطاكي (٦٤٤)، ناقلًا عن كتاب: «الكشف في قراءة ورش» (خ) لأبي العاص خليفة بن عبد الله القيْسي.

(٣) انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة (٦/٣٦٢ - ٣٦٣).

(٤) انظر: كتاب عدد آي القرآن لأبي الحسن الأنطاكي (١٢٧).

وقد روى أبو عبد الله المِنْتُوري (ت: ٨٣٤هـ) في «فهرسته» تآليفَ الأنطاكي بإسناده عن تلميذ الأنطاكي أبي عبد الله محمد بن أحمد الباجي الإشبيلي (ت: ٤٣٣هـ)، ولم يسمِّ من تلك المصنَّفات شيئاً[١].

٢. **شَرْح الإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت: ٤٤٤هـ)**: وهو شرح مبسوط للقصيدة، قصد فيه بيان ما يَخْفى من ألفاظ القصيدة ومعانيها، وبخاصة فيما يتعلَّق بجانب الأداء والقراءات، فقال: «وإنَّما قصدنا إلى شرح ما تَعْزُب معرفته، وتَخْفى حقيقته من أصول القراءة، ومن مذاهب القراءات، إلى تبيين ما يحتاج إلى علمه، كما نَدَب إليه وحثَّ عليه»[٢]. وقد سرد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مسوِّغاتٍ وجيهةً داعية إلى شرحها، فقال: «والَّذي دعانا إلى شرح هذه القصيدة، وتلخيص معانيها:

- ما رأيناه من استحسان خواصِّ الناس وعوامِّهم لها،
- وشدَّةِ اهتبال[٣] أهل القرآن بها،
- وأخذِهم أنفسهم بحفظها،
- وسؤالِ أكثرهم عن معانيها،
- وما وقفنا عليه من إتقان صَنعتها وسلامتها، وحسن سَبْكها، وتهذيب ألفاظها، وظهور معانيها، وسلامتها من العُيوب، ووفور حظِّها من الجَودة،
- مع ما كان في أبي مُزاحمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المناقب المحمودة، والأخلاق الشَّريفة؛ فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ظاهرَ النُّسُك، مشهور الفضل، وافر الحظِّ من الدِّين والعلم، حسن الطريقة، سُنِّيّاً جَمَاعِيّاً»[٤].

---

(١) انظر: فهرسة المنتوري (٢٣٠).

(٢) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (١٥/٢).

(٣) أي: إسراع أهل القرآن إليها.

(٤) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني: (٨/٢ - ٩). أي: على مذهب أهل السنَّة والجَماعة. =

٣. **اختصار شرح الخاقانية للداني**: للشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن عطية المَدْيوني الشهير بالجادِري (٧٧٦ - ٨١٨هـ)[١]: ولا أعلم عن وجود هذا المختصر شيئاً.

٤. **شرح الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ**[٢]: وهو شرح موجز، تخيَّر فيه بعض الألفاظ الغريبة، وبعض المصطلحات التجويدية التي تحتاج إلى بيان[٣]، ونُشِر بعنوان: «**مجموعة التجويد (١) قصيدتان في تجويد القرآن** لأبي مزاحم الخاقاني، ولعلم الدين السخاوي».

٥. **شرح الأستاذ الدكتور علي حسين البوَّاب**[٤]: ونُشِر بعنوان: «**القصيدة الخاقانية في القراءة وحسن الأداء، مع مقتطفات شرح أبي عمرو الداني للقصيدة**»، واعتمد على نسخة مكتبة جستربيتي من شرح الداني للقصيدة[٥]، واقتبس من هذا الشرح جُمَلاً ضمَّنها حواشي تحقيق القصيدة.

= وقد نال الأستاذ غازي بنيدر العَمري بتحقيقه لهذا الكتاب درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام (١٤٢٢هـ)، وتم نشر الرسالة في موقع متخصص على الإنترنت على الرابط التالي: (http://book.lh.sa/khaqanya).
ونشره على الشبكة العنكبوتية الأستاذ خليل أبو عنزة، معتمداً على نسخة مكتبة جستربيتي في دبلن.
وطبعته مكتبة أولاد الشيخ في القاهرة، بتحقيق فَرْغَلي سيِّد عَرَباوي.

(١) نزيل فاس، وهو فقيه مالكي، ومقرئ نحوي، وله دراية بعلم المواقيت، وفي وفاته خلاف. ومن مصنفاته: «النافع في حرف نافع»، و«شرح الدرر اللوامع»، و«فهرست شيوخه». وذكر اختصاره لشرح الخاقانية ابنُ أبي العافية المكناسي في جذوة الاقتباس (٤٠٤)، والتنبكتي في نيل الابتهاج (٢٥٤). وانظر: معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني (٥٦).

(٢) ولد بمكة سنة (١٣٦٥هـ)، وترجم لنفسه في كتاب مفرد بعنوان: «السيرة الذاتية»، في ثماني عشرة صفحة، وهو مطبوع طبعة خاصة عام (١٤٢٧هـ).

(٣) نشر في مكتبة الدار بالمدينة المنورة في طبعته الأولى سنة (١٤٠٢هـ).

(٤) نشره مع القصيدة كاملة في مجلة المورد العراقية في المجلد الرابع عشر، العدد الأول، بغداد، سنة (١٤٠٥هـ)، (ص١١٥ - ١٢٨)؛ معتمداً على ثلاث نسخ خطية للقصيدة.
والشارح من مدينة يافا في فلسطين المحتلَّة، ونال درجة الدكتوراه في علم اللغة من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة (١٣٩٨هـ)، وعمل مدرساً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في كلية اللغة العربية بالرياض، وحقق مجموعة من كتب التراث في علوم القرآن واللغة، منها: «شرح كفاية المتحفظ لابن الطيب الفاسي»، و«التمهيد في علم التجويد لابن الجزري»، و«تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي»، ويعمل حالياً عميد البحث العلمي في جامعة العلوم الإسلامية في عمان بالأردن.

(٥) وهو شرح ناقص ينتهي بنهاية البيت الواحد والثلاثين من القصيدة. انظر: الفهرس الشامل، مخطوطات التجويد (١١٠).

٦. شرح «هدي المجيد في شرح قصيدتي الخاقاني والسخاوي في التجويد» **لجمال الدين محمد شرف**[١]: وهو شرح مختصر اقتصر فيه على المعنى الإجمالي للأبيات[٢].

٧. شرح **الأستاذ إسلام بن نصر بن السيد بن سعد الأزهري**[٣] **بعنوان: «الفتح الربَّاني في شرح رائية الخاقاني»**: وهو شرح سهل، اهتمَّ بمعالجة الأخطاء الشائعة في التطبيق العملي لنطق الحروف[٤]، ونشر مع متن «القصيدة الخاقانية» نونيةَ السخاوي.

٨. شرح **الطبيب الدكتور كريم جبر منصور العراقي بعنوان: «أضواء من قناديل رائية الخاقاني»**[٥]: وهو شرح سهل ميسر، دون مقدمات، قصد فيه توضيح معاني القصيدة، ابتدأه في ١٤٣٥/٧/٣٠هـ، وبلغ في تعليقاته البيتَ الواحد والثلاثين من القصيدة، وهو[٦]:

فحرِّك وسكِّن واقْطعَنْ تارةً وصِلْ ومكِّن وميِّز بَيْنَ مدِّك والقَصْرِ

ثم توقف.

٩. شرح **الدكتور محمد بن أحمد بن حسين بَرْهَجي**[٧]: وهو شرح صوتي قدَّمه في دورة علمية بعنوان: «شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني التي قالها في القراء

---

(١) صاحب التحقيقات والتعليقات على كتب القراءات التي تطبع بدار الصحابة للتراث بطنطا، وتقوم بطباعة كتب هذا الفن - التي سبق إخراجها محققة - بتحقيقه وتعليقه.

(٢) طبعته دار الصحابة بطنطا في مصر، وطبع مع هذا الكتاب رسالة: القول السديد في بيان حكم التجويد، للشيخ محمد خلف الحسيني، شيخ المقارئ المصرية سابقاً.

(٣) له عناية ببعض منظومات التجويد، مثل: «إسعاف الظمي بالتعليق على نظم الطيبي»، و«إمتاع الخلان بشرح أمنية الولهان في سكت حفص بن سليمان» للشيخ إبراهيم بن علي السمنُّودي.

(٤) طبع في مكتبة أولاد الشيخ بالقاهرة (٢٠١٢م)، ومنشور على موقع شبكة الألوكة على الرابط التالي: (http://www.alukah.net/libraryi).

(٥) نشره على ملتقى أهل التفسير على الرابط التالي: (http://vb.tafsir.net/tafsir).

(٦) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٩).

(٧) الأستاذ بقسم القراءات في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وحسن الأداء»، في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية، بالتعاون مع الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (فرع المدينة المنورة)[١].

١٠. **شرح الشيخ حمدي علي حامد عاشور الأُسواني الأزهري**: وهو شرح صوتي منشور على موقع اليوتيوب، في ست حلقات[٢].

١١. **شرح الأستاذ الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري**[٣]: وهو شرح صوتي ألقاه في اليوم العلمي الذي نظَّمه مركز إجلال للدراسات والاستشارات في الرياض[٤].

١٢. **شرحي لها**: وهو شرح صوتي مصوَّر قُدِّم في اللقاء العلمي لمدارسة أول مصنَّف في تجويد القرآن الكريم، الذي عقده مركز حافظ لتأهيل حفاظ القرآن الكريم التابع لجمعية خيركم في جدة[٥].

---

(١) عقدت يومي الثلاثاء والأربعاء الموافق: ٤ و١٤٣٥/٤/٥هـ، ما بين العصر والمغرب، في قاعة المناقشات بكلية القرآن الكريم.

(٢) وله شرح على «نونية السخاوي»، و«متن الطيبي في التجويد».

(٣) أستاذ كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم، ورئيس قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

(٤) عُقِد يوم الخميس الموافق: ١٤٣٧/٥/١٦هـ، بجامع الهدى في العزيزية في الرياض من العصر إلى العشاء.

(٥) عُقِد يوم الجمعة الموافق: ١٤٣٩/١٠/٢٩هـ، بمركز حافظ لتأهيل حفاظ القرآن الكريم بجدة، من الساعة الخامسة عصراً إلى التاسعة والنصف ليلاً.

المبحث الثالث
الاستشهادُ بها

استشهد عددٌ من أهل العلم ببعض أبيات من قصيدة أبي مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدليلاً، أو توضيحاً لبعض مسائل علم التجويد في ثنايا كتبهم، أو مدحاً للقراء السبعة، أو استئناساً لما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم من الآداب والأخلاق، أو لما يحتاج إليه المقرئ في تعليمه وإقرائه.

ويلاحظ المتتبع لحركة الاستشهاد بأبيات «القصيدة الخاقانية» أنها استمرَّت نحو تسعة قرون حاضرة في الدَّرْس العلمي لدى علماء القراءة؛ إذ بدأ النقل عنها من القرن الخامس الهجري، وتتابع حتى القرن الثالث عشر الهجري، وشمل هذا الرِّيُّ منها بلاد المشرق والمغرب، وبلاد ما وراء النهر(١).

وتكاثر الأخذ منها لدى شُرَّاح المقدِّمة الجزرية، ونلاحظ أن كثيراً منهم يأخذ بعضهم عن بعض في المسألة الواحدة المستشهد لها.

ثم نجد هذا الاحتفال بـ «قصيدة الخاقاني» قد خَفَتَ في القرون المتأخرة، وضَعُف هذا الأَلَق بهذه المنظومة البِكْرية؛ فلا نكاد نجد منها نصوصاً في كتب القراءات والتجويد الأخيرة، مثل كتب القرَّاء: محمد بن قاسم البَقَري (ت: ١١١١هـ)، ومحمد بن أبي بكر المَرْعشي، المعروف بساجَقْلي زاده (ت: ١١٥٠هـ)، وفي مؤلَّفات أحمد بن علي بن محمد الحُلْواني الدمشقي (ت: ١٣٠٧هـ)، ومحمد بن أحمد المُتَوَلِّي (ت: ١٣١٣هـ)، ومحمد بن محمد بن محمد هِلَالي الأبياري (ت: ١٣٤٣هـ)، وعلي بن محمد الضَّباع (ت: ١٣٨٠هـ)، ومحمد نجيب خَيَّاطة الحلبي (ت: ١٣٨٧هـ)، وعبد الفتاح السَّيِّد عَجَمي المَرْصفي (ت: ١٤٠٩هـ)، وإبراهيم

(١) هي منطقة تاريخية، وجزء من آسيا الوسطى، وتشمل أراضيها أفغانستان، والجزء الجنوبي الغربي من كازاخستان، وأطلق العرب المسلمون على تلك المنطقة هذا الاسم عندما فتحوها في القرن الهجري الأول؛ إشارة إلى النهرين العظيمين اللذين يحدَّانها شرقاً وغرباً، وهما: نهر السير داريا (٢٢١٢كم) والآمور داريا (١٤١٥كم). انظر: الموسوعة الحرة (وكيبيديا).

علي شحاثة السمنُّودي (ت: ١٤٢٩هـ)، وغيرهم، إلا ما أورده الشيخ محمد مكِّي نصر الجُرَيْسي (كان حياً: ١٣٠٧هـ) في كتابه «نهاية القول المفيد فيما يتعلق بتجويد القرآن المجيد».

وفي هذا المبحث سأذكر ما وقفت عليه من استشهادات هؤلاء العلماء، مراعياً التسلسل الزمني في سرد تلكم النقول، دون حصر أو تتبع تام:

١. **السَّعِيدي**: أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الحَذَّاء (ت نحو: ٤١٠هـ)، الذي نقل عن القصيدة بيتين، الأول منهما - عند كلامه على ممَّا يُحْفظ في تخفيف الهمزة[١] - وهو قول أبي مزاحم [٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإن تكُ قبلَ الـواوِ واليـاءِ فتحةٌ وبعدَهما همزٌ همزتَ على قَـدْرِ

والثاني: عند كلامه على ممَّا يُحْفظ من إسكان الميم الساكنة[٣]، وهو قول أبي مزاحم [٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولا تدغمنَّ الميمَ إن جئتَ بعدَها بحرفٍ سواها، واقْبلِ العلمَ بالشُّكرِ

بالإضافة إلى نقل السَّعيدي بيتاً لأبي مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليس من أبيات «الخاقانية»، وهو قوله[٥]:

أدْغِـم إذا ما قرأتَ اللامَ في الراءِ وبـيِّنِ الميمَ عند الـواوِ والفاءِ

٢. **ابن عبد البَرِّ**: أبو عُمر يوسف بن عبد الله بن محمد النَّمَري الأندلسي (ت: ٤٦٣هـ)، الذي أورد البيتين الخامس والسادس عشر من القصيدة، بإسناده عن الربيع بن سليمان، قال لي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ربيعُ، لو قدَرْتُ أن أطعمَك العلم لأطعمتُك إياه»، قال أبو عُمر: «أخذه الخاقانيُّ، فقال:

(١) انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي (٤٥).
(٢) قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٩).
(٣) انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي (٤٨).
(٤) قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٩).
(٥) انظر: التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي (٤٨).

ألا فاحفَظوا وصْفي لكم ما اختصرتُه ... ليدريَه من لم يكن منكمُ يَدْري
ففي شَرْبةٍ لو كان عِلْمي سقيتُكم ... ولم أُخْفِ عنكم ذلكَ العلمَ بالذَّخْرِ»[1]

٣. **الهُذَلي**: أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبَارة البِسْكري (ت: ٤٦٥هـ)، الذي نقل عن المنظومة في كتاب «التجويد» من كتابه «الكامل»، عند حديثه على بيان بعض الحروف، فقال: «ويُنعِم العينَ والغين، كما قال الخاقاني:

وأنْعِم بيانَ العينِ والغين كلَّما ... درستَ، وكنْ في الدَّرْس معتدلَ الأمرِ
وأرْقِق بيانَ اللامِ والراء ينذَرِب ... لسانُك، حتى تنظمَ القولَ كالدُّرِ»[2]

٤. **الأَنْدَرابي**: أبو عبد الله أحمد بن أبي عمر الخُراساني (ت: ٤٧٠هـ)، الذي ساق عشرين بيتاً منوعة للخاقاني في عدد من أبواب كتابه «الإيضاح»، وَفْق التفصيل الآتي:

- أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب السادس والعشرين - الذي عنونه بـ: «في ذكر الحدر والترتيل وغير ذلك مما يحتاج إليه القارئ» - بيتين من البيت (٢٢ - ٢٣)، ثم بيتين من البيت (٢٥ - ٢٦)، ثم أربعة أبيات من البيت (٢٨ - ٣١)، ثم بيتاً واحداً، وهو البيت العشرون[3].
- ذكر في الباب السابع والعشرين - الذي سماه: «في ذكر اللحن الخفي ومقالات أرباب الصناعة في ذلك» - بيتاً ليس من أبيات «الخاقانية»، وهو[4]:

أدْغِم إذا ما قرأتَ اللامَ في الراءِ ... وبيِّنِ الميمَ عند الواوِ والفاءِ

- ثم في الباب نفسه أورد البيت الأربعين، ثم البيت السادس والثلاثين من القصيدة[5].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٤٧٣ - ٤٧٤).
(٢) الكامل في القراءات الخمسين (١/٢٨٣).
(٣) انظر: الإيضاح في القراءات (٨٢٢ - ٨٢٣).
(٤) انظر: الإيضاح في القراءات (٨٤٠).
(٥) انظر: الإيضاح في القراءات (٨٤٠ - ٨٤١).

- أورد في الباب الثاني والثلاثين - الذي عنون له بـ: «في ذكر الأسانيد التي نقلت إلينا قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين» - أربعة أبيات من البيت (٨ - ١١)، ثم البيت الثامن عشر[١].

٥. **الشَّهْرَزُوري**: أبو الكَرَم المبارك بن الحسن بن أحمد البغدادي (ت: ٥٥٠هـ)، الذي ذكر «القصيدة الخاقانية» كاملةً بسنده - من طريق الإمام أبي بكر الآجُرِّي عن المؤلِّف - في الباب الثاني عشر من كتابه «المصباح الزَّاهر»، وهو: «باب التجويد»، وذلك بعد أن بيَّن أربعة فصول ممَّا يتعلق باللحن الخفي، جعلها خاتمة لهذا الباب، وقال: «مع ذكرنا «قصيدة الخاقاني»؛ فإنها مبينة لما ذكرناه، ويسهل حفظها»[٢].

٦. **ابن الطَّحَّان**: أبو الأَصْبَغ عبد العزيز بن علي بن محمد السُّمَاتي الأندلسي (ت بعد: ٥٦٠هـ)، الذي أورد بيتين من قصيدة الإمام الخاقاني، بعدما تساءَل عن نفع الروايةِ القارئَ، إذا قصُرت به الدراية؛ فبسبب قصوره هذا تراه يقع في اللحن دائماً، وليس له عُذْر في جهله عند أهل العلم، ثم ساق بيتي أبي مزاحم:

فأولُ علمِ الذِّكر إتقانُ حفظِه ... ومعرفةٌ باللَّحن فيه إذا يَجْري

فكن عالماً باللَّحن كيما تُزيلَه ... وما للذي لا يعرفُ اللَّحن من عُذرِ[٣]

٧. **الحافظ أبو العلاء الهَمَذَاني**: الحسن بن أحمد بن الحسن العطَّار (ت: ٥٦٩هـ)، إذ أورد في كتابه «التمهيد» البيت الأربعين من القصيدة، وهو قول أبي مزاحم:

ولا تدغمنَّ الميمَ إن جئتَ بعدَها ... بحرفٍ سواها، واقبلِ العلمَ بالشُّكرِ

مستدلاً به على ما ذهب إليه أكثر أهل الأداء - كما يحكي - من إظهار الميم عند الباء، كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨][٤].

---

(١) انظر: الإيضاح في القراءات (٩٤٨).

(٢) المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (١٥٣١، ١٥٤١ - ١٥٤٧).

(٣) انظر: نظام الأداء في الوقف والابتداء (٢١).

(٤) انظر: التمهيد في معرفة التجويد (٣٠١). وانظر أقوال أهل العلم في حكم الميم الساكنة عند الباء في: التحديد للداني (١٦٨)، والتمهيد لابن الجزري (١٥٥).

واستشهد الحافظ أبو العلاء أيضاً بالبيتين الخامس والسادس من القصيدة، بعد أن ذكر ما يدعو بعضَ الجهَّال إلى الوقوع في بعض بدع القراءة، وساقهما بالسَّند عن طريق شيخه النَّهري، وهما:

أيا قارئَ القرآنِ أحسِن أداءَه ... يضاعِفْ لكَ اللهُ الجزيلَ من الأجر

فما كلُّ من يتلو الكتابَ يُقيمه ... وما كلُّ مَن في الناس يُقرئهم مُقري[1]

٨. **الجاجاني**: أبو الفَخْر حامد بن علي بن حَسْنويه القَزْويني (ت بعد: ٦٠٠هـ)[2] في كتابه «حِلْية القراء»، الذي نقل عن «الخاقانية» البيتين الثاني والثالث والأربعين، مستدلاً بهما على تفاوت مقدار المد اللازم، وأن كلام الخاقاني يُحْمل على مدِّه مقدار ألفين: أي أربع حركات، فقال - فيما حكاه عنه ابن الجزري - : «والقراء مختلفون في مقداره، فالمحقِّقون يَمُدُّون عليه قدر أربع ألفات، ومنهم من يَمدُّ على قدر ثلاث ألفات، والحادِرون يَمُدُّون عليه قدر ألفين، إحداهما الألف التي بعد المُحَرَّك، والثانية المدَّة التي أُدخلت بين الساكنين لتَعْدِل، ثم قال الجاجانيُّ: وعليه - يعني وعلى المرتبة الدنيا - قولُ أبي مزاحم الخاقاني في قصيدته:

وإنْ حرفُ مدٍّ كان من قبلِ مُدْغمٍ ... كآخرِ ما في الحمدِ فامدُدْه واستجْرِ

مـــددتَّ لأن الساكنين تلاقيا ... فصار كتحريكٍ، كذا قال ذو الخُبْرِ»[3]

وصدَّر ابن الجزري الكلام بقوله: «فإن القراء مجمعون على مده مشبَعاً؛ قدراً واحداً من غير إفراط، لا أعلم بينهم في ذلك خلافاً سَلَفاً ولا خَلَفاً، إلَّا ما ذكره

---

(١) انظر: التمهيد في معرفة التجويد (١٣٦ - ١٣٧).

(٢) قال ابن الجزري: «مؤلِّف كتاب «حِلْية القراء وزينة الإقراء» إمام بارع نافق، أتى في كتابه هذا بفوائد، وأسند القراءات عن أبي بكر محمد بن حامد الأصبهاني، وروى كثيراً من كتب القراءات، ولم أعرف من قرأ عليه». غاية النهاية: (٢٠٢/١). وكتابه في عداد المفقود من كتب التجويد.

وذكر ابن الجزري أن الجاجانيَّ ألَّف كتابه «حِلْية القراء»؛ من أجل حمَّاد بن أبي زياد شعيب، أبي شعيب التَّميمي الحِمَّاني الكوفي (ت: ١٩٠هـ). انظر: غاية النهاية (٢٥٩/١).

(٣) النشر في القراءات العشر (٧٩٤/٣ - ٧٩٥).

الأستاذ أبو الفَخْر حامد بن علي بن حَسْنويه الجاجانيُّ في كتابه «حِلْية القراء» نصّاً، عن أبي بكر بن مِهْران؛ حيث قال»، وأورد كلام الجاجاني السابق.

٩. **المَوْصلي**: أبو المعالي محمد بن أبي الفرج بن معالي فَخْر الدين البغدادي (ت: ٦٢١هـ)، الذي نقل عن «الخاقانية» في أثناء حديثه عن إتقان التلاوة بإعطاء الحروف حقوقها؛ قال: «وقد أشار الخاقاني إلى ذلك في قوله:

زنِ الحرفَ لا تُخرجْهُ عن حدِّ وَزْنه فوزنُ حروفِ الذِّكر مِن أفضلِ البِرِّ»[١]

١٠. **السَّخاوي**: أبو الحسن علي بن محمد عبد الصمد تلميذ الشاطبي (ت: ٦٤٣هـ)، الذي نقل عن «الخاقانية» في اثنين من كتبه:

- الأول: «جمال القراء»، عندما عرَّف التحقيق بأنه: إعطاء الحرف حقه مع الإسراع أو التمكث، قال: «ألا ترى إلى قول الخاقاني:

فذو الحِذْق معطٍ للحروف حقوقَها إذا رتَّل القرآنَ أو كان ذا حَدْرِ»[٢]

- الثاني: «فتح الوصيد»، فذكر أن «قصيدة الخاقاني» في القراءة اشتهرت، بخلاف قصيدته التي نظمها في أئمة الفقه[٣]. ثم أورد البيت الثامن من «الخاقانية»، وهو:

وللسَّبعة القُراءِ حقٌّ على الوَرى لإقرائهم قــرآنَ ربِّــهِم الــوتــرِ[٤]

١١. **الهَمَذاني**: أبو يوسف المنتجَب بن أبي العز بن رشيد، منتجَب الدين (ت: ٦٤٣هـ)، الذي نقل عن «الخاقانية» في أثناء حديثه عن القراء السبعة، فذكر قول الخاقاني:

فما كلُّ مَن يَتْلو الكتابَ يُقيمُه وما كلُّ مَن في الناسِ يُقرِئُهُم مُقْري[٥]

(١) الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف (٢٣٥).
(٢) جمال القراء وكمال الإقراء (٥٢٩/٢ - ٥٣٠).
(٣) انظر: فتح الوصيد (٢١٠/١).
(٤) انظر: فتح الوصيد (٢١٢/١).
(٥) انظر: الدرة الفريدة في شرح القصيدة (٧٧/١).

١٢. **أبو شامة المقدسي**: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ)، الذي نقل عن الخاقاني خمسة أبيات في تسمية القراء السبعة، من قول أبي مزاحم:

وإنَّ لنا أَخْذَ القراءة سنةً عن الأوَّلين المقرئين ذوي السَّتر

إلى قوله:

وحمزةُ أيضاً، والكسائيُّ بعده أخو الحِذْق بالقرآنِ والنَّحو والشِّعر[١]

١٣. **الجعبري**: إبو إسحاق، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الشافعي (ت: ٧٣٢هـ)، فقد استشهد في شرحه على الشاطبية، بقول الخاقاني:

فللسبعةِ القراءِ حَقٌّ على الوَرَى لإقرائِهِمْ قرآنَ رَبِّهُمُ الوِتْرِ[٢]

١٤. **ابن أمِّ قاسم المرادي**: الحسن بن قاسم بن عبد الله المغربي (ت: ٧٤٩هـ)، الذي نقل عن «الخاقانية» في اثنين من كتبه:

- الأول: «شرح الواضحة»، عند ذكره أن القارئ ينبغي له أن يعرف اللحن ليجتنبه، كما أشار إليه الخاقاني في قصيدته:

فأولُ علمِ الذِّكر إتقانُ حفظِه ومعرفةٌ باللَّحن فيه إذا يجري
فكن عالماً باللَّحن كيما تُزيلَه وما للذي لا يعرفُ اللَّحن من عُذرِ[٣]

- الثاني: «شرح نونية السخاوي»، الذي أورد فيه سبعة أبيات من «قصيدة الخاقاني»؛ في عدد من المسائل العلمية[٤].

١٥. **السَّمِين الحلبي**: أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد (ت: ٧٥٦هـ)، الذي نقل عن «القصيدة الخاقانية» خمسة أبيات في تسمية القراء السبعة، من قول أبي مزاحم:

وإن لنا أَخْذَ القراءة سنةً عن الأوَّلين المقرئين ذوي السَّتر

---

(١) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني (١/١٤٠ - ١٤١).
(٢) انظر: كنز المعاني شرح حرز الأماني (١/٢٢٥).
(٣) انظر: شرح الواضحة في تجويد الفاتحة (٣٢).
(٤) انظر: المفيد في شرح عمدة المُجيد (٣٩، ٦٠، ٦١، ١٣٦، ١٤٩ - ١٥٠).

إلى قوله:

وحمزةُ أيضاً، والكسائيُّ بعده أخو الحِذْق بالقرآن والنَّحو والشِّعر[1]

وهذه الأبيات نفسها التي نقلها أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الخاقاني، ولم يتبيَّن لي إن كان السَّمينُ آخذاً من أبي شامة، أم ناقلاً عن السخاوي.

١٦. **ابن وَهْبان المِزِّي**: أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن وَهْبان الدمشقي (ت: ٧٦٨هـ)، الذي نقل عن الخاقاني أربعة أبيات في ذكر القراء السَّبعة، من قول أبي مُزاحم:

وإن لنا أخذ القراءة سنةً عن الأوَّلين المقرئين ذوي السَّتر

إلى قوله:

وحمزةُ أيضاً، والكسائيُّ بعده أخو الحِذْق بالقرآن والنَّحو والشِّعر[2]

مع تركه البيت الثامن من أبيات القصيدة، وهو[3]:

فللسبعةِ القراءِ حَقٌّ على الوَرَى لإقرائِهِمْ قرآنَ رَبِّهُمُ الوِتْرِ

لأنه يقع مباشرة بعد البيت الأول الذي أورده.

١٧. **ابن الجَزَري**: أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الإمام المقرئ (ت: ٨٣٣هـ)، إذ نقل عن «القصيدة الخاقانية» - مباشرة - في «النشر» في موضعين:

- الأول: في الوقف والابتداء عندما قرَّر إجماع أهل الأداء وأئمة الإقراء على لزوم مرسوم المصاحف فيما تدعو الحاجة إليه؛ اختياراً واضطراراً، فما كُتِب من كلمتين موصولتين لم يوقف إلَّا على الثانية منهما، وما كُتِب منهما مفصولاً يجوز أن يوقف على كل واحدة منهما، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو المختار عندنا، وعند من تقدمنا للجميع، وهو الذي لا يوجد نصٌّ بخلافه، وبه نأخذ لجميعهم كما أُخذ علينا، وإلى ذلك أشار أبو مزاحم الخاقاني بقوله:

(١) انظر: العقد النضيد في شرح القصيد (٨٥/١).
(٢) انظر: أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار (١٧٢).
(٣) قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (١٧).

وقِـفْ عند إتمام الكلامِ موافقاً لمصحفنا المتلوِّ في البرِّ والبحرِ»[1]

- الثاني: عند كلامه على مقدار المقروء به عند السَّلف، فقال: «وكانوا أيضاً في الصَّدر الأول لا يزيدون القارئ على عشر آيات، ولو كان مَن كان، لا يتجاوزون ذلك، وإلى ذلك أشار الأستاذ أبو مزاحم الخاقاني؛ حيث قال في قصيدته التي نظمها في التجويد، وهو أول من تكلم فيه فيما أحسب:

وحُكْمُك بالتحقيق إن كنتَ آخذاً على أحـدٍ ألَّا تزيد على عَـشْرِ»[2]

١٨. **ابن النَّاظم**: أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت نحو: ٨٣٥هـ)، الذي ذكر وجه المدِّ اللازم بأنه: «تقرر في التصريف أنه لا يُجْمع[3] في الوصل بين الساكنين، فإذا أدى الكلام إليه حُرِّك أحدهما، أو حذف، أو زيد في المد؛ ليُقَدَّر محرَّكاً، وهذا موضع الزيادة، وهو معنى قول الخاقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

مـــددتَّ لأن الساكنين تلاقَيا فصار كتحريكٍ، كذا قال ذو الخُبْرِ»[4]

١٩. **الأَزْهري**: أبو محمد عبد الدايم بن علي الحديدي المصري (ت: ٨٧٠هـ)، تلميذُ ابن الجزري، الذي نقل عن «المنظومة الخاقانية» في موضعين من «شرحه على الجزرية»:

- الأول: في بيان معنى التحرير في التجويد، الذي هو التحقيق للشيء والإتقان له من غير زيادة ولا نقص، ثم استدل بقول الخاقاني:

زِنِ الحرف لا تُخْرِجْه عن حدِّ وَزْنه فوزن حروف الذِّكْر من أفضل البِرِّ[5]

- الثاني: عند حديثه على زيادة المد قبل الحرف الساكن، ونصه مشابه لكلام ابن الناظم في شرح الجزرية[6]؛ لأنه لا يجمع بين ساكنين، فإن صار اجتماع

(١) النشر في القراءات العشر (٤/١٤٢٠ - ١٤٢١).
(٢) النشر في القراءات العشر (٥/١٥٧٢).
(٣) في الأصل: «يجتمع»؛ ولعل المثبت هو الصواب.
(٤) انظر: الحواشي المفهمة (٢٥٢).
(٥) انظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (٨٩).
(٦) انظر: الحواشي المفهمة (٢٥٢).

بينهما، حركنا الأول، أو حذفناه، أو زدنا في حرف المد؛ ليقدر الحرفُ محرَّكاً، قال الأزهري: «وهو معنى قول الخاقاني حيث قال:

مـــددتَّ لأن الساكنين تلاقَيا فصار كتحريكٍ، كذا قال ذو الخُبْرِ»[1]

٢٠. **السَّنْهوري**: أبو الفتح جعفر بن إبراهيم بن جعفر المصري (ت: ٨٩٤هـ)، تلميذُ الحافظ ابن حجر العَسْقلاني، الذي استشهد بخمسة أبيات من «قصيدة الخاقاني» في عدة موضوعات متفرقة[2].

٢١. **المِزِّي**: أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الإسكندري (ت: ٩٠٦هـ)، تلميذُ ابن الجزري، الذي ذكر خلاف علماء القراءة في إخفاء الميم الساكنة عند الباء، ثم قال: «وأما قول الخاقاني:

ولا تدغمنَّ الميمَ إن جئتَ بعدها بحرف سواها، واقبل العلم بالشكرِ

فليس فيه تعريف لمنع الإخفاء، ولا إجازته، فتعين البيان حينئذ، وهو المختار عند الجمهور، وهو مذهب ابن مجاهد...»[3].

٢٢. **القَسْطلَّاني**: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر المِصْري (ت: ٩٢٣هـ)، الذي نقل عن أبي مزاحم ثلاثة أبيات:

- إذ نقل بيتاً واحداً عند حديثه عن جمع القراءات، وهو قول الخاقاني:

وحُكْمُكَ بالتحقيقِ إن كنتَ آخذاً على أحـدٍ ألَّا تزيدَ على عَـشْرِ[4]

- ونقل بيتين، عند حديثه على المد اللازم؛ إذ نقل كلاماً ممزوجاً - دون نسبة - من الحافظ ابن الجزري[5]، ومن ابنه[6] أو عبد الدايم الأزهري[7].

---

(١) الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (١٩٣).
(٢) انظر: الجامع المفيد في صناعة التجويد (١٠٣، ١٠٩، ١١٨، ١٣٩، ١٤٤).
(٣) الفصول المؤيدة للوصول إلى شرح المقدمة (١٢٤).
(٤) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات (٦٥٩/٢).
(٥) انظر: النشر في القراءات العشر (٧٩٤/٣ - ٧٩٥).
(٦) انظر: الحواشي المفهمة (٢٥٢).
(٧) انظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (١٩٣).

ثم قال: «وهذا معنى قول الخاقاني:

وإنْ حرفُ مدٍّ كان من قبلِ مدغَمٍ كآخر ما في الحمد فامدُدْه واستجْرِ
مــددتَّ لأن الساكنين تلاقَيا فصار كتحريكٍ، كذا قال ذو الخُبْرِ»[1]

٢٣. **الخانْكي**: أبو الثناء محمود بن السراجي بن عمر المِسْتكاوي المصري (ت بعد: ٩٧٧هـ)، الذي نقل كلام الأزهري السابق - في بيان معنى تحرير التجويد - دون نسبة[2]، ثم قال: «وقال الخاقاني:

زِنِ الحرفَ لا تُخْرِجْه عن حدِّ وَزْنه فوزن حروف الذِّكْر من أفضل البِرِّ»[3]

٢٤. **مُلَّا علي قاري**: أبو الحسن علي بن سلطان محمد الهَرَوي المكي (ت: ١٠١٤هـ)، الذي نقل كلام ابن الناظم[4]، أو عبد الدايم الأزهري[5] في توجيه المد اللازم، دون نسبة، ثم قال: «لذلك قال الخاقاني:

مــددتَّ لأن الساكنين تلاقَيا فصار كتحريكٍ، كذا قال ذو الخُبْرِ»[6]

٢٥. **الفَضَالي**: سيف الدين بن عطاء الله المِصْري الضَّرير (ت: ١٠٢٠هـ)، الذي أورد كلام الأَزْهري في بيان معنى التحرير في التجويد، الذي هو التحقيق للشيء والإتقان له من غير زيادة ولا نقص، دون نسبة[7]، ثم ذكر قول الخاقاني:

زِنِ الحرفَ لا تُخْرِجْه عن حدِّ وَزْنه فوزن حروف الذِّكْر من أفضل البِرِّ[8]

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات (٣/١٠١٨).
(٢) انظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (٨٩).
(٣) شرح المقدمة الجزرية (١٣٠ - ١٣١).
(٤) انظر: الحواشي المفهمة (٢٥٢).
(٥) انظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (١٩٣).
(٦) المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية (٢٢٦).
(٧) انظر: الطرازات المعلمة في شرح المقدمة (٨٩).
(٨) انظر: الجواهر المضية على المقدمة الجزرية (٥٦ - ٥٧).

٢٦. **الصَّفاقُسي**: أبو الحسن علي بن سالم بن محمد النُّوري (ت: ١١١٧هـ)، الذي أورد عادةَ الصَّدْرِ الأول في عدم الزيادة على عشر آيات على القارئ، واستشهد ببيت الخاقاني:

وحُكْمُكَ بالتحقيقِ إن كنتَ آخذاً ... على أحـدٍ ألَّا تزيدَ على عَـشْرِ[١]

٢٧. **الشَّقانصي**: أحمد بن أحمد القَيْرواني (ت: ١٢٣٥هـ)، الذي ذكر تمام اثني عشر بيتاً عن الخاقاني بدءاً من قوله:

أيا قـارئَ القرآنِ أَحْسِنْ أَداءَهُ ... يُضَاعِفْ لكَ اللهُ الجزيلَ مِنَ الأَجْرِ[٢]

ثم ذكر قول الخاقاني:

فما كلُّ مَنْ يتلُو الكتابَ يُقِيمُهُ ... ولا كُلُّ مَنْ في الناسِ يُقْرِئُهم مُقْرِي

٢٨. **الجُرَيسي**: محمد مكي نَصر المِصْري الشافعي (كان حياً: ١٣٠٧هـ)، الذي نقل ثلاثة أبيات من «الخاقانية»، بواسطة شرح المرادي على نونية السخاوي، وهي[٣]:

فذو الحِذْقِ مُعْطٍ للحروفِ حقوقَها ... إذا رَتَّـلَ القرآنَ أو كان ذا حَدْرِ
وترتيلُنا الـقـرآنَ أَفْـضَـلُ للذي ... أُمِرْنَا به مِنْ مُكثنا فيه والفِكْرِ
وإمَّـا حَـدَرْنَـا دَرْسَـنَـا فمُرَخَّصٌ ... لنا فيه إذ دِينُ العبادِ إلى اليُسْرِ

(١) انظر: غيث النفع في القراءات السبع (١١).
(٢) انظر: عمدة القارئين والمقرئين (٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٩٤).
(٣) انظر: نهاية القول المفيد (٢٢ - ٢٣).

المبحث الرابع
معارَضَاتُ القصيدة

أحدثت «منظومة الخاقاني» جواً مفعَماً بالإعجاب والتأثر بها وبأبياتها، ممَّا حدا بعدد من العلماء الشعراء إلى محاكاتها والإتيان بنظم يضاهي معانيَها ويوازي رويَّها وقافيتها، واصطُلح على تلك المحاكاةِ بالمعارضة الشعرية، وهو نوع من الأنماط الشِّعْرية يعمَد فيه الشاعر إلى نَظْم قصيدة على مِنْوال القصيدة أو الأبيات التي تستهويه، من باب الإعجاب بها، أو التتميم لها والزيادة، أو الاستدراك عليها، ولا يُشتَرط في الشاعر المحاكي أن يكون معاصراً للنظم الذي يعارضه، أو من طبقة صاحب القصيدة الأُمِّ، كما أنَّ القصيدة الواحدة قد يعارضها أكثر من شاعر، سواء في عصر واحد أو عصور متباعدة[1].

والمعارضات الشعرية فن أدبي قديم، واكبت نشأة الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، ولكن قِوامه الأدبيَّ لم يتماثل بجلاء إلا في العصر الأموي، وهو قائم على الإعجاب والاختيار، ويفتح آفاقاً جديدة من العمق، وحسن التعليل، وجمال التصوير والتمثيل، والسمو في الخيال، وأسهم في ازدهار الشعر وتطوره، إذ إن بعض الشعراء تفوَّقوا على الشعراء الذين عارضوهم، ويُعَدُّ مدرسة من مدارس الموهوبين من الشعراء[2].

وتقسم المعارضات الشعرية نوعين هما: المعارضات الكُلية، والمعارضات الجزئية.

فالمعارضات الكلية: تكون بين القصائد المتفقة في موضوعها، ووزنها، وقافيتها، وحركة رويها، بحيث يصدق على القصيدة المتأخرة أنها صَدى للمتقدمة.

والمعارضات الجزئية: هي ما تُخالِفُ القصيدةُ المتأخرة القصيدةَ المتقدمة في فِقْرة من الفقرات الأربع السابقة، مثل فُقْدانها أحدَ العناصر الشكلية، أو تَخالُفِ الموضوعِ بينهما[3].

---

(١) انظر: تاريخ المعارضات في الشعر العربي (١٣)، والمعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي (٩٠٣، ٩٠٤).
(٢) انظر: تاريخ المعارضات في الشعر العربي (٥١، ٦٩)، والمعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي (٩٠٣).
(٣) انظر: تاريخ المعارضات في الشعر العربي (١٣)، والمعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي (٩٠٤).

وقد كانت القصائد المعارَضَةُ محلَّ تقدير المعارِض وإعجابه، ومحط نظره؛ لذلك اختارها دون غيرها، وحذا حذوها، وسار على منوالها.

وبالاطلاع على من حاكى «قصيدة الخاقاني» نجد أربعة من أعلام القراءة قاموا بمعارضة هذه الرائية، في خمس قصائد من بديع ما فاضت به الشاعرية، وأمْلَتْه القرائح، وهي أعمال تدخل في القسم الأول من المعارضات الشعرية؛ لتوافر عناصر الانسجام التام، والتوافق بينها وبين «القصيدة الخاقانية»، وهي: اتحاد الموضوع، والبحر الواحد، والقافية الرائية، وحركة الرَّوي؛ بحيث يصدق على كلِّ واحدة من تلك القصائد الخمس أنها وَهَج من بديع الخاقاني.

وفيما يلي سرد لهؤلاء الشعراء الأربعة، وبيان معارضاتهم الخمس:

١. **المَلَطي**[(١)] **أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن**: تلميذُ ابن مجاهد ونَزِيل عَسْقلان، والمتوفَّى بها سنة (٣٧٧هـ)[(٢)].

تقع منظومتُه في (٥٩) بيتاً، زاد فيها على الخاقانيِّ أشياء أغفلها، وأصولاً أضْرَب عنها، أوردها الدانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر شرحه على «الخاقانية»؛ لغرابتها، ولقِلَّة توافرها بين أيدي من يُعرف بالإقراء في عصره[(٣)].

ومَطْلعها[(٤)]:

أقولُ لأهلِ اللُّبِّ والفَضْلِ والحِجْرِ ... مَقالَ مُريدٍ للثَّواب ولِلأَجْرِ

وأسألُ ربِّي عونَه وعطاءَه ... وصَرْفَ دواعي العُجْبِ عنِّيَ والكِبْرِ

(١) نسبته إلى مدينة مَلَطْيَة، كانت بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام، وهي الآن إحدى المدن التركية في شرق الأناضول قرب نهر الفرات. انظر: الأنساب للسمعاني (٤٦٨/١١)، ومعجم البلدان (١٩٢/٥)، والموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٦٥٧/٢)، وغاية النهاية (٦٧/٢).

(٣) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٣٤٨/٢ - ٣٥٢).

(٤) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٣٤٨/٢)، وروائع التراث (١٠٩).

وآخرها[1]:

ونَظْمي لها خمسون بيتاً وتسعةٌ ... قريضاً فخَيِّرْ من مَلَطْيَةَ واستَبْرِ

ولا تُخْلِيَنِّيْ من دعائك إنني ... لكَ اللهَ داعٍ بالسَّلامة والنَّصْرِ

وزاد الإمام الداني عليها بيتاً واحداً؛ ليصبح عدد أبياتها ستين بيتاً، فقال: «وبقي الحكم الرابع[2]، وهو ما تقلبان عنده، فقلت أنا بيتاً وأدرجته مع قول أبي الحسين؛ لتكمل بذلك أحكام النون والتنوين، وهو قولي:

وتُبدَلُ عندَ الباءِ ميماً لأنها ... مؤاخيةٌ في الصوتِ في السِّرِّ والجَهرِ[3]».

ونَشَرها كاملةً الأستاذ محمد عُزَير شمس في كتابه: «روائع التراث: مجموعة تضم نوادر التراث العربي»[4]؛ معتمداً على نسخة مكتبة رضا بمدينة رامبور في الهند من «شرح الداني لقصيدة أبي مزاحم الخاقاني».

٢. **العِجْلي اللَّالَكائي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد**: إمامُ جامع البصرة ومقرئها (ت بعد: ٣٩٢هـ)[5].

تقع منظومتُه في (١١٥) بيتاً، كما نصَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك في أواخرها بقوله[6]:

فهذا مَقالي واضحاً وبيانُه ... شبيهاً بما قد شاع في كلِّ ما مِصْر

عَنَيتُ به قولَ ابنِ خاقانَ منشِداً: ... «أقول مقالاً معجِباً لأولي الحِجْر»

وأبياتُها زادت زيادةَ مُرْجِحٍ ... على مئةٍ خمساً تزيدُ على عَشْرِ

(١) انظر: شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٣٥٢/٢)، وروائع التراث (١١١).

(٢) أي: من أحكام النون الساكنة والتنوين.

(٣) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٣٥٢/٢).

(٤) ص (١٠٨ - ١١١).

(٥) انظر ترجمته في: الكتاب الأوسط للعُماني (٦١)، ومعرفة القراء الكبار (٦٤٨/٢)، وغاية النهاية (٨٥/٢ - ٨٦).

(٦) انظر: الورقة (١٠٦/ب) من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، وغاية النهاية (٨٦/٢). ونشرها الدكتور عمر يوسف حمدان في المكتب الإسلامي بعمَّان، سنة (١٤٣٨هـ).

ومَطْلعها[1]:

لكَ الحمدُ يا ذا الجُودِ والمَنِّ والبِرِّ ... كما أنتَ أهْلٌ للمَحامدِ والشُّكْرِ
سَمَوتَ سُمُوّاً فوقَ عرشِكَ سَيِّدي ... مُنِيفاً عَظيماً ليس بالحدِّ في القَدْر

وآخرها[2]:

وصلَّى إلـهِي ذو الجَـلالِ على الَّذي ... به اندحضَ الإشراكُ في البَدْو والحَضْر
محـمـدٍ المـبـعـوثِ للخلقِ رحمـةً ... ومُخْمِدِ نـيرانِ الضَّلالة والسُّعْر
أبي القاسمِ الهادي إلى الرُّشْدِ مَن دعا ... إمامِ الهدى ذي الرأفة الزَّاهرِ البَدْر
وصـلِّ على أحبابِنا أهـلِ بيته ... وأصحابِه والتابعين على الإثْـرِ

وقد رواها عن الناظم تلميذُه أبو علي الأهوازي (ت: ٤٤٦هـ) في البطائح[3]، سنةَ ست وثمانين وثلاثمائة[4]، ومنها نسخة مخطوطة ملحقة في آخر كتاب أبي علي الأهوازي: «التفرد والاتفاق»[5].

وقد نقل عنها أبو إسماعيل موسى بن الحسين بن المعدَّل (ت نحو: ٥٠٠هـ) بيتين في معنى الأحرف السبعة[6]:

وليس هـمُ قـومٌ يُـعَـدُّون سبعةً ... فـذاك مقالٌ من جَهول بلا خُبْرِ

(١) انظر: الورقة (١٠٥/أ) من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية.
(٢) انظر: الورقة (١٠٦/ب) من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية.
(٣) جمع بُطَيْحة، وهي الأرض المنخفضة الواقعة جنوبي العراق بين الكوفة والبصرة، يغمرها نهرا دجلة والفرات عند فيضانهما، وقد غلبت عليها مياههُما بسبب انكسار السدود. وفي البطائح تنتشر المدن والقرى، وتربتها حين تجف فيها المياه في غاية الخِصْب. انظر: معجم البلدان (٣٢٥/١)، وتعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (١٢٦/١).
(٤) انظر: غاية النهاية (٨٥/٢).
(٥) لدي منه مصورة من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي. انظر: الورقة (١٠٥/أ - ١٠٦/ب) من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية، وإعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزري من الكنوز والذخائر (٣٣٥)، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جمادى الآخرة (١٤٢٩هـ) السنة الثالثة، والأهوازي وجهوده في علوم القراءات (١٧٤).
(٦) انظر: روضة المعدل (٨٣/١).

ولكنَّ معناها كنحوِ: دعائنا هلمَّ وأقبِلْ أو تعالَ بلا حَجْرِ

وأورد بيتين منها الإمام سِبْطُ الخيَّاط البغدادي الحنبلي (ت: ٥٤١هـ) في كتابه «المُبْهج في القراءات»، يبينان مكانة الإمام يعقوب، ونسبهما إلى العجليِّ، وهما[١]:

أبوه من القُراء كان وجدُّه ويعقوبُ في القرَّاء كالكوكبِ الدُّري

تفرُّدُه محضُ الصوابِ ووجهُه فمَنْ مِثْلُه في وَقْته وإلى الحَشْرِ

وأوردهما الإمام الحافظ أبو العلاء الهَمَذاني العَطَّار (ت: ٥٦٩هـ) بسنده إلى الناظم[٢]، وياقوت الحَموي (ت: ٦٢٦هـ) في «إرشاده»[٣]، وابن الفُوَطي (ت: ٧٢٣هـ) في «معجمه»[٤]، والواسطي (ت: ٧٤٠هـ) في «كنزه»[٥]، والحافظ الذَّهبي (ت: ٧٤٨هـ) في ثلاثة من كتبه: «طبقات القراء»[٦]، و«التاريخ»[٧]، و«السير»[٨]، والإمام ابن الجَزَري (ت: ٨٣٣هـ) في «غايته»[٩]، والطرابلسي (ت: ٨٦٧هـ) في «نهايته»[١٠]، وابن تَغْري بَرْدِي (ت: ٨٧٤هـ) في «نجومه»[١١]، والحافظ السيوطي (ت: ٩١١هـ) في «بُغْيته»[١٢].

والغريب أن الحافظ أبا عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) في كتابه «مفردة يعقوب» لم يورد هذين البيتين، وكذلك محمد بن شريح الإشبيلي (ت: ٤٧٦هـ)، وابن الفحَّام الصقلي (ت: ٥١٦هـ) في كتابيهما «مفردة يعقوب».

---

(١) انظر: المبهج (٢٦٦/١).
(٢) انظر: غاية الاختصار (٤٥/١).
(٣) انظر: معجم الأدباء (٢٨٤٢/٦).
(٤) انظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب (٥١٤/٦).
(٥) انظر: الكنز في القراءات العشر (٢٦).
(٦) انظر: معرفة القراء الكبار (٣٢٩/١).
(٧) انظر: تاريخ الإسلام (٤٦١/١٤).
(٨) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧٢/١٠).
(٩) انظر: غاية النهاية (٣٨٧/٢ - ٣٨٨).
(١٠) انظر: نهاية الغاية (٢١٠/٢).
(١١) انظر: النجوم الزاهرة (١٧٩/٢).
(١٢) انظر: بغية الوعاة (٣٤٨/٢).

وجاء البيتان في «قصيدة اللالكائي» على النحو الآتي[1]:

ومِن بعده[2] يعقوبُ كان إمامَها ... ويعقوبُ في القُرَّاء كالكوكبِ الدُّرِ
تـفـرُّده محـضُ الـصـواب ووجهُه ... وما اختار حرفاً ليس يَصْلحُ للنَّشر
وقد كان في القُرَّاء من قبلُ جدُّه ... وليس له مِثْلٌ من القوم في الفَخْر

فلعل البيتين المنسوبين للَّالكائي اللذين نقلهما سبط الخياط وغيرُه هما من غير هذه القصيدة، أو أنه قالهما أوَّلاً، ثم أدخل على نظمه شيئاً من التعديل والتنقيح، والله أعلم.

٣. **الخُراساني: محمد بن يوسف بن محمد بن إسحاق أبو عبد الله المقرئ** (أواخر ق ٤هـ)[3]:

لهذا الإمام قصيدتان رائيتان في محاكاة منظومة أبي مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هما:

الأولى: «قصيدة في ذكر مخارج الحروف وصفاتها»، رواها أبو بكر محمد بن أحمد ابن الهيثم البَلْخي الرُّوذْباري (كان حياً ٤٨٩هـ)[4]، عن شيخه أبي علي الأهوازي (ت: ٤٤٦هـ)، عن شيخه الخراساني، قال الأهوازي - في وصف القصيدة -: «في ذكر مخارج الحروف، ومعرفة المجهور والمهموس، وغير ذلك، على وزن قصيدة أبي مزاحم»[5]، وتقع في (٥٧) بيتاً.

ومطلعها[6]:

سَلُوا كلَّ من يَغْدو إلى العلمِ يَنْتمي ... منَ ٱهْـلِ بلادِ اللهِ في البرِّ والبحرِ
ومَـن خَصَّه اللهُ الكريمُ بلُطْفهِ ... ويَتْلو كلامَ اللهِ حِفْظاً وفي الزُّبْرِ

---

(١) انظر: الورقة (١٠٥/ب) من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية.

(٢) الضمير راجع إلى أبي عمرو بن العلاء المذكور في بيت سابق، وهو:
وبـالـبـصـرة الـزَّهـراء ذو الـفَـضْـل والتُّـقـى ... إمـامُ الـورى في الذِّكـر ذاكَ أبـو عَـمْـرو

(٣) انظر ترجمته في: غاية النهاية (٢٨٦/٢ - ٢٨٧)، ولم يترجم له الطرابلسي في مختصرها.

(٤) انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٤٤٦/١)، وغاية النهاية (٩٠/٢ - ٩١).

(٥) القصيدة الخراسانية (٣٤٧).

(٦) انظر: القصيدة الخراسانية (٣٤٧).

وآخرها[1]:

فكيفَ اسْتوى مَن ضيَّع العُمْرَ غافلاً أسيرَ الهوى، ساهٍ عن العِلْمِ مُسْتَزِرِ

وهذه القصيدة حققها ونشرها الأستاذ الدكتور عمر يوسف حمدان عن نسخة فريدة، في مجلة معهد الإمام الشاطبي بجدة[2].

الثانية: «القصيدة الرائية في مدح أهل القرآن»، ذكرها ابن الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غاية النهاية»، وهي أيضاً رواها أبو علي الحسن بن علي الأهوازي عن ناظمها، وأولها:

ألا إنَّ أولى القَوْلِ في كلِّ ما يَجْري فَمَبْدَؤُهُ بالحَمْد للهِ والشُّكرِ
ويا حاملَ القُرْآنِ طُوبى لكَ استَمِعْ فَضائلَ مَن يَتْلو القُرَانَ ومَن يُقْري
فإنَّهمُ أهلُ السَّعادةِ والتُّقى وزَينُ عباد الله في البَرِّ والبَحْر
همُ ورِثوا عِلْمَ النَّبيينِ منهمُ وهمْ خيرُ خَلْقِ اللهِ في المُدْن والكَفْر
وقد أودعَ اللهُ النُّبوةَ صَدْرَهم وهمْ أمناءُ اللهِ في البَدْو والحَضْر

قال ابن الجزري: «والقصيدة نحوُ سبعين بيتاً، أحسن فيها»[3].

وإن لم يصرِّح ابن الجزري بأن هذه القصيدة من معارَضات «الخاقانية»، كما صرَّح في منظومتي المَلَطي واللَّالَكائي السابقتين[4]، إلا أن رُوح «الخاقانية» حاضر فيها، وهي على وزنها وقافيتها وروِيِّها، وموضوعُها مدحُ أهل القرآن، وهو مقارب لموضوع «الخاقانية»؛ على تسميةِ بعض أهل العلم لها بأنها في القُرَّاء[5]،

(١) انظر: القصيدة الخراسانية (٣٥٦).
(٢) العدد التاسع عشر، جمادى الآخرة (١٤٣٦هـ) (ص٣٢٣ - ٣٦٥)، وأعاد نشرها مفردة في المكتب الإسلامي بعمان، سنة (١٤٣٨هـ).
(٣) غاية النهاية (٢/٢٨٦ - ٢٨٧).
(٤) انظر: غاية النهاية (٢/٦٧، ٨٥).
(٥) انظر: شرح القصيدة للداني (٤/٢)، وفهرسة ابن خير (٧٢).

وقد استعار الخراسانيُّ - في الأبيات السَّالفة - عدداً من ألفاظ أبي مزاحم فيها، كقوله: «يَجْري»[1]، وقوله: «مَن يتلو»[2]، وقوله: «في البر والبحر»[3].

كما أنه استخدم الأسلوب الاستفهامي «ألا»، وهو أسلوب واضح في «قصيدة الخاقاني»[4]؛ مما يرجِّح أن «القصيدة الرائية في مدح أهل القرآن» من معارضات «الخاقانية». والله تعالى أعلم.

٤. **الحُصْري: أبو الحسن علي بن عبد الغني الفِهْري القَيْرواني الأديب الضرير (ت: ٤٨٨هـ)**[5]:

عارض رَحِمَهُ ٱللَّهُ «قصيدة الخاقاني» بمنظومته الرائية الفذَّة في قراءة الإمام نافع، المعروفة بـ «القصيدة الحُصْرية»، وتقع في (٢٠٩) أبيات؛ فقال في مقدمتها النثرية: «وإني لمَّا رأيت قصيدة أبي مُزاحم موسى بن عُبَيد الله الخاقانيِّ المقرئ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَقْصُر عن كثير من معاني أصول القراءات وفروعها؛ إذ لا يقدر شاعر غيري على نَظْم جميعها، صنعتُ هذه القصيدة غير مفاخر ولا متعجِّز عنه، وكيف وقد اعتذر من التقصير، فقال:

وقد بَقِيَتْ أشياءُ بعدُ لطيفةٌ يُلَقَّنُها باغي التعلُّمِ بالصَّبْرِ

ولكن قصدت إلى ما لم يَقْصِد إليه، ونبَّهتُ على ما لم ينبِّه عليه، من ذكر التعوُّذ والبسملة، وميم الجمع، وهاء الإضمار، والمدِّ والقَصْر، وتحقيق الهمز الساكن والمتحرك، وتسهيله في مجاريه كلها، ونقل الحركة إلى الساكن قبلها، وترتيب الهمزة الساكنة، والإظهار والإدغام، والرَّوْم والإشمام، والفتح والإمالة، وتفخيم الراءات واللامات وترقيقها، وفرش الحروف، والزوائد، واستقصيت ذلك كلَّه.

---

(١) انظر: البيت (٢٣) من قصيدة الإمام أبي مزاحم.
(٢) انظر: البيت (٦) من قصيدة الإمام أبي مزاحم.
(٣) انظر: البيت (٣٩) من قصيدة الإمام أبي مزاحم.
(٤) انظر: البيتين (١٥، ٢١) من قصيدة الإمام أبي مزاحم.
(٥) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٦/١٩)، وغاية النهاية (٥٥٠/١).

واتَّبعت أصل ورش وأصل قالون في روايتيهما، وما تفرَّد به قالون دون ورش، فحافظ قصيدتي هذه يحصل على ثلاث روايات[١]، ولا يحتاج إلى درس كتاب، ولا يعجز إن شاء الله عن جواب»[٢].

ومطلعها[٣]:

إذا قُلْتُ أبياتاً حِسَاناً من الشِّعْرِ فلا قُلْتُها في وَصْفِ وَصْلٍ ولا هَجْرِ

وقال مشيراً إلى تفوُّقه على نَظْم الخاقاني[٤]:

فجئتُ بها فِـهْـريَّـةً حُـصُرِيَّـةً على كلِّ خاقانيَّةٍ قَبْلها تَـزْري

وللقصيدة نسخٌ كثيرة، وعدد من الشروح والمعارضات[٥].

ونَشَرها الدكتور توفيق العَبْقري مستقلَّة، ونشرها أخرى مع شرح ابن عَظِيمة الإشْبيلي (ت: ٥٤٣هـ) المسمَّى: «مِنَح الفَريدة الحِمْصية في شرح القصيدة الحُصْرية»[٦].

فهذا ما وقفت عليه من معارَضات كُلية مباشرة[٧] لقصيدة أبي مزاحم، ولعلَّ قادم الأيام يكشف لنا عن جديد في هذا المقام.

وتُعَدُّ قصيدة أبي الحسن عَلَمِ الدين علي بن محمد السَّخاوي (ت: ٦٤٣هـ) في التجويد المعروفة بـ: «عُمدة المفيد وعُدة المُجيد في معرفة التجويد» من المعارضات

---

(١) يعني: رواية ورش من طريق الأزرق، ورواية قالون من طريقي: أبي نَشِيط، والحُلْواني.

(٢) القصيدة الحُصْرية (٨٦ - ٨٨).

(٣) انظر: القصيدة الحُصْرية (٩٠).

(٤) انظر: القصيدة الحُصْرية (٩١). تعقَّب ابنُ عظيمة الإشبيلي الحصريَّ في حكايته التفوق على الخاقاني بقوله: «وما تزري على الخاقانية كما زعم، ولا يربي عليها نظمه؛ لأن الغرض ليس بواحد، ولم تخلُ تلك من فوائد». منح الفريدة الحمصية (٢٣١).

(٥) انظر: مقدمة تحقيق القصيدة الحُصْرية (٢٨ - ٥٧).

(٦) ونشرَها الدكتور عبد الهادي حميتو في كتابه «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» (٥٢/٢ - ٦٦)، ونشرها الشيخ سعد عبد الحكيم سعد ضمن «مجموع المتون في القراءات والتجويد» (ص١٤ - ٣٤).

(٧) هنالك عدد من المعارضات لقصيدة أبي الحسن الحصري، لا أراها معارضات مباشرة لرائية أبي مزاحم الخاقاني. انظر قراءة نافع عند المغاربة (٨٣/٢، ٨٤، ٤٤٣/٣ - ٤٥١)، ومقدمة تحقيق منح الفريدة الحمصية (٨٧).

الجُزئية لقصيدة الخاقاني؛ لاتِّحاد موضوعهما، مع كون منظومة السخاوي من البحر الكامل، فصِلتها الوثيقة بقصيدة الخاقاني بادية في عدد من أبيات النونية، كقوله(١):

للحرفِ ميزانٌ فلا تكُ طاغياً فيه، ولا تكُ مُخْسرَ الميزانِ

فهو المعنى الذي يريده لا يخرج عن معنى قول الخاقاني(٢):

زِنِ الحرفَ لا تُخرِجْه عن حدِّ وزنِه فوزنُ حروفِ الذِّكر من أفضلِ البِرِّ

وختم السخاوي قصيدته مشيراً إلى حضور «الخاقانية» ومثولها أمامه، وهو يشعر بتفوُّقه عليها، إذ قال في آخر بيتين منها(٣):

فانظُر إليها وامِقاً متدبِّراً فيها، فقد فاقَتْ بحُسْنِ مَعاني

واعلَمْ بأنَّكَ جائرٌ في ظُلمها إنْ قِسْتَها بقصيدةِ الخاقاني

وبالجملة فإن قصيدةَ أبي مُزاحم لم تغادر النَّمَط الشعريَّ في المعارضات، فهي سائرة في هذا المَهْيَع، فالخاقانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تأثر بإحدى عيون الشعر العربي، وهي «القصيدة الرُّصافية» للشاعر علي بن الجَهْم القُرَشي (ت: ٢٤٩هـ)(٤)، التي قالها في بلاط الخليفة العباسي المتوكِّل (ت: ٢٤٧هـ)(٥) مادحاً له، وهي من أشهر قصائد عليِّ بن الجَهْم، وبها اشتَهر بين الأدباء، ومَطْلعها(٦):

عُيونُ المَها بين الرُّصافةِ والجِسْر جَلَبْنَ الهوى مِن حيثُ أَدْري ولا أَدْري

فحاكاها الخاقانيُّ وعارَضَها، من حيث البحر الطويل، والقافيةُ المتحدة، والرَّوي المتفق، وبخاصةٍ في قول علي بن الجَهْم(٧):

---

(١) انظر: قصيدتان في تجويد القرآن (٥١).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٨).
(٣) انظر: قصيدتان في تجويد القرآن (٨٤).
(٤) انظر ترجمته في: مقدمة ديوانه (٤ - ٤٤)، والأعلام (٢٦٩/٤ - ٢٧٠).
(٥) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٦٥/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٠/١٢).
(٦) انظر: ديوان علي بن الجهم (١٤١).
(٧) انظر: ديوان علي بن الجهم (١٤٦).

فما كُلُّ مَن قادَ الجِيادَ يَسُوسُها وما كُلُّ مَن أَجْرَى يُقالُ له مُجْري

وظهر هذا الأثر جلياً في رائية أبي مزاحم في قوله[1]:

فما كُلُّ مَن يَتْلو الكتابَ يُقيمُه وما كُلُّ مَن في الناسِ يُقرِئُهُم مُقْري

قال الدَّاني: «وهذا المعنى الذي قصده أبو مُزاحمٍ في هذا البيت - ممَّا دلَّلنا على صِحَّته - قد سبقه إليه عليُّ بن الجَهْم الهاشمي، ومن هناك أخذَه، وعلى عَرُوض تلك «القصيدة» وقافيتها عمل «قصيدتَه» هذه في القُرَّاء وحُسْنِ الأداء»[2].

كما أن عدد أبيات «رائية الخاقاني» الواقعة في واحد وخمسين بيتاً قارب عدد أبيات «القصيدة الرُّصافية»؛ التي بلغت في أوفى نسخها ستة وخمسين بيتاً[3].

فتُعَدُّ «قصيدة الخاقاني» من المعَارَضات الجزئية للقصيدة الرُّصافية؛ لكون أبي مزاحم خالف الموضوع الذي أنشأه علي بن الجَهْم.

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٧).

(٢) شرح قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (٣٦/٢).

(٣) أورد عديد من الأدباء أبياتاً منها، ونشرها الأستاذ خليل مردم بك في تكملته لديوان علي بن الجهم (١٤١ - ١٤٨)، وبلغ عدد الأبيات فيه (٤٣) بيتاً، ثم أعاد نشرها في آخر الديوان، معتمداً على ست نسخ خطية (٢٢٠ - ٢٢٣)، وبلغ عدد أبياتها (٥٦) بيتاً.

المبحث الخامس
طبعاتها

اشتَهرت هذه القصيدة بين أهل العلم بعناوين مختلفة، مثل: منظومة الخاقاني، ورائية الخاقاني، والخاقانية، والرَّائية لأبي مُزاحم، وقصيدة ابن خاقان، والقصيدة الخاقانية ونحوها من الأسماء؛ إذ إن الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يضع لها عنواناً لَصِيقاً محدَّداً؛ فاختلفت عناوينها لدى العلماء[1]، كما أن نسخها الخطية[2]، وطبعاتها اختلفت في تسميتها.

وقد نُشِرت «قصيدة الخاقاني» عدةَ مرَّات، وفيما يلي سرد لطبعات القصيدة مفردة أو مع شرحها؛ وَفْق التسلسل الزمني للطباعة والنشر:

١. نَشَرها المستشرق بونيشي (Boneschi.p.) في مجمع لنشاي العِلْمي في إيطاليا عام (١٩٣٨م)[3].

٢. نَشَرها الأستاذ الدكتور غانم قَدُّوري الحَمَد في مجلة كلية الشريعة ببغداد، ضمن بحثه: «علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى»[4] عام (١٤٠٠هـ)، وأعاد نشرها ضمن مباحث كتابه: «أبحاث في علم التجويد»[5] عام (١٤٢٢هـ) الصادر في دار عمَّار بالأردن.

٣. نَشَرها الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ، بعنوان: «مجموعة التجويد (١) قصيدتان في تجويد القرآن لأبي مزاحم الخاقاني، ولعلم الدين السَّخاوي»، مع التحقيق والشرح، وصدرت عن مكتبة الدار في المدينة المنورة، سنة (١٤٠٢هـ).

٤. نَشَرها الأستاذ الدكتور علي حسين البوَّاب في مجلة المورد العراقية[6]، بعنوان: «القصيدة الخاقانية في القراءة وحسن الأداء، مع مقتطفات شرح أبي عمرو الداني

---

(١) انظر: المبحث الأول من الفصل الثاني.
(٢) انظر: الفهرس الشامل - مخطوطات التجويد (١٤٠).
(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي (٥/٤)، ومعجم أسماء المستشرقين ليحيى مراد (٣٠٩).
(٤) انظر: مجلة كلية الشريعة، بغداد، العدد السادس سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) (ص١ - ٦٦).
(٥) ص (٩ - ٧٥).
(٦) بغداد (١٤٠٥هـ)، المجلد الرابع عشر، العدد الأول (ص١١٥ - ١٢٨).

للقصيدة»؛ معتمداً على ثلاث نسخ خطية: إحداها نسخة مكتبة جستربيتي التي شرح فيها الداني القصيدة، وقد اقتبس من ذلك الشرح نصوصاً ضمَّنها حواشي التحقيق.

٥. نَشَرها الأستاذ المحقِّق محمد عُزَير شمس في الدار السَّلَفية بمباي، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٢هـ) ضمن كتابه: «روائع التراث»[١]، ومعها قصيدة أبي الحسين المَلَطي التي عارض بها هذه القصيدة.

٦. نشرها الدكتور عبد الهادي حميتو في كتابه «قراءة نافع»، سنة (١٤٢٤هـ) في أثناء حديثه عن أبي الحسن الأنطاكي، رائدِ المدرسة القرطبية في القراءات في عصر ازدهارها[٢].

٧. نشرها الشيخ حمد الله حافظ الصَّفَتي، ضمن «سلسة متون التجويد»، مع ثلاث قصائد أخرى في مكتبة أولاد الشيخ للتراث بالقاهرة، سنة (١٤٢٥هـ).

٨. نَشَرها الشيخ سعد عبد الحكيم سعد ضمن «مجموع المتون في القراءات والتجويد»[٣]، في مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٩هـ)، ثم أعاد نشرها في مؤسسة الكتب الثقافية.

٩. نَشَرها الدكتور عمر خليفة الشَّايْجي في آخر كتابه: «المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ التجويد»[٤]، طبع دار الصدِّيق في الجبيل، الطبعة الأولى سنة (١٤٣٠هـ).

١٠. طبعة مكتبة أولاد الشيخ في القاهرة، وهي مصوَّرة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية في دمشق بالرقم (٤٦/٣٧٨٢) مجاميع.

١١. منشورة مع شرح «المنظومة الخاقانية» للإمام عثمان بن سعيد الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)، وفي حواشيه الفرق بين أول منظومة في التجويد وبين كتب التجويد المعاصرة، بتحقيق فَرْغَلي سيِّد عَرَباوي، طبعة مكتبة أولاد الشيخ في القاهرة.

---

(١) من ص (٧٩ - ١١٢).

(٢) انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش (٦/٣٦٢ - ٣٦٦).

(٣) من ص (٦ - ١٣).

(٤) من ص (٥٢٧ - ٥٣١).

١٢. منشورة مع شرحها بعنوان: «هَدْي المُجيد في شرح قصيدتي الخاقاني والسخاوي في التجويد» لجمال الدين محمد شرف، طبعة دار الصحابة بطنطا.

١٣. نشرها الأستاذ خليل أبو عنزة على الشبكة العنكبوتية، في منتدى بصائر الإسلامي، ضمن شرح «المنظومة الخاقانية» للإمام عثمان بن سعيد الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)؛ معتمداً على نسخة مكتبة جستربيتي في دبلن.

١٤. نشرة الأستاذ إسلام بن نصر بن السيد بن سعد بعنوان: «الفتح الربَّاني في شرح رائية الخاقاني»، على موقع شبكة الأَلُوكة على الرابط التالي:

(http://www. alukah. net/libraryi)

وطبع في مكتبة أولاد الشيخ بالقاهرة (٢٠١٢م)، ضمن شرحه للقصيدة مع نونية السخاوي، شرحاً سهلاً، مهتماً بمعالجة الأخطاء الشائعة في التطبيق العملي لنطق الحروف.

١٥. نشرة الشيخ أبي إبراهيم رضوان بن محمد آل إسماعيل[١] بعنوان: «ضبط منظومة رائية الخاقاني في التجويد»، على موقع ملتقى أهل اللغة على الرابط التالي:

(http://www. ahlalloghah.com/showthread.php)

وهي غير تامة، وصل فيها إلى البيت السابع من المنظومة.

١٦. نشرة علي بن عمر بن أحمد الملاحة، بعنوان: «كتاب قول الداني في شرح رائية الخاقاني»، على موقع ملتقى أهل الحديث على الرابط التالي:

(http://www.ahlalhdeeth.com)

المحرم عام (١٤٣٥هـ)، وضمنها نسخة شرح الداني لقصيدة أبي مزاحم الخاقاني، معتمداً على نسخة مكتبة جستربيتي بدبلن، وهي ناقصة، ثم أكمل هو بقية شرح الأبيات إلى نهاية المنظومة.

---

(١) المشرف العام على ملتقى أهل اللغة وعلوم العربية.

١٧. نشرة بعنوان: «قصيدة الإمامِ أبي مُزاحم الخاقانيِّ في حُسْن الأداء، المَعروفة بـ الرَّائية»[١]، باعتناء حازم بن سعيد حيدر السَّعيد، بخط الدكتور عثمان عبده طه، كاتب مصاحف المدينة النبوية، طبع دار عمار، الأردن، (ط١) (١٤٣٦هـ)[٢].

١٨. نشرة بعنوان: «متون التجويد»، ضمن سلسلة النفحات المكية، بعناية: أحمد بن ظاهر الدين بن عباس الخطري، طبع المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع، (ط١) (١٤٣٦هـ).

١٩. نشرها الأستاذ غازي بنيدر العَمري، صاحب مجموعة دار الشعار، المتخصصة في التصميم والبرمجة، والنشر الإلكتروني سنة (١٤٣٧هـ) ضمن شرح «المنظومة الخاقانية» للإمام عثمان بن سعيد الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ)؛ وقد نال بتحقيقه لهذا الكتاب درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام (١٤٢٢هـ)، وتم نشر الرسالة في موقع متخصص على الرابط التالي: (http://book. lh. sa/khaqanya).

ومما يجدر التنبيه عليه هنا أن «القصيدة الخاقانية» منشورة إلكترونياً بصيغ نصية على عدد من المواقع الإلكترونية - دون عناية أو تحقيق - مثل: شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، وموقع الآفاق «منتديات السلفية»، وموقع معهد دار الهجرة للقراءات وعلوم القرآن الكريم، وموقع الحلقات «ملتقى الحلقات القرآنية»؛ لذلك لم أدرجها ضمن نشرات القصيدة.

---

(١) رأيت أن أضَعَ لها عنواناً مُنْبِئاً عن مضمونها، وغيَر بعيد عن عبارات أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تسميتها.

(٢) ظهرت في هذه الطبعة إبداعات الخط العربي مع المهارة التِّقْنية في معالجة أصل الخط ونقائه، ونشرتُها لتزايد الطلب عليها من الإخوة مدرِّسي حلقات تحفيظ القرآن، ومن طلاب علم القراءات والتجويد. وقام بصفِّها ومعالجتها وإخراجها الأخ الفني الخطاط: مطيع نذير المعروف بـ (هارون)، لدى مؤسسة: ألف لام ميم للتِّقْنية.
ولم أعرِّج فيها على خلافات النُّسَخ، ولا على ما وقع فيها من تصحيف وأخطاء، ولا على الفروق بين طبعات القصيدة، واكتفيتُ بضبط ألفاظ المنظومة على النَّحْو الموافق لمعظم نُسَخها، وبخاصةٍ النُّسخةُ التي نَسَخها الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ (ت: ٣٦٠هـ)، وذهب بها إلى ناظمها أبي مُزاحم، فأخذها الخاقانيُّ منه، وأبقاها عنده، فشَكَلها وأصلحها بيده، وهي التي ضمَّنها أبو الكرم الشَّهْرَزُوري (ت: ٥٥٠هـ) كاملةً بسنده في «باب التجويد» من كتابه: «المصباح الزَّاهر في القراءات العشر البواهر»، واعتمدت كذلك متنَ المنظومة المصاحِبَ لشرح الإمام الداني.

المبحث السادس
التسجيل الصوتي للقصيدة

سجَّل منظومة أبي مزاحم مجموعة من أصحاب الأصوات، وتمَّ رفعها صوتياً على بعض المواقع على شبكة الإنترنت؛ فمن ذلك:

١. تسجيل الشيخ طه بن محمد بن عبد الرحمن الفهد؛ في موقعه المسمَّى: موقع التيسير للقراءات القرآنية والمتون العلمية، على الرابط التالي:
(http://www.khayma.com/tajweed/taha).

٢. تسجيل الأستاذ محمد عبده في موقع إسلام ويب، في مبوبة «صوتيات» على الرابط الآتي:
(http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=audioinfo)

٣. تسجيل القارئ كمال المروش على قناته على موقع اليوتيوب على الرابط التالي:
(https://www.youtube.com).

٤. تسجيل الشاب محمد العربي بكتاش، بتصحيح وضبط الشيخ علي عمر أحمد الملاحة، على موقع اليوتيوب على الرابط التالي:
(https://www.youtube.com/watch).

٥. تسجيل الأستاذ محمد يوسف رشيد على قناته على موقع اليوتيوب على الرابط التالي:
(https://www.youtube.com).

٦. تسجيل الشاب عبد الرحمن محسن محمد عبيد، بتصحيح وضبط الشيخ حسن مصطفى الوَرَّاقي، على موقع اليوتيوب على الرابط التالي:
(https://www.youtube.com).

٧. تسجيل الشيخ أبي عبد الرحمن علي المالكي، على موقع الآجري «شبكة سلفية متخصصة في المتون وشروحها وطلب العلم الشرعي»، على الرابط التالي:
(http://www.ajurry.com/vb/showthread).

٨. التسجيل الصوتي لها على موقع متون القراءات والتجويد على الرابط التالي:
(http://matne.com/index.php/component).

٩. التسجيل الصوتي لها على موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف على الرابط التالي:
(http://www.mktaba.org).

١٠. تسجيل الأستاذ محمد شاذلي شحاتة الينبعاوي، باعتناء الدكتور حازم بن سعيد ابن حيدر السَّعيد، منشور على قناته على اليوتيوب على الرابط الآتي:
(https://www.youtube.com).

الفصل الثاني
مكوِّنات القصيدة

تمهيد

إنَّ المتأمل لـ «قصيدة الخاقاني» الواقعة في واحد وخمسين بيتاً يجد أنها سارت في ركاب الكتب المبكرة في التصنيف، التي تتسم بطابع المحاولات الأولى التي تسبق مرحلة النمو، والنضج، والتكامل، وهي سِمَة يكاد الدارس لتاريخ العلوم بعامةٍ يلمِسها في كل علم من العلوم؛ لذلك قال ابن الأثير الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما ذكر أولية التأليف في غريب الحديث: «إن أوّلَ من جَمعَ في هذا الفنِّ شيئاً وألَّف: أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التميمي، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ذا أوراقٍ معدودات، ولم تكن قِلَّتُهُ لجهله بغيره من غريب الحديث، وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما: أن كلَّ مُبْتَدِئ لشيء لم يُسْبَق إليه ومُبْتَدِعٍ لأمر لم يُتَقَدَّم فيه عليه؛ فإنه يكون قليلاً ثم يكثُر، وصغيراً ثم يكبُر.

والثاني: أنَّ الناسَ يومئذ كان فيهم بَقِيةٌ، وعندهم معرفة، فلم يكن الجهلُ قد عَمَّ، ولا الخطبُ قد طَمَّ»[1].

فنرى أن قصيدة الإمام أبي مزاحم موسى بن عُبَيد الله الخاقانيِّ التي قالها في حسن الأداء، لم تنل مباحثُها صفةَ الشمول والإحاطة في عرض أحكام التلاوة، ولم تتناول العديدَ من مباحث علم التجويد التي بحثها المتأخرون؛ مما يعطي نموذجاً واضحاً عن طبيعة العلوم في بواكيرها، التي لا تلبثُ أن تطرأَ عليها الزيادة، والتأصيل، والتفريع.

وسأتناول في هذا الفصل المحاور الرئيسة التي تقوم عليها هذه القصيدة، وهي:

١. عنوانها.
٢. المحور الأدائي.
٣. محور القراء.
٤. المحور التربوي.

وفيما يلي عرض لما تضمنته هذه المحاور من تفاصيل ضمن المباحث الآتية:

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/١).

المبحث الأول
عنوان القصيدة

يظهر للناظر في تاريخ هذه المنظومة أنها من القصائد الأغفال، التي لم يضع لها مصنِّفها عنواناً لصيقاً محدَّداً، ومنبئاً عن جملة ما احتوته من موضوعات، وإنما أشار إلى الجانب الأهم، أو الأغلب الأعم فيها، وهو إتقان التلاوة، والذي عبَّر عنه المؤلِّف بمصطلح «حسن الأداء»، فقال [1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقد قُلْتُ في حُسْن الأداءِ قصيدةً رَجـوتُ إلهي أنْ يَحُـطَّ بها وِزْري

كما أشار إلى الأدوات المساعدة للوصول إلى هذا المقصد، مثل: تَكرار التلاوة في قوله[2]:

ألا اعْلَم أخي أن الفصاحةَ زيَّنت تـلاوةَ تـالٍ أدْمـن الدَّرس للذِّكْر

وكتنبيهه على أهمية العناية بمخارج الحروف، وعدمِ الخروج بها عن حدودها في أثناء النطق، في قوله[3]:

زِنِ الحرفَ لا تُخرِجْه عن حدِّ وزنِه فوزنُ حروفِ الذِّكر من أفضلِ البِرِّ

وهذا الصنيع من الناظم من باب التسمية بالغالب؛ لكونه يرى أن أعظم موضوع تحدث عنه في قصيدته هو حُسْن أداء التلاوة.

والتسمية التي أطلقها المؤلِّفُ أراد منها تسمية الكلِّ بالجزء الغالب عليه، وإذا سبَرْنا هذا الإطلاق نجد أنه مستخدم في بعض العلوم، وفي بعض المصنَّفات؛ فعلى مستوى العلوم يصادفنا تسمية أحد أنواع علوم القرآن، المسمَّى بـ «آداب تلاوة القرآن الكريم»، أو «آداب التلاوة»، أو «آداب القراءة»، ومجموع الآداب التي يذكرها

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٨).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٨).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (١٨).

العلماء في هذا النوع - سواء ذُكرت استقلالاً في كتب مفردة كـ «التبيان في آداب حملة القرآن» للإمام النووي (ت: ٦٧٦هـ)، أو ذُكرت تبعاً مع غيرها من مباحث علوم القرآن، كتبويب الإمام الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) لنوع مفرد في كتابه «البرهان في علوم القرآن» سمَّاه: «في آداب تلاوته وتاليه وحق المصحف الكريم»[١]، أو ذكرت مع جملة فصول في كتاب عام في الآداب، كصنيع الإمام ابن مُفلح الرَّاميني الحنبلي (ت: ٧٦٣هـ) في كتابه «الآداب الشرعية»[٢] - تدخل في عموم مسمَّى الأدب، وهو الاجتماع على الشيء المحمود[٣]، مع أن عموم ما يطلق عليه آداب التلاوة يتردد بين أحكام شرعية، كالوجوب، نحو: وجوب تعاهد القرآن الكريم، أو معاهدة القدر المحفوظ منه؛ للأحاديث الثابتة الآمرة بتعاهده وديمومة مراجعته، وكالحرمة، نحو: تحريم المراءاة في تلاوة كتاب الله، وكالاستحباب، نحو: استحباب إكثار تلاوة القرآن الكريم لزيادة الأجر، والكراهة، نحو: كراهة تلاوة القرآن من غير فهم ولا إدراك للمعاني.

وعلى مستوى المصنَّفات تصادفنا كتب الاختيار الشِّعْري التي يعمَد فيها جامعها إلى انتقاء مجموعات من القصائد، التي تُعَدُّ من عيون الشعر العربي، مثل: «المفضَّليات» لأبي العباس المفضَّل بن محمد الضَّبي (ت: ١٧٨هـ)، و«الأصمعيات» لأبي سعيد عبد الملك ابن قُرَيب الأصمعي (ت: ٢١٦هـ)، و«جمهرة أشعار العرب» لأبي زيد محمد بن أبي الخطَّاب القُرَشي (ت: أوائل القرن الرابع). وهذه الدواوين الشعرية نمط من الانتخاب لأشعار فحول من شعراء الجاهلية والإسلام، لم تُرتَّب على أبواب خاصة، ولا قُصد منها حَشْد الأشعار التي تتناول موضوعاً بعينه، بل هو مجرد اختيارٍ أدبي من جامع الديوان.

وهناك نوع آخر من كتب الاختيار الشعري أنشأه أبو تمَّام: حبيب بن أوس الطَّائي (ت: ٢٣١هـ)، وجرى فيه على تصنيف معاني الأبيات التي ينتقيها بحيث يجمعها

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٨١/٢).

(٢) إذ عقد عدداً من الفصول الخاصة بآداب القراءة والمصحف (٢٧٣/٢ - ٣١٧).

(٣) انظر: المطلع على أبواب المقنع للبعلي (٣٩٦).

موضوع واحد، وسمَّى أحد دواوينه وَفْق هذا التبويب، وهو «ديوان الحماسة»، مع أن موضوعات الأشعار المرتبة فيه لا تضمُّ أشعار الحماسة والشجاعة فحسبُ، بل أضاف إليها: أشعار المراثي، والأدب، والهجاء، والأضياف، والمديح، والمُلَح، ومذمَّة النساء، وغير ذلك؛ فهو من باب تسمية الديوان بالتصنيف أو الباب الذي غلب عليه.

قال الأستاذ عبد السلام هارون: «والظاهر أن أبا تمَّام سمَّاه بأول أبوابه وأعظمها»[١].

ونجد أيضاً أن الخاقانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد ألمح إلى شيء عن مضمون قصيدته التي قالها في «حسن الأداء» في «منظومته الميمية»[٢] التي قالها في الفقهاء، بقوله:

أُبـــيِّن مَـــذْهـــبي فـيـمـا أراه ... إمـامـاً في الحَـــلالِ وفي الحـــرامِ

كما بـيَّـنـتُ في الـــقُـــرَّاء قَـــوْلي ..... [٣]

ففيها إشارة إلى أنه قال نظماً في القُرَّاء، وهو قصيدته في التجويد وحسن الأداء، التي ذكر فيها القراء السبعة، وما ينبغي لمقرئ القرآن وقارئه أن يأخذ نفسه به.

وفي المقابل نرى أن بعض القراء سمَّى قصيدته، وأطلق عليها عنواناً محدَّداً، كما صنع الإمام الداني في أرجوزته التي نظمها في أسماء القراء والرواة، وأصول القراءات، وعقد الديانات، فقال في ذلك[٤]:

إذْ كَمُلَت سَمَّيتها (المنبِّهَه) ... لـكـونـهـا مُـفـيـدةً مـفـقِّـهَـه

وكما فعل الإمام الشاطبي في قصيدته في القراءات السبع، التي نظم فيها كتاب «التيسير» للداني، فقال مبيناً اسمها[٥]:

---

(١) مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (١/٧).

(٢) أوردها كاملة الحافظ ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٨٩٩ - ٩٠٠)، في باب: جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء.

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/٨٩٩).

(٤) انظر: الأرجوزة المنبهة (٨٥).

(٥) انظر: حرز الأماني (٦).

وسمَّيتُها (حـرزَ الأمـاني تيمُّناً ووجـهَ التَّـهـاني) فاهْنِه متقَبَّلا

ولكون أبي مزاحم الخاقاني لم يسمِّ قصيدته في التجويد صراحة، فقد تباين موقف العلماء من تسميتها، وحصل اجتهاد منهم في نعتها وبيان محتواها، فسمَّاها بعضهم مراعياً العناصر الرئيسة في محتوياتها، وسماها آخرون مُلاحِظِين نسبتها لمؤلِّفها، وسماها فريق ثالث باعتبار قافيتها، وهو حرف الراء.

واختلفت أيضاً أسماء نسخها الخطية الكثيرة في مكتبات العالم(١)، كما أن مطبوعاتها كان لها أسماء متعددة(٢).

فمن أهل العلم من سمَّاها بـ:

- «قصيدة في مَدْح القُرَّاء السبعة، وتعليم التلاوة، وكيفية القراءة»(٣).
- أو «قصيدة أبي مُزاحم التي قالها في القُرَّاء وحسن الأداء»(٤).
- أو «قصيدة أبي مزاحم الخاقاني في وَصْفِ القراءة والقراء»(٥).
- أو «قصيدته في القراءة»(٦).
- أو «قصيدته التي نظمها في التجويد»(٧).
- أو «قصيدة الخاقاني»(٨).

---

(١) فورد اسمها في كثير منها: «قصيدة في التجويد»، وورد في بعضها: «منظومة في التجويد»، أو: «قصيدة ابن خاقان في حسن أداء القرآن»، أو: «منظومة في القراءات السبع». انظر: الفهرس الشامل - مخطوطات التجويد (١٤٠)، وتاريخ التراث العربي (٣٣/١ - ٤٥).

(٢) انظر: المبحث الخامس من الفصل الأول.

(٣) الإيضاح للأندرابي (٩٤٨).

(٤) شرح القصيدة للداني (٤/٢).

(٥) فهرسة ابن خير الإشبيلي (٧٢).

(٦) فتح الوصيد للسخاوي (٢١٠/١).

(٧) النشر لابن الجزري (١٥٧٢/٥).

(٨) التمهيد للحافظ أبي العلاء (٣١٠)، وجمال القراء للسخاوي (٥٤٦/٢)، وشرح الواضحة لابن أم قاسم المرادي (٣٢)، والمفيد في شرح عمدة المجيد (١٥٩).

- أو «القصيدة الخاقانية»[1].
- أو «القصيدة الرائية»[2].

وهذه التسميات تعود إلى المقاربة في اعتبار واحد من الاعتبارات المنظور إليها في التسمية، إضافة إلى أن أهل العلم الذين رووا القصيدة، أو استشهدوا ببعض أبياتها لم يتفقوا أو يتواضعوا على عنوان موحَّد لها، فحصل تباين الأسماء لها.

ولذلك عندما نشرْتُ نصَّ القصيدة بخط الخطاط الدكتور عثمان طه رأيت أن أضَعَ لها عنواناً مُنْبِئاً عن مضمونها، وغيرَ بعيد عن عبارات أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تسميتها، وهو: «قصيدة الإمامِ أبي مُزاحم الخاقانيِّ في حُسْن الأداء، المَعروفة بالرَّائية»، راعيت فيه أربعة أمور، هي:

١. نسبتها إلى مؤلِّفها.

٢. ما أطلقه هو عليها.

٣. موضوعها الأعم.

٤. قافيتها.

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي (٦٥٩/٢)، وكشف الظنون للحاج خليفة (١٣٣٧/٢).

(٢) غاية النهاية لابن الجزري (٣٢١/٢)، ونهاية الغاية للطرابلسي (١٧٢/٢).

المبحث الثاني
المحور الأدائي

اكتفى الإمامُ أبو مُزاحم الخاقانيُّ بالإشارة إلى أمهات مسائل علم الأداء، دون الخوض في أحكام التلاوة وتفاصيلها وتفريعاتها ودقائقها، ولم يتناول رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديدَ من مباحث علم التجويد التي بحثها المتأخرون، فأوجز في سرد أحكام التجويد النظرية، وقد أشار لهذا المنهج الذي سلكه بقوله(١):

أَلَا فاحفظوا وَصْفِي لكم ما اختصرتُهُ ... لِيَدْرِيَهُ مَنْ لم يكُنْ منكمُ يَدْرِي

فنلحظ أنه تناول الجانب التأصيلي في الأداء من خلال الموضوعات الآتية:

١. **منهج التلقي**: إذ تجرَّد أئمة ثقات من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فتلقَّوا القرآن الكريم وَفْق الصفة التي تعلَّموها، فلم يهملوا منه حركةً أو سكوناً، ولا داخَلَهم في ضبطه وَهْم أو ريب، فنقلوه بأمانة إلى الأجيال التي بعدهم على الطريقة التي تعلَّموها، فغدت قراءة القرآن على ذلك سنةً متبعة وسبيلاً مسلوكة، يأخذها الآخر عن الأول، وقد صح قول: «القراءة سنة متبعة» عن عدد من الصحابة والتابعين(٢)؛ لذلك قال الخاقاني(٣):

وإنَّ لنا أَخْذَ القراءةِ سُنَّةً ... عن الأَوَّلِين المقرئينَ ذوي السِّتْرِ

٢. **مراتب التلاوة**: أشار إلى مرتبتي الترتيل والحَدْر، ولم يذكر مرتبة التدوير - التي هي وسط بين الترتيل والحدر - وذكر أيضاً مرتبة التحقيق عند من يفرق بين الترتيل والتحقيق(٤)، فقال(٥):

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١٥).
(٢) انظر: السبعة لابن مجاهد (٥١)، وشرح قصيدة أبي مزاحم للداني (٤١/٢ - ٤٢).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٧).
(٤) انظر: الموضح لابن أبي مريم (١٥٣/١ - ١٥٦)، والنشر (٥٤٤/٣ - ٥٤٥).
(٥) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (١٢ - ١٤، ٢٥).

..... إذا رَتَّـلَ القرآنَ أو كان ذا حَدْرِ
وترتيلُنا الـقـرآنَ أَفْـضَـلُ للَّذي أُمِرْنَا بِهِ مِنْ مُكثنا فيهِ والفِكْرِ
وإمَّـا حَـدَرْنَـا دَرْسَـنَـا فمُرَخَّصٌ لنا فيه إذ دِينُ العبادِ إلى اليُسْرِ
وإن أَنْتَ حَقَّقْتَ القراءةَ فاحْذَرِ الزْ زِيادةَ فيها واسْأَلِ العونَ ذا القَهْرِ

٣. **العناية بمخارج الحروف وصفاتها**: بتنبيهه على أن المتقن في القراءة يعطي الحروف حقوقَها من المخارج والصفات التي تميِّزها عن غيرها، وطلبِه إلى القارئ أن يكون ناقداً صيرفياً في قراءته يَزِن الحرف، ولا يخرجُه عن مقداره وحدِّه، فقال(١):

فذو الحِذْقِ مُعْطٍ للحروفِ حقوقَها .....
زِنِ الحرفَ لا تُخْرِجْهُ عَنْ حَدِّ وَزْنِهِ فوزنُ حروفِ الذِّكرِ من أفْضَلِ البِرِّ

٤. **تجنب اللحن في القراءة**: وهو الخطأ الطارئ على القراءة، سواء كان ظاهراً يُخِلُّ بمبنى اللفظ، كإبدال حرف بحرف، أو كان خطأً يتعلَّق بكمال إتقان نطق اللفظ، وأشار إليه بقوله(٢):

..... ومعرفةٌ باللحن مِن فيه إذ يَجْرِي
فكُنْ عارفاً باللَّحْنِ كيما تُزِيلَهُ وما للذي لا يعرفُ اللَّحْنَ من عُذْرِ

٥. **استعمال الحروف**: دعا الخاقانيُّ قارئ القرآن إلى العناية بنطق حروف كتاب الله، وإلى عدم الزيادة في صفة القراءة، وبخاصة إذا قرأ بمرتبة التحقيق، المتصفة ببطء التلاوة؛ بحيث يكون ماهراً متمرساً في بيان الحروف وإعطائها صفاتها اللازمة والعَرَضية، وإكمال أحكام التلاوة بما ينبغي أن تُوفَّاه في جميع الأحوال من الإفراد والتركيب، ونهى عن الإفراط في النطق بالحركات؛ مما يؤدي إلى توليد

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (١٢، ٢٦).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (٢٣ - ٢٤).

حروف منها، وحثَّ على بيان الحروف المهموزة، والتلطف في نطق الهمزة؛ حتى لا يؤدِّي التشديد في التلفظ بها إلى اللَّحن، فقال مبيِّناً ذلك كلَّه[1]:

وإن أَنْتَ حَقَّقْتَ القراءةَ فاحْذَرِ الزْ ... زِيادةَ فيها واسْأَلِ العونَ ذا القَهْرِ
فَبَيِّنْ إذنْ ما يَنْبَغِي أَنْ تُبِينَهُ ... .
وقُلْ إنَّ تسكينَ الحروفِ لجزْمِها ... وتحريكَهَا بالرَّفْعِ والنَّصْبِ والجَرِّ
فحَرِّكْ وسَكِّنْ واقْطَعَنْ تارةً وصِلْ ... ومَكِّنْ ومَيِّزْ بَيْنَ مَدِّكَ والقَصْرِ
وخَفِّفْ وثَقِّلْ واشْدُدِ الفَكَّ عامِداً ... ولا تُفْرِطَنْ في فَتْحك الحرفَ والكَسْرِ
وما كان مهموزاً فكُنْ هامِزاً له ... ولا تَهْمِزَنْ ما كان لَحْناً لَدَى النَّبْرِ
وإنْ يَكُ قبلَ اليـاءِ والـواوِ فتحةٌ ... وبعدَهما هَمْزٌ هَمَزْتَ على قَـدْرِ
وأَنْـعِـمْ بيانَ العينِ والهـاءِ كُلَّمَا ... درستَ وكُنْ في الدرسِ معتدلَ الأَمْرِ
وضَمُّكَ قبلَ الواوِ كُنْ مُشْبِعاً لَهُ ... كما أَشْبَعُوا (إياكَ نَعْبُدُ) في الْمَرِّ

٦. **المدود**: أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بيان المد في الكلمة، وإلى التمييز بين الكلمات التي فيها قصر للمد، وبين الكلمات التي تمد بنوع ما من أنواع المدود، سواء اعتَمد المدُّ على ساكن أو همز، وذكر حروف المدِّ الثلاثة، وأنها تسمَّى أيضاً حروف اللِّين، وخصَّ المدَّ اللازم بالذِّكر، ومثَّل له بالألف من قوله تعالى: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وبيَّن علة المد بأنه بسبب التقاء الساكنين، وهما حرف المد وسكون الحرف التالي له، فبسبب المد امتنع التقاء الساكنين؛ لأن إطالة الصوت في حرف المد يقوم مقام الحركة، فقال في ذلك كله[2]:

.... ومَكِّنْ ومَيِّزْ بَيْنَ مَدِّكَ والقَصْرِ
ومـا المـدُّ إلا في ثـلاثـةِ أَحْـرُفٍ ... تُسَمَّى حروفَ اللينِ باحَ بها ذِكْرِي

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (٢٥، ٢٨، ٣٠ - ٣١، ٣٤ - ٣٦، ٣٨، ٤١).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (٣١ - ٣٣، ٤٢ - ٤٣).

هيَ الأَلِفُ المعروفُ فيها سُكُونُها ... وواوٌ ويـاءٌ يَسْكُنانِ معاً فَـادْرِ
وإنْ حرفُ لينٍ كان مِنْ قَبْلِ مدغمٍ ... كآخر ما في الحَمْدِ فامْدُدْهُ واسْتَجْرِ
مَـــدَدْتَ لأَنَّ الساكنينِ تَلاقَيا ... فصارَ كتحريكٍ كذا قال ذُو الخُبْرِ

٧. **ترقيق الراء واللام**: نصَّ على ترقيق الراء واللام في المواضع التي ينبغي أن يرقَّق كلٌّ فيها؛ حتى يصبح اللسان في غاية الفصاحة والبيان، فقال[١]:

ورقِّـقْ بيانَ الـراءِ والـلامِ ينْذَرِبْ ... لِسَانُكَ حتى تَنْظِمَ القَوْلَ كالدُّرِّ

٨. **الإدغام والإخفاء والإظهار**: ذكر الإدغام والإخفاء والفرق بينهما، وذكر الإظهار عند النون الساكنة والتنوين، وسرد حروف الإظهار، وسمَّاها حروف الحلق، ونبَّه على عدم تشديد النون المظهرة، ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿مِنۡ خَيۡلٍ﴾ [الحشر: ٦]، فقال[٢]:

.... وأَدْغِمْ وأَخْفِ الحرفَ في غير ما عُسْرِ
وإنَّ الذي تُخْفِيه ليس بمُدْغَمٍ ... وبينهما فَـرْقٌ فَـفَـرِّقْـهُ باليُسْرِ
وأُسْـــمِي حـروفـاً سِتَّـةً لِتَخُصَّها ... بإظهار نـونٍ قبلَها أبـدَ الدَّهْـرِ
فـحـاءٌ وخـاءٌ ثُـمَّ هَـاءٌ وهَـمْـزَةٌ ... وعَـينٌ وغَـينٌ ليسَ قَـوْلِيَ بالنُّكْرِ
فهذي حروفُ الْحَلْقِ يَخْفَى بيانُها ... فدُونَكَ بَيِّنْهَا ولا تَعْصِيَنْ أَمْرِي
ولا تُشْدِدِ النونَ التي يُظْهِرُونَها ... كقولِكِ (مِنْ خَيْلٍ) لدى سورة الحَشْرِ
وإظـهـارُكَ التنوينَ فَهْوَ قياسُهَا ... فقسْهُ عليها فُزْتَ بالكاعِبِ البِكْرِ

٩. **إدغام الميم الساكنة**: ذكر إدغام الميم الساكنة إذا جاء بعدها ميم مثلها، وسكت عن الحكمين الآخرين من أحكام الميم الساكنة، وهما الإظهار والإخفاء، فقال[٣]:

ولا تُدْغِمَنَّ الميمَ إن جئتَ بعدَها ... بحرفٍ سواها واقبلِ العلمَ بالشُّكْرِ

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٣٧).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (٢٨ - ٢٩، ٤٤ - ٤٨).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٤٠).

قال ابن أم قاسم المرادي عن البيت السابق: «قال الشرَّاح: ليس فيه تعرُّض لمنع الإخفاء ولا لإجازته»[1]. وقال المِزِّي: «فليس فيه تعريف لمنع الإخفاء ولا إجازته»[2].

١٠. **مراعاة الوقف عند تمام الكلام**: بيَّن الخاقاني أهميةَ معرفة الوقف عند الموضع المناسب، الذي يحسن الوقف عليه.

وهو يشير بهذا إلى مُطلق الوقف - على مذهب المتقدمين - الذي يشمل: الوقف التام، والكافي، والحسن، ولا يقصد الدعوةَ إلى اختيار الوقف عند ما يسمَّى بالوقف التام الذي انقطع عمَّا بعدْه من حيث اللفظ ومن حيث المعنى، فقال[3] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقِـفْ عندَ إتمام الكلامِ موافقاً لِمُصْحَفِنَا الْمَتْلُوِّ في البَرِّ والبَحْرِ

فهذه جملة الأحكام والمسائل المتعلقة بتجويد القرآن الكريم التي أوردها الإمام الخاقاني في قصيدته، التي اختار فيها الاختصار والإيجاز، وترك عدداً من قواعد التجويد ومصطلحاته؛ وذلك لكونه يرى أن المتعلِّم يتلقَّنُها عملياً عن شيخه بطول الملازمة له، وبالصبر على التعلُّم، فقال[4]:

وقـد بَقِيَتْ أشياءُ بعدُ لطيفةٌ يُلَقَّنُها بـاغي التعلُّمِ بالصَّبْرِ

وأيضاً نلاحظ عامل نشأة العلم وأوليته؛ لأن طبيعة العلوم تكون في بواكيرها قليلة، ثم تطرأ عليها الزيادة والتأصيل والتفريع.

ونَلْحظ أن الخاقانيَّ لم يُطلِق في قصيدته مصطلح التجويد، بل استعار عبارة «حُسْن الأداء» في قوله[5]:

---

(١) المفيد في شرح عمدة المجيد (١٣٧).
(٢) الفصول المؤيدة (١٢٤). ولعل صواب العبارة: «تعرُّض»، مثل عبارة المرادي.
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٣٩).
(٤) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٤٩).
(٥) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١٧).

فقد قُلْتُ في حسن الأداءِ قصيدةً رَجـوتُ إلهي أنْ يَحُـطَّ بها وِزْري

لأن مصطلح التجويد - في عصره - لم يكن مستقرّاً له صفة الذيوع والانتشار.

وقد كان لأبي مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الآراء الأدائية في القراءة، أورد طرفاً منها أبو عمرو الدانيُّ[1]، وكذلك أبو جعفر بن الباذِش[2]، وأبو الكرم الشَّهْرَزوري[3]، وأبو الخير ابن الجزري[4]، ليس هنا مقام بسطها وتفصيلها.

(١) انظر: جامع البيان (١٤٩١/٤).
(٢) انظر: الإقناع في القراءات السبع (١٥٦/١، ٣١٩، ٥١٧).
(٣) انظر: المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر (١٠٨٠/٣، ١٣٤٩/٤).
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر (١٣٣٢/٤ - ١٣٣٣، ١٣٣٧).

المبحث الثالث
محور القُرَّاء

ألمح الخاقانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى شيء من محتويات قصيدته التي قالها في «حسن الأداء»، وهو أنها تضمَّنت بعض ما يَهُمُّ القُرَّاء، وذلك حين صرَّح في «منظومته الميمية» التي قالها في الفقهاء، بأن قصيدته الرائية هي في القُرَّاء؛ بقوله[1]:

أُبـــيِّن مَـــذْهـــبي فـيـمـا أَراه ... إمـامـاً في الحَـــلالِ وفي الحَـــرامِ
كما بـيَّـنـتُ في الـــقُـــرَّاء قولي ... .

وسمَّى بعض أهل العلم «القصيدة الخاقانية» بأنها «في القراء»، كما أطلق ذلك عليها الأندرابي بقوله: «قصيدة في مدح القراء السبعة»[2]، والداني الذي سمَّاها بـ «قصيدة أبي مزاحم التي قالها في القراء وحسن الأداء»[3]، وابن خير الإشبيلي بقوله: «قصيدة أبي مزاحم الخاقاني في وصف القراءة والقراء»[4]، فيظهر أن تناول القصيدة لجانب القراء أمر تنبه له العلماء.

وعند سبر القضايا التي تمس شخصية القرَّاء في القصيدة، نجد أنها تحدثت عن المسائل الآتية:

١. **دعوة قارئ القرآن إلى أن يحسن قراءته**: وذلك لأن التلاوة عبادة لها صفة شرعية تَضْبِط أحوالها، وهي أحكام القراءة المنقولة لنا، فإذا أجاد التالي أداءه نال الأجر العظيم المضاعَف؛ الحسنةُ بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، وإلى ذلك يشير الخاقاني بقوله[5]:

أيا قـارئَ القرآنِ أَحْسِنْ أَداءَهُ ... يُضَاعِفْ لكَ اللهُ الجزيلَ مِنَ الأَجْرِ

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٨٩٩/٢).
(٢) الإيضاح للأندرابي (٩٤٨).
(٣) شرح القصيدة للداني (٤/٢).
(٤) انظر: فهرسة ابن خير الإشبيلي (٧٢).
(٥) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٥).

٢. **القاعدة الثنائية في القراءة**: نبَّه الخاقانيُّ على قاعدة ثنائية مهمة، أشار في الشق الأول من هذه القاعدة إلى أنه ليس كلُّ من تلا القرآن الكريم أتقن أحكام قراءته، وجوَّد حروفه، وعرف مقطوعه من موصوله، وأحسن الوقف والابتداء، وتدبَّر كلام الله، ولم يهجره من حيث التحاكم إليه، والعمل به، والاستشفاء به. وأشار في الشق الثاني من القاعدة إلى أنه ليس كل من تصدَّر لإقراء الناس وتعليمهم التلاوة يَصْدُق عليه أنه مقرئ ضابط ماهر، فقال الخاقاني[١]:

فما كلُّ مَنْ يتلُو الكتابَ يُقِيمُهُ ... ولا كُلُّ مَنْ في الناسِ يُقْرِئُهم مُقْرِي

٣. **مدح القراء السبعة**: أثنى على القراء السبعة؛ لما لهم من الفضل في نقل القرآن الكريم بوجوه قراءاته، والتفرغ لإقرائه، وصرف الأوقات في هذا، فلذلك كان لهم حقٌّ وفضل وسابقة في هذا الباب، ثم سرد أسماء القراء السبعة جميعاً، فقال[٢]:

فللسبعةِ القراءِ حَقٌّ على الوَرَى ... لإقرائِهِمْ قرآنَ رَبِّهُمُ الوَتْرِ
فبالحرمينِ ابنُ الكثيرِ ونافعٌ ... وبالبصرة ابنٌ للعلاءِ أبو عَمْرِو
وبالشام عبدُ الله وهو ابنُ عامرٍ ... وعاصمٌ الكوفيُّ وَهْوَ أبو بَكْرِ
وحمزةُ أيضاً والكسائيُّ بعدَه ... .

٤. **الإشادة بالكسائي**: خصَّ الخاقاني الكسائيَّ بالإشادة به، وأنه ماهر بالقرآن، والنحو، والشِّعر؛ وذلك لأن الكسائي امتاز بخصال كما وصفه الناظم، إذ «قد تجرَّد للقراءة، وبحث عن الآثار الواردة بحرف القرآن، فبلغ من ذلك الغاية، وأدرك منه النهاية، مع علمه باللغة، وفهمه للعربية، وصِدْقِ لهجته، واستقامة طريقته، وتمسُّكه بآثار السلف الماضين، ولزومِه على الوارد عن الأئمة المتقدمين، فأُتمَّ به عامة أهل العراق في زمانه، واقتدَوا بآثاره، واعتمدوا على اختياره، وجعلوه إمامهم وقدوتهم إلى اليوم»[٣].

---

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٦).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، الأبيات (٨ - ١١).
(٣) شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني (٨٤/٢).

ولأن المؤلِّف تلقَّى قراءة الكسائي عن تلميذ الدوري، الحسن بن عبد الوهاب الورَّاق، قال الداني - في وصف الخاقاني -: «كان إماماً في قراءة الكسائي ضابطاً لها مضطلعاً بها»[1]؛ لذا قال الخاقاني في التنويه بالكسائي[2]:

..... أخو الحِذْقِ بالقرآنِ والنَّحوِ والشِّعرِ

٥. **تسلية القراء**: ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فوائد القراءة إلَانةَ اللسان، ومرانه ورياضته بكثرة القراءة؛ بحيث تزول صعوبة النطق، ونبَّه على أن المواظبة على التلاوة تُذهب ما بالصَّدْر من الهموم والأحزان والآلام وتكشفها؛ لأن القرآن شفاء ورحمة وهدى للمؤمنين؛ قال الخاقاني[3]:

إذا ما تَـلا التـالِي أَرَقَّ لِسَانَهُ وأَذْهَبَ بالإدمانِ عَنْهُ أَذَى الصَّدْرِ

٦. **مقدار العرض على الشيوخ**: بيَّن أن مرتبة القراءة بالتحقيق هي المناسبة للمتعلم؛ بقوله[4]:

وحُكْمُكَ بالتحقيقِ إن كنتَ آخذاً على أحـدٍ ألَّا تـزيـدَ على عَـشْرِ

ووضَّح ابن الجزري مفهوم التحقيق ومتى يؤخذ به بقوله: «عبارة عن إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المد، وتحقيق الهمز، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغُنّات، وتفكيك الحروف؛ وهو بيانها وإخراج بعضها من بعض، بالسكت والترسُّل واليُسْر والتُّؤَدة، وملاحظة الجائز من الوقوف، ولا يكون غالباً معه قَصْر ولا اختلاس، ولا إسكان محرَّك ولا إدغامه.

فالتحقيق يكون لرياضة الألسن، وتقويم الألفاظ، وإقامة القراءة بغاية الترتيل، وهو الذي يُستحسَن ويُستحبُّ الأخذ به على المتعلِّمين، من غير أن يُتَجاوزَ فيه

(١) غاية النهاية (٣٢١/٢).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١١).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٢٢).
(٤) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٢٧).

إلى حدِّ الإفراط؛ من تحريك السواكن، وتوليد الحروف من الحركات، وتكرير الراءات، وتطنين النُّونات بالمبالغة في الغُنَّات»[1].

٧. **إتقان الحفظ**: عدَّ الخاقانيُّ أوَّلَ علوم القرآن الكريم إتقان حفظه وإجادته، وضبطَ المتشابه، وعدم التلكؤ في تلاوته؛ لأن الحفظ المتقن مرقاة إلى تَكرار القراءة، وإلى الربطِ بين الألفاظ المتناظرة في اللفظ، وفيه القدرةُ على فهم الموضوع الواحد في القرآن الكريم؛ قال الخاقاني[2]:

فأَوَّلُ عِلْمِ الذكرِ إتقانُ حِفْظِهِ .....

فهذه هي المسائل التي تهُمُّ القراء في أبيات «الخاقانية».

(١) النشر (٥٤٤/٣).

(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٢٣).

المبحث الرابع
المحور التربوي

تُعَدُّ منظومة أبي مُزاحم من المنظومات التعليمية الرائدةِ التي أشارت إلى معالم تربويةٍ في أثناء تقرير أحكام تلاوة القرآن الكريم، وغدا هذا الإسهام في جانب التوجيه التربوي والإرشاد لمريد علم القراءة والمتعلم مَيْسَماً سلك سبيله بعض علماء القراءة؛ إذ أسهموا - بعد ذلك - في إيراد بعض الآداب والصفات في مقدمات أو ثنايا كتبهم؛ لتكون أنموذجاً يُحتذى لكلٍّ من المدرس والطالب في الآداب والسلوك والتربية، مثلما فعل مكّي بن أبي طالب القَيْسي (ت: ٤٣٧هـ) الذي جعل في مقدمة كتابه «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة» عدَّةَ أبواب في الآداب الحميدة[١]، وأبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) في مقدمة منظومته «الأرجوزة المنبِّهة»[٢]، وكصنيع الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)؛ الذي طعَّم مقدمة قصيدته اللامية في القراءات السبع «حرز الأماني» وخاتمتها ببعض الصفات التربوية[٣]، وكابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، الذي ذكر في مطالع كتابه «منجد المقرئين ومرشد الطالبين» جملة من الآداب والصفات التي تلزم مدرس القراءة[٤]، وكذلك فعل الصفاقسي (ت: ١١١٧هـ) في مقدمة كتابه «غيث النفع في القراءات السبع»[٥].

وقد لحظ الإمامُ أبو عمرو الدانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومة الخاقاني هذا الملمح التربوي، فارتأى أن يختم كتابه «إيجاز البيان عن أصول قراءة نافع بن عبد الرحمن»[٦] بهذه القصيدة؛ معلِّلاً هذا الصنيع بإنهاء كتابه بها بقوله: «لتضمُّنها فوائدَ جمة يلزم حفظها ومعرفتها، وآداباً حساناً يجب استعمالها ورعايتها»[٧].

---

(١) انظر: الرعاية (٧٣ - ٩٢).
(٢) انظر: الأرجوزة المنبهة (١٦٧ - ١٧٧).
(٣) انظر: حرز الأماني (٦ - ٨، ٩٣ - ٩٤).
(٤) انظر: منجد المقرئين (٤٥ - ٧٢).
(٥) انظر: غيث النفع (١٩ - ٢٥).
(٦) أي: في أصول قراءة الإمام نافع المدني، وهو من آخر تصانيفه.
(٧) إيجاز البيان عن أصول قراءة نافع بن عبد الرحمن (خ) الورقة: (١٢٦/أ).

وبالنظر في مكوِّنات «منظومة الخاقاني» نلحظ أنها تناولت عديداً من القضايا التربوية المتعلقة بآداب القراءة، تمثلت بالتالي:

١. **النهي عن مدح النفس**: ينصح المؤلِّفُ القارئ بعدم الفخر، وهو أن يمدح المرءُ نفسه بما فيها من خصال، أو أن يتباهى بما له أو عنده من مَلَكات، أو ما لقومه أو أسرته من محاسن؛ لأن هذا التباهيَ يقود إلى العظمة والتعالي على الآخرين، وقد قيل: «الفخر أوله جهل وآخره حِقْد»[(١)]، فقال [(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

.... إنَّ الفخرَ يدعو إلى الكِبْرِ

٢. **الحِرْصِ على النية الصادقة في التعليم**: على معلِّم القرآن الكريم أن يَمْضيَ في عمله متدثِّراً بإخلاص القصد لله، وأن يعتصم بالله ويطلب إليه العون والتوفيق في هذا الأمر الجَلل، وفي الأعمال التي تَظْهر للناس، وبخاصة إذا كان في القُرْبة مظِنة احترام وتكريم وتقديم للمرء على غيره، وعليه أن يستعيذ بالله، ويسأله العصمة من المباهاة والتفاخر على الآخرين، فقال مبيناً هذا المعنى[(٣)]:

أُعَلِّمُ في القولِ التِلاوةَ عائذاً بمَولاي من شَرِّ المباهاةِ والفَخْرِ

٣. **الاستعانة بالله على تحقيق الأهداف الجليلة**: ومن ذلك تعليم تلاوة كتاب الله، مع الابتهال إلى الرب سبحانه أن يديم نعمته على معلِّم القرآن الكريم، وأن يحفظ عليه دينه إلى أن يفارق الدنيا؛ ليكون بديمومته للتعليم والحفظ في الدين محققاً العبودية لربه، فقال [(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأسأله عَوني على ما نَوَيْتُهُ وحفظيَ في دِيني إلى منتهى عُمْرِي

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (خزم) (٢٠٦/١٦).
(٢) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٢).
(٤) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٣).

٤. **الشعور بالتقصير**: نبه المؤلِّف على أن المرء ينبغي له أن يُشعر نفسه بعدم تكامل عمله، وأنه مقصِّر فيما يقوم به من أعمال، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، فالعبد دائماً سائر إلى الله بين رؤية فضله تعالى عليه، ومشاهدة التقصير، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث سيِّد الاستغفار: «أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[١]. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجمع في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي» بين مشاهدة المِنَّة ومطالعة عيب النفس والعمل»[٢].

ثم يسأل العبدُ اللهَ التجاوزَ عن سيئاته وزلَّاته، فقال الخاقاني في هذا[٣]:

وأَســألهُ عــنِّي التــجــاوزَ في غدٍ ... فما زالَ ذا عَفْوٍ جميلٍ وذا غَفْرِ

٥. **عدم البخل في نشر العلم**: يدعو الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بذل العلم، وتيسيره لمتعلمه؛ بحيث تمنَّى أن لو مَزجَ علمه في شربة ماء، ثم سقاه للمتعلمين، ولم يُخْفِ عنهم علمه ويدَّخِرْه ويخبئْه.

وهذا المعنى الذي يشير إليه الخاقاني مروي عن هشام الدُّسْتُوائي؛ إذ كان يقول لأصحاب الحديث: «وددتُّ أن هذا الحديث ماء فأسقيكموه»[٤].

وذكر ابن عبد البر أن الناظم أخذ هذا المعنى من الشافعي، فروى بإسناده عن الربيع بن سليمان، قال لي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يا ربيعُ، لو قدَرْتُ أن أطعمك العلم لأطعمتُك إياه»، قال أبو عُمر: «أخذه الخاقانيُّ، فقال:

ألا فاحفظوا وصفي لكم ما اختصرتُه ... ليدريَه مَنْ لم يكن منكمُ يَدْري

ففي شَرْبة لو كان علمي سقيتُكم ... ولم أُخْفِ عنكم ذلك العلمَ بالذَّخْر»[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٢٣).

(٢) الوابل الصيب (١١).

(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٤).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٦/٢٧٨).

(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/٤٧٣ - ٤٧٤)، وانظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١٦).

٦. **طاعة الله في السر والجهر**: يؤكد المؤلِّف أن من مقتضى إجادة التلاوة وإتقانِ إحكامها أن يكون التالي قائماً بأوامر الله، مجتنباً نواهيه، حال استتاره عن الناس أو معافستِه لهم، فقال مقرِّراً هذا المعنى(١):

ومَنْ يُقِمِ القرآنَ كالقِدْحِ فَلْيَكُنْ مُطيعاً لأمرِ اللهِ في السِّرِ والجَهْرِ

٧. **معرفة فضل القرَّاء والرواة**: يشير الخاقاني إلى أن متعلِّم القرآن ينبغي له أن يعرف قدر من علَّمه، ويرعى الفضل الذي ناله منه، ويذكر لذلك مثالاً بالقراء السبعة، قال الداني: «من عظيم مِنَنِ الله عَزَّوَجَلَّ وجسيم ما خصَّنا به قيامُ أئمة القراءة السبعة بالأمصار، وتجرُّدهم لطلب القراءة، وعرضهم للحروف على من أدركوه من الصحابة، وتلقِّيْه من التابعين وغيرهم، من غير أن يشوبه غلط، أو يدخله شكوك، أو يختلط به ميل إلى اختيارٍ من جهة إعراب أو لغة أو معنى، بل ذلك كله على حسب ما عُلِّموه، ونقلوه عن أئمتهم، وسمعوه من مشيختهم المتصلة أسانيد قراءتهم برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٢). قال الخاقاني في هذا المعنى(٣):

فللسَّبعةِ القراءِ حَقٌّ على الوَرَى لإقرائِهِمْ قرآنَ رَبِّهُمُ الوَتْرِ

كما أشار الخاقاني إلى أن المتعلِّم يتأكد في حقه أن يدعوَ بظهر الغيب لمن تعلَّم منه العلم، وأرشد الطالب إلى زمن الدعاء المستجاب، وهو قبيل الفجر، فقال(٤):

فلابنِ عُبَيْدِ اللهِ مُوسى على الذي يُعَلِّمُهُ الخيرَ الدعاءُ لدى الفَجْرِ

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٢٠).
(٢) شرح قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني (٤٦/٢).
(٣) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٨).
(٤) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (٥٠).

٨. **الحثُّ على تدبر القرآن الكريم**: يدعو الخاقاني إلى تدبُّر القرآن والتفكر فيه من خلال تفضيله أن يُقرأ القرآنُ على مرتبة الترتيل، التي فيها التأني والتؤدَة؛ ويعلِّل ذلك بأمر الله تعالى لنا بقراءته على تمهل وتفكر، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقال عزَّ من قائل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، قال [١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وترتيلُنا الـقـرآنَ أَفْـضَـلُ للَّذي أُمِرْنَا بِهِ مِنْ مُكثنا فيهِ والفِكْرِ

فهذه أبرز المعالم التربوية التي اشتملت عليها «قصيدة الخاقاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(١) انظر: قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني، البيت (١٣).

الخاتمة

وتتضمن أهمَّ نتائج هذه الدراسة، وتتمثل بما يلي:

١. تُعَدُّ منظومة الإمام أبي مُزاحم موسى بن عُبَيْد الله الخاقانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حُسْن الأداء» أوَّلَ مصنَّف على الإطلاق في علم التجويد، وهي كذلك المحاولة الأولى في تاريخ التصنيف لفَصْل بعض أقسام علم التجويد عن علم القراءات.

٢. نلاحظ في الأحكام التجويدية التي اشتملت عليها «الخاقانية» عامل نشأة العلم وأوليته؛ إذ لم تتناول سوى الأحكام الشهيرة في هذا العلم؛ لأن طبيعة العلوم تكون في بواكيرها قليلة، ثم تطرأ عليها الزيادة والتأصيل والتفريع.

٣. لم يُطلِق الخاقانيُّ في قصيدته مصطلح التجويد، بل استعار عبارة «حُسْن الأداء»؛ لأن مصطلح التجويد - في عصره - لم يكن مستقرّاً له صفة الذيوع والانتشار.

٤. اهتمَّ علماء القراءة بهذه القصيدة الرَّائقة النفيسة، وبَرَز هذا الاهتمامُ في ستة مسارات كوَّنت بمجموعها القيمة العلمية لهذه المنظومة.

٥. يرصدالمتتبع لحركة الاستشهاد بأبيات «القصيدة الخاقانية» أنها استمرَّت نحو تسعة قرون حاضرة في الدَّرْس العلمي لدى علماء القراءة؛ من القرن الخامس حتى القرن الثالث عشر الهجري، وتكاثر الأخذ منها لدى شُرَّاح «المقدِّمة الجزرية»، ونلاحظ أن كثيراً منهم يأخذ عن بعض في المسألة الواحدة المستشهد لها، ثم خَفَت الاحتفال بـ «قصيدة الخاقاني» في القرون المتأخرة.

٦. يتجلَّى في هذه القصيدة اهتمام أهل العلم بنشر أصوله ومسائله، مقروناً بتزكية النفس، وتقوى الله في السر والعلن.

٧. كان للخاقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ آراء في عدد من المسائل الأدائية في التلاوة، لم يتطرَّق إليها في منظومته هذه، بل نجدها مبثوثة في عدد من مصادر علم القراءات.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. **الآداب الشرعية**: لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١) (١٤١٦هـ).

٢. **أبحاث في علم التجويد**: للدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن (ط١) (١٤٢٢هـ).

٣. **إبراز المعاني من حرز الأماني**: لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بـ «أبي شامة المقدسي» (ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمود بن عبد الخالق جادو، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (١٤١٣هـ).

٤. **أحاسن الأخبار في محاسن السبعة الأخيار**: لعبد الوهاب بن وهبان المزي (ت: ٧٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت (ط١) (١٤٢٥هـ).

٥. **الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، حققه وعلق عليه: محمد ابن مجقان الجزائري، دار المغني، الرياض (ط١) (١٤٢٠هـ).

٦. **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**: لياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس (١٤٢٣هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ط١) (١٤١٤هـ).

٧. **الأعلام**: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: لخير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت (ط٧) (١٩٨٦م).

٨. **الأنساب**: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السَّمعاني (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق الشيخ: عبدالرحمن المعلمي ومتابعيه، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (ط٢) (١٤٠٠هـ).

٩. **الأهوازي وجهوده في علوم القراءات**: للدكتور عمر يوسف حمدان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، عَمَّان، ومؤسسة الريان، بيروت (ط١) (١٤٣٠هـ).

١٠. **إيجاز البيان عن أصول قراءة نافع بن عبد الرحمن**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، محفوظ في المكتبة النورية برقم (ع/٤٢)، ضمن المكتبة الوطنية في تونس.

١١. **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة (ط١) (١٤١٨هـ).

١٢. **البرهان في علوم القرآن**: لبدر الدّين محمد بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت (ط٢) (١٣٩١هـ)، وتحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وزميليه، دار المعرفة، بيروت (ط١) (١٤١٠هـ).

١٣. **بشرى السعيد بمصنفات علم التجويد**: للدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة (ط٢) (١٤٢٧هـ).

١٤. **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**: لأحمد بن يحيى الضبي (ت: ٥٩٩هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة (١٩٦٧م).

١٥. **بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة**: لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بدون تاريخ.

١٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحمد مرتضى الزَّبيدي (ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (١٤١٤هـ).

١٧. **تاريخ الأدب العربي**: لكارل بروكلمان (ت: ١٩٥٦م)، نقله إلى العربية الدكتور السيد يعقوب بكر، والدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة (ط٣) (١٩٨٣م).

١٨. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت (ط١) (١٤٠٧هـ).

١٩. **تاريخ التراث العربي**: للدكتور فؤاد سزكين (ت: ١٤٣٩هـ)، نقله إلى العربية الدكتور محمود فهمي حجازي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض (ط١) (١٤٠٣هـ).

٢٠. **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار التراث، بيروت (ط٢) (١٣٨٧هـ).

٢١. **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: لأبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي، المعروف بابن الفرضي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٢) (١٤٠٨هـ).

٢٢. **تاريخ المعارضات في الشعر العربي**: للدكتور محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الفرقان، عَمَّان (ط١) (١٤٠٣هـ).

٢٣. **تاريخ بغداد**: لأبي بكر أحمد بن علي المعروف بـ «الخطيب البغدادي» (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).

٢٤. **التحديد في الإتقان والتجويد**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مكتبة دارالأنبار، بغداد (ط١) (١٤٠٧هـ).

٢٥. **تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير**:
موقع الإسلام: http://www.al-islam.com

٢٦. **تكملة الإكمال**: لمحمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي، المعروف بابن نقطة (ت: ٦٢٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد القيوم عبد رب النبي، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٨هـ).

٢٧. **التمهيد في علم التجويد**: لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١) (١٤٠٧هـ).

٢٨. **التمهيد في معرفة التجويد**: لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (ت: ٥٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن (ط١) (١٤٢٠هـ).

٢٩. **التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي**: لأبي الحسن علي بن جعفر السعيدي الحذاء (ت بعد: ٤١٠هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن (ط١) (١٤٢١هـ).

٣٠. **جامع البيان في القراءات العشر المشهورة**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، مجموعة رسائل جامعية، تحقيق: عدد من الباحثين، مطبوعات جامعة الشارقة (ط١) (١٤٢٨هـ).

٣١. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، بعناية: الدكتور محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (ط١) (١٤٢٢هـ).

٣٢. **الجامع المفيد في صناعة التجويد**: لأبي الفتح جعفر بن إبراهيم السنهوري (ت: ٨٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور مولاي محمد الإدريسي، دار ابن حزم، بيروت (ط١) (١٤٣٠هـ).

٣٣. **جامع بيان العلم وفضله**: لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام (ط٢) (١٤١٦هـ).

٣٤. **الجامع للأداء روضة الحفاظ**: لأبي إسماعيل موسى بن الحسين بن موسى المعدَّل (ت نحو: ٥٠٠هـ)، تحقيق الدكتور خالد حسن أبو الجود، دار ابن حزم، بيروت، بتمويل من كرسي الشيخ يوسف عبد اللطيف جميل للقراءات القرآنية، جامعة طيبة، المدينة المنورة (ط١) (١٤٣٦هـ).

٣٥. **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**: لأحمد بن محمد بن أبي العافية ابن القاضي المكناسي (ت: ١٠٢٥هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب (ط١٩٧٣م).

٣٦. **جمال القراء وكمال الإقراء**: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البوَّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط١) (١٤٠٨هـ).

٣٧. **الجواهر المضية على المقدمة الجزرية**: لسيف الدين بن عطاء الله الفضالي (ت: ١٠٢٠هـ)، تحقيق: عزة هاشم معيني، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض (ط١) (١٤٢٦هـ).

٣٨. **حرز الأماني ووجه التهاني (الشاطبية)**: لأبي محمد القاسم بن فِيْرُّه الشاطبي (ت: ٥٩٠هـ)، تصحيح: الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق (ط٦) (١٤٣٣هـ).

٣٩. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي (ط١) (١٣٨٧هـ).

٤٠. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، مصورة عن طبعة السعادة (١٣٩٤هـ).

٤١. **الحواشي المفهمة**: لأبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري المعروف بابن الناظم (ت: نحو ٨٣٥هـ)، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة (ط١) (٢٠٠٦م).

٤٢. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**: لتقي الدين أحمد بن علي المَقْريزي (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ط١) (١٤٢٣هـ).

٤٣. **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، نشر أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاريخ).

٤٤. **الدرة الفريدة في شرح القصيدة**: للهمذاني المنتجَب بن أبي العز بن رشيد، منتجَب الدين (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور جمال محمد طُلبة السيد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض (ط١) (١٤٣٣هـ).

٤٥. **ديوان علي بن الجهم**: لعلي بن الجهم القرشي (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (بدون تاريخ).

٤٦. **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**: لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، دار عمار، الأردن (ط٢) (١٤٠٤هـ).

٤٧. **روائع التراث**: مجموعة تضم نوادر التراث العربي، جمع وتحقيق: الأستاذ محمد عُزَير شمس، الدار السلفية، الهند (ط١) (١٤١٢هـ).

٤٨. **السبعة في القراءات**: لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف (١٤٢٥هـ)، دار المعارف، مصر (ط٢) (١٤٠٠هـ).

٤٩. **سير أعلام النبلاء**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٣) (١٤٠٥هـ).

٥٠. **السيرة الذاتية**: للدكتور عبد العزيز القارئ، طبعة خاصة، المدينة المنورة (١٤٢٧هـ).

٥١. **شرح المقدمة الجزرية**: لأبي الثناء محمود بن عمر المستكاوي (ق١٠هـ)، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، أضواء السلف، الرياض (ط١) (١٤٢٩هـ).

٥٢. **شرح الواضحة في تجويد الفاتحة**: لابن أم قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، (بدون تاريخ).

٥٣. **شرح ديوان الحماسة**: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت: ٤٢١هـ)، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (ط٢) (١٣٨٧هـ).

٥٤. **شرح قصيدة أبي مزاحم الخاقاني**: لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غازي بنيدر العمري، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤١٨هـ).

٥٥. **طبقات الحنابلة**: لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء (ت: ٥٢٦هـ)، دار المعرفة، بيروت، (بدون تاريخ).

٥٦. **الطرازات المعلمة في شرح المقدمة**: لعبد الدايم الأزهري (ت: ٨٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور نزار خورشيد عقرباوي، دار عمار، الأردن (ط١) (١٤٢٤هـ).

٥٧. **العقد النضيد في شرح القصيد**: لأبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة (ط١) (١٤٢٢هـ).

٥٨. **عمدة القارئين والمقرئين**: لأحمد بن أحمد الشقانصي القَيْرواني (ت: ١٢٣٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق بسرور، دار ابن حزم، بيروت (ط١) (٢٠٠٨م).

٥٩. **غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار**: للحسن بن أحمد بن الحسن أبي العلاء الهمذاني العطار (ت: ٥٦٩هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أشرف فؤاد طلعت، مطبوعات الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة (ط١) (١٤١٤هـ).

٦٠. **غاية النهاية في طبقات القراء**: للحافظ شيخ القراء أبي الخير بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط١) (١٤٣١هـ).

٦١. **غيث النفع في القراءات السبع**: لعلي النوري الصفاقسي (ت: ١١١٧هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (ط٣) (١٣٧٣هـ) (بهامش سراج القارئ).

٦٢. **فتح الوصيد في شرح القصيد**: لعلم الدين علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان، الكويت (ط١) (١٤٢٣هـ).

٦٣. **الفصول المؤيدة للوصول إلى شرح المقدمة**: لأبي الفتح محمد بن محمد المزي (ت: ٩٠٦هـ)، تحقيق: جمال السيد رفاعي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث (٢٠٠٥م).

٦٤. **فهرس ابن غازي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي المكناسي (ت: ٩١٩هـ)، تحقيق: محمد الزاهي، دار بو سلامة للطباعة والنشر، تونس (ط١) (١٩٨٤م).

٦٥. **الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مخطوطات التجويد**: منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمَّان (ط١) (١٤٠٩هـ).

٦٦. **فهرسة المنتوري**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري (ت: ٨٣٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن شريفة، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب (ط١) (١٤٣٢هـ).

٦٧. **فهرسة ما رواه عن شيوخه**: لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي (ت: ٥٧٥هـ)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (ط٢) (١٣٩٩هـ).

٦٨. **قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش، مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر**: للدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية (ط١) (١٤٢٤هـ).

٦٩. **قصيدة الإمام أبي مزاحم الخاقاني في حسن الأداء المعروفة بالرائية**: لأبي مزاحم موسى ابن عبيد الله الخاقاني (ت: ٣٢٥هـ)، باعتناء: الدكتور: حازم بن سعيد السعيد، دار عمار، الأردن (ط١) (١٤٣٦هـ).

٧٠. **القصيدة الحُصْرية في قراءة الإمام نافع**: لأبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتور توفيق العبقري، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة (ط١) (١٤٢٣هـ).

٧١. **قصيدة العجلي**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد اللَّالَكائي (ت بعد: ٣٩٢هـ)، مخطوط مصور ملحق في آخر كتاب: «التفرد والاتفاق» لأبي علي الأهوازي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، من المجموع ذي الرقم (٣٨٠٩) المدرسة العمرية، دار الكتب الظاهرية.

٧٢. **قصيدتان في تجويد القرآن لأبي مزاحم الخاقاني، ولعلم الدين السخاوي**: تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار، المدينة المنورة (ط١) (١٤٠٢هـ).

٧٣. **الكتاب الأوسط في علم القراءات**: لأبي محمد الحسن بن علي العماني (ت بعد: ٤١٣هـ)، تحقيق: الدكتور عزة حسن، دار الفكر، دمشق (ط١) (١٤٢٧هـ).

٧٤. **كتاب الإيضاح في القراءات**: لأبي عبد الله أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت: ٤٧٠هـ)، رسالة دكتوراه مقدمة من: الدكتور سامي الصبة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤٢٩هـ).

٧٥. **كتاب الكامل في القراءات الخمسين**: لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الدكتور عمر يوسف حمدان، مطبوعات كرسي يوسف عبد اللطيف جميل للقراءات، جامعة طيبة، المدينة المنورة (ط١) (١٤٣٦هـ).

٧٦. **كتاب عدد آي القرآن للمكي والمدنيين والكوفي والبصري والشامي المتفق عليه والمختلف فيه**: لأبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الطبراني، منشورات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن (ط١) (١٤٣٢هـ).

٧٧. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، (بدون تاريخ).

٧٨. **الكنز في القراءات العشر**: لأبي محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (ت: ٧٤٠هـ)، تحقيق: هناء حمصي، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) (١٤١٩هـ).

٧٩. **كنز المعاني شرح حرز الأماني**: للجعبري إبراهيم بن عمر (ت: ٧٣٢هـ)، تحقيق: أحمد اليزيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب (ط١) (١٤١٩هـ).

٨٠. **لطائف الإشارات لفنون القراءات**: لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (ط١) (١٤٣٤هـ).

٨١. **المبهج في القراءات**: لعبد الله بن علي، المعروف بسبط الخياط (ت: ٥٤١هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) (١٤٢٧هـ).

٨٢. **مجمع الآداب في معجم الألقاب**: لكمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي (ت: ٧٢٣هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران (ط١) (١٤١٦هـ).

٨٣. **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس**: للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت (ط١) (١٤١٥هـ).

٨٤. **مجموع المتون في القراءات والتجويد**: تحقيق: الشيخ سعد عبد الحكيم سعد، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة (ط١) (١٤٢٩هـ).

٨٥. **المستشرقون**: لنجيب العقيقي (ت: ١٩٨٢م)، دار المعارف، القاهرة (ط٤) (١٩٨٠م).

٨٦. **المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر**: لأبي الكرم المبارك بن الحسن بن أحمد البغدادي (٥٥٠هـ)، تحقيق أ.د: إبراهيم بن سعيد الدوسري، رسالة دكتوراه مقدمة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض (١٤١٤هـ).

٨٧. **المطلع على أبواب المقنع**: لأبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي (ت: ٧٠٩هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق (ط١) (١٣٨٥هـ).

٨٨. **المعارضات في الشعر العربي**: للدكتور محمد بن سعد بن حسين (ت: ١٤٣٥هـ)، منشورات النادي الأدبي، الرياض، كتاب الشهر (١٦) (١٤٠٠هـ).

٨٩. **معجم أسماء المستشرقين**: ليحيى مراد، طبع كتب عربية، (بدون تاريخ).

٩٠. **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.**

٩١. **معجم البلدان**: لياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت (ط٢) (١٩٩٥م).

٩٢. **المعجم التجويدي لأشهر ألفاظ التجويد**: للدكتور عمر خليفة الشَّايْجي، دار الصدِّيق، الجبيل (ط١) (١٤٣٠هـ).

٩٣. **معجم الشعراء**: لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ)، تعليق: ف. كرينكو، دار الكتب العلمية، بيروت (ط٢) (١٤٠٢هـ).

٩٤. **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**: لعمر رضا كحالة (ت: ١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١) (١٤٢٤هـ).

٩٥. **معجم شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء بالمغرب والأندلس، جمع ونقد لما وقع في تراجمهم من أخطاء المؤلفين والمحققين**: للدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية، مطبعة الوفاء (ط١) (١٤٢٠هـ).

٩٦. **معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني إمام القراء بالأندلس والمغرب وبيان الموجود منها والمفقود**: للدكتور عبد الهادي حميتو، منشورات الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية، مطبعة الوفاء (ط١) (١٤٢١هـ).

٩٧. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. طيار آلتي قولاچ، مركز البحوث الإسلامية، وقف الديانة التركي، إستانبول (ط١) (١٤١٦هـ).

٩٨. **المفيد في شرح عمدة المُجيد في النظام والتجويد**: لابن أم قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المنار، الأردن (ط١) (١٤٠٧هـ).

٩٩. **المقدمة الجزرية**: أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، نسخة مصورة لديَّ من مكتبة لا له لي، إستانبول، (بدون رقم).

١٠٠. **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**: لعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت: ٥٢٩هـ)، بانتخاب الصَّرِيفيني، تحقيق: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (ط١) (١٤٢٨هـ).

١٠١. **المنتظَم في تاريخ الأمم والملوك**: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١) (١٤١٢هـ).

١٠٢. **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**: لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، اعتنى به: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (ط١) (١٤١٩هـ).

١٠٣. **منح الفريدة الحمصية في شرح القصيدة الحصرية**: لمحمد بن عبد الرحمن بن عظيمة الإشبيلي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور توفيق العبقري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية (ط١) (١٤٢٩هـ).

١٠٤. **المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية**: لأبي الحسن علي بن سلطان محمد الهَرَوي المكي المعروف بمُلَّا علي قاري (ت: ١٠١٤هـ)، تحقيق: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق (ط١) (١٤٢٧هـ).

١٠٥. **الموضح في وجوه القراءات وعللها**: لنصر بن علي الشيرازي المعروف بابن أبي مريم (ت بعد: ٥٦٥هـ)، تحقيق: الدكتور عمر حمدان الكبيسي، مطبوعات الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة (ط١) (١٤١٤هـ).

١٠٦. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: ليوسف بن تَغْرِي بَرْدِي الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ)، مصورة دار الكتب المصرية (بدون تاريخ).

١٠٧. **النشر في القراءات العشر**: لأبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تحقيق: الدكتور السالم الشنقيطي، مطبوعات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة (ط١) (١٤٣٥هـ).

١٠٨. **نظام الأداء في الوقف والابتداء**: لأبي الأَصْبَغ عبد العزيز بن علي بن محمد السُّمَاتي الأندلسي (ت بعد: ٥٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض (ط١) (١٤٠٩هـ).

١٠٩. **نهاية الغاية في بعض أسماء رجال القراءات أولي الرواية**: لعبد الرزاق بن حمزة الطرابلسي (ت: ٨٦٧هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا (ط١) (١٤٣١هـ).

١١٠. **نهاية القول المفيد فيما يتعلق بتجويد القرآن المجيد**: لمحمد مكِّي نصر الجُرَيسي (كان حياً: ١٣٠٧هـ)، تحقيق: أحمد علي حسن، مكتبة الآداب، القاهرة (ط٤) (١٤٣٢هـ).

١١١. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للمبارك بن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ).

١١٢. **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**: لأحمد بابا التنبكتي (ت: ١٠٣٦هـ)، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا (ط١) (١٤٠٩هـ).

١١٣. **الوابل الصيِّب ورافع الكلم الطيب**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (ط٢) (١٤٢٧هـ).

ثانياً: المجلات:

١. **إعلام أهل البصائر بما أورده ابن الجزري من الكنوز والذخائر (دليل مفهرس لكتب علوم القرآن الواردة في غاية النهاية)**: للدكتور عمر يوسف حمدان، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الخامس، جمادى الآخرة (١٤٢٩هـ) السنة الثالثة.

٢. **الدر المرصوف في وصف مخارج الحروف**: لأبي المعالي محمد بن أبي الفرج بن معالي فخر الدين الموصلي (ت: ٦٢١هـ)، تحقيق: الدكتور غانم قدوري الحمد، مجلة الحكمة، العدد (٢٥)، جمادى الآخرة سنة (١٤٢٣هـ).

٣. **علم التجويد نشأته ومعالمه الأولى**: الدكتور غانم قدوري الحمد، مجلة كلية الشريعة، بغداد، العدد السادس، سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٤. **القصيدة الخاقانية في القراءة وحسن الأداء، مع مقتطفات شرح أبي عمرو الداني للقصيدة**: تحقيق وشرح: الدكتور علي حسين البواب، مجلة المورد العراقية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، بغداد، سنة (١٤٠٥هـ).

٥. **قصيدة في ذكر مخارج الحروف وصفاتها (القصيدة الخراسانية)**: للخُراساني: محمد بن يوسف بن محمد بن إسحاق أبو عبد الله المقرئ (أواخر ق ٤هـ)، تحقيق: الدكتور عمر يوسف حمدان، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد التاسع عشر، جمادى الآخرة (١٤٣٦هـ).

٦. **المعارضات الشعرية وأثرها في إغناء التراث الأدبي**: لعبد الرؤوف زهدي مصطفى، وعمر الأسعد، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (٣٦)، ملحق (٢٠٠٩م)، عمادة البحث العلمي في الجامعة الأردنية، عَمَّان.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

١. موقع إسلام ويب: (http://audio.islamweb.net)

٢. موقع الآجري: (http://www.ajurry.com)

٣. موقع التيسير للقراءات القرآنية والمتون العلمية:
(http://www.khayma.com/tajweed/taha).

٤. موقع الدكتور حازم سعيد حيدر السَّعيد على اليوتيوب:
(https://www.youtube.com).

٥. موقع اليوتيوب على الرابط التالي: (https://www.youtube.com)

٦. موقع شبكة الأَلُوكة: (http://www.alukah.net)

٧. موقع متخصص على الإنترنت: (http://book.lh.sa/khaqanya)

٨. موقع متخصص: (http://book.lh.sa/khaqanya)

٩. موقع متون القراءت والتجويد:
(http://matne.com/index.php/component)

١٠. موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف: (www.mktaba.org)

١١. موقع ملتقى أهل الحديث: (http://www.ahlalhdeeth.com)

١٢. موقع ملتقى أهل اللغة: (http://www.ahlalloghah.com)

١٣. موقع ويكيبيديا: الموسوعة الحرة: (http://ar.wikipedia.org/wiki)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٦١
المقدمة	١٦٢
التمهيد	١٦٥
المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي مزاحم الخاقاني	١٦٥
المبحث الثاني: إطلالة سريعة على نشأة علم التجويد	١٦٩
الفصل الأول: اهتمام أهل العلم بـ «القصيدة الخاقانية»	١٧٣
المبحث الأول: روايتها	١٧٤
المبحث الثاني: شروحُها	١٧٨
المبحث الثالث: الاستشهادُ بها	١٨٣
المبحث الرابع: معارَضَات القصيدة	١٩٥
المبحث الخامس: طبعاتها	٢٠٦
المبحث السادس: التسجيل الصوتي للقصيدة	٢١٠
الفصل الثاني: مكوِّنات القصيدة	٢١٢
المبحث الأول: عنوان القصيدة	٢١٣
المبحث الثاني: المحور الأدائي	٢١٨
المبحث الثالث: محور القُرَّاء	٢٢٤
المبحث الرابع: المحور التربوي	٢٢٨
الخاتمة	٢٣٣
فهرس المصادر والمراجع	٢٣٤
فهرس الموضوعات	٢٤٧

العَمَلُ التَّطَوُّعيّ في ضَوءِ القُرآنِ الكَرِيمِ

دِرَاسَةٌ مَوضُوعيّة

د. عَبدُ اللهِ بن سَالِم بن بَسلم بافَرَج (*)

مُلخّصُ البَحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يهدف البحث لجملة من الأمور منها:

تأصيل العمل التطوعي، وبيان اعتناء الإسلام به، وتَنَوُّع أساليب القرآن الكريم في الحث عليه، وبيان أجر من يقوم بذلك، وذكر نماذج لأعمال تطوعية وأخرى لمن قاموا بها.

وقد اشتمل البحث على بيان مفهوم العمل التطوعي، وذكر ضوابط العمل التطوعي، وأمثلة على العمل التطوعي، ونماذج من المتطوعين، وثمار العمل التطوعي، كل ذلك من خلال القرآن الكريم.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

(*) أستاذ مشارك بجامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات القرآنية، مركز الدراسات الإسلامية.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨][1]. أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. ألا وإن من الأمور التي ينبغي الاعتناء بها إظهار عظمة الإسلام، وشموله لجميع مناحي الحياة، واهتمامه بمتطلبات الناس، وسَدَّه لرغباتهم، وحثه على بذل المعروف؛ طلباً للأجر والثواب من عند الله تعالى، ووعدهم على ذلك بالجزاء العظيم والثواب الجزيل، فاستخرت الله تعالى، واستشرت أهل العلم في الكتابة حول هذا الموضوع، وعزمت الهمة واجتهدت طالباً العون والسداد من الله العلي القدير، فكتبت هذا البحث وأسميته «العمل التطوعي في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية».

---

(١) هذا جزء من خطبة الحاجة التي رواها ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخرجها مسلم في صحيحه، في كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٣/١) برقم (٨٦٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح (٦١٠/١) برقم (١٨٩٣)، وأحمد في المسند (٣٠٢/١)، ورواها كذلك ابن مسعود وأخرجها عنه أبو داود في سننه، في كتاب: النكاح، باب: في خطبة النكاح (٥٩١/٢) برقم (٢١١٨)، وأحمد في المسند (٣٩٢/١، ٣٩٣)، وانظر: المسند المحقق (١٨٨/٧) برقم (٤١١٥).

أسباب اختيار الموضوع:

كان لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب، وهي تُظهر أهميته منها:

١. إبراز العمل التطوعي وأصالته في القرآن الكريم، وإبراز كيفية عرضه في القرآن الكريم.

٢. إن دراسة مثل هذا الموضوع، والخوض فيه يعطي دليلاً واضحاً على أن القرآن الكريم يصلح لكل زمان ومكان؛ وذلك لتعرُّضه إلى موضوعات تُناسب كل عصر وتواكبه.

٣. إبراز اهتمام الإسلام بإيجاد مجتمع صالح محب للخير متكامل مترابط متماسك، بعيد عن الأنانية وحب الذات.

٤. تأصيل العمل التطوعي؛ وإبراز مدى اهتمام الدين الإسلامي الحنيف بحاجات الناس أفراداً وجماعاتٍ، أمماً وشعوباً، وفي سائر أوقاتهم وأحوالهم.

٥. بيان شيء من حِكم وثمار العمل التطوعي، وآثاره في الفرد والمجتمع.

أهداف البحث:

يهدف البحث لجملة من الأمور أهمها:

١. تأصيل العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم.

٢. بيان اعتناء الإسلام به؛ من خلال أساليب القرآن الكريم في الحث عليه.

٣. بيان أجر من يقوم بذلك، وذكره لنماذج ممن قاموا بأعمال تطوعية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة في هذا الموضوع بهذا العنوان ولله الحمد، والذي وقفت عليه من الدراسات السابقة كان بموضوعات مختلفة؛ فمن تلك الدراسات:

١. الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة؛ مفهومها، وأهميتها، ومجالاتها، إعداد الدكتور: محمد سعيد بن محمد حسن بخاري (١٤٢١هـ).

٢. العمل التطوعي في السنة النبوية، دراسة موضوعية، إعداد الطالبة: رندة محمد زينو، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه بالجامعة الإسلامية بغزة، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م).

٣. العمل التطوعي في ميزان الإسلام، تأليف: أحمد محمد عبد العظيم الجملة (٢٠٠٩م).

الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

الدراسات السابقة اهتمت بجزئيات متفرقة في الموضوع، ولم تتحدث عنه بالصورة التي رسمتها وهي الدراسة الموضوعية، أما هذه الدراسة فهدفت إلى تخصيص دراسة عن العمل التطوعي وتأصيله من خلال القرآن الكريم، وهذه الإضافة لم تتحدث عنها الدراسات السابقة، وأرجو أن أوفق إليها في هذه الدراسة.

خطة البحث:

تكونَّ البحث من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وفهارس وفق الترتيب الآتي:

المقدمة: فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، وهدفه، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

تمهيد: مفهوم العمل التطوعي.

المبحث الأول: أسلوب القرآن الكريم في الحث على العمل التطوعي.

المبحث الثاني: صفات العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أمثلة على العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم.

المبحث الرابع: نماذج من المتطوعين من خلال القرآن الكريم.

المبحث الخامس: ثمار العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس: وفيها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أسلك فيه المنهج الوصفي القائم على استقراء النصوص من خلال القرآن الكريم، وترجمتها بعناوين مناسبة للموضوع، ثم ترتيبها وتبويبها حسب ما تقتضيه صياغة الخطة العلمية للبحث.

١. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وخرَّجت الأحاديث وعزوتها إلى مصادرها مع بيان درجتها.

٢. وثَّقت النصوص التي أنقلها، توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصلية، ما أمكنني ذلك.

٣. عند الإحالة إلى صفحة النص المنقول فإن الإحالة تكون للصفحة التي فيها بدايته.

٤. المعول عليه في معرفة طبعات المصادر والمراجع هو الفهرس الخاص بذلك في آخر البحث، وقد التزمت طبعة واحدة لكل كتاب.

٥. ضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط، مما قد تُشكل قراءته، ويلتبس نطقه.

٦. ذيلت البحث بفهارس للمصادر والمراجع، والموضوعات.

وفي الختام أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون موافقاً للصواب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

مفهوم العمل التطوعي

العمل في اللغة:

عمل: العين والميم واللام أصلٌ واحدٌ صحيح، وهو عامٌّ في كلّ فِعْلٍ يُفْعَل[١] بقصد، فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما نسب إلى ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات إلا في قولهم: البقر العَوَاملُ[٢].

والعَمَل: المهْنة والفِعْل، والجمع أَعمال[٣].

والعَمَلَة: القوم يعملون بأيديهم ضُروباً من العمل[٤]، وأَعْمَلَ فلان ذِهْنَه في كذا وكذا إذا دَبَّره بفهمه، وأَعْمَل رَأْيَه وآلَتَه ولِسانَه واسْتَعْمَله: عَمِل به[٥]، والعَمَلُ يستعمل في الأَعْمَالِ الصالحة والسّيّئة[٦].

التطوع في اللغة:

طوع: الطاء والواو والعين: أصلٌ صحيحٌ واحد يدلُّ على الإصحابِ والانقيادِ[٧]، والطَّوْعُ نَقِيضُ الكَرْهِ؛ طاعَه يَطُوعُه وطاوَعَه، والاسم الطَّواعةُ والطَّواعِيةُ، ورجل طَيِّعٌ أَي: طائِعٌ، ورجل طائِعٌ وطاعٍ مقلوب، كلاهما مُطِيعٌ[٨].

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٤٥/٤).
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٨٧).
(٣) انظر: اللسان مادة (ع م ل) (٤٧٥/١١).
(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة (١٤٥/٤).
(٥) انظر: اللسان مادة (ع م ل) (٤٧٥/١١).
(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٨٧).
(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٣١/٣).
(٨) انظر: اللسان مادة (ط و ع) (٢٤٠/٨).

والتَّطَوُّعُ في الأصل: تكلُّفُ الطَّاعَةِ، وهو في التّعارف: التبرّع بما لا يلزم كالتنفُّل، قال تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [البقرة: ١٨٤][١]، ولا يقال هذا إلاَّ في باب الخير والبِرّ[٢]، والتَّطَوُّعُ: ما تَبرَّعَ به من ذات نفسه مما لا يلزمه فَرْضُه، كأَنهم جعلوا التَّفَعُّلَ هنا اسماً كالتَّنَوُّطِ[٣]، فالمتطوع طَوعَّ نفسه وليَّنَها فَفَعل من غير أن يُطَلَب منه؛ زيادة في الطاعة[٤]. وهذه التفسيرات لمعنى الفعل (تطوَّع) تتجه نحو تكلُّف الطاعة وإلزام النفس بها رغبة في فعلها، سواء كان ذلك بأمر داخلي، أو بطلب وتوجيه من الآخرين، وهذا ما يتوافق مع دلالة صيغة (تفعَّل). قال ابن الحاجب: «وتفعل لمطاوعة فَعَّل، نحو كَسّرته فتكسَّر، وللتكلُّف نحو تشجَّع، وتحلَّم...»، وعلّق الرضي على كلام ابن الحاجب بقوله: «فقوله: «وللتكلُّف» هو من القسم الأول: أي مطاوع فعَّل الذي هو للنسبة تقديراً، كأنه قيل: شجَّعته وحلَّمته: أي نسبته إلى الشجاعة والحلم، فتشجّع وتحلّم، أي: انتسب إليهما وتكلَّفهما»[٥].

العمل التطوعي اصطلاحاً:

بتتبع أقوال أهل العلم في التعريف اللغوي لمفردتي العمل والتطوع نجد أنه قد شمل ما يلي:

١. قصد العمل.
٢. معنوياً كعمل الذهن، والرأي، أو حسياً كالقول باللسان، والعمل في مهنة.
٣. بدون إكراه.
٤. بدون إلزام من الشرع.
٥. في باب من أبواب الخير والبِرّ.

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٥٢٩ - ٥٣٠).
(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٣١/٣).
(٣) انظر: اللسان مادة (ط و ع) (٢٤٠/٨).
(٤) انظر: المعجم الاشتقاقي مادة (ط و ع) (١٣٢٨).
(٥) شرح شافية ابن الحاجب (١٠٤/١).

وبالتالي يمكن تعريف العمل التطوعي اصطلاحاً بأنه:

التبرّع بعمل معنوي أو حسي، بدون إكراه ولا إلزام من الشرع، ابتغاءً للأجر والثواب من عند الله تعالى؛ كالبر، والمعروف، والصدقة، وحسن القول، وغير ذلك من أعمال البر.

وقد عُرِّف العمل التطوعي اصطلاحاً بعدة تعاريف منها:

١. الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه؛ بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية[١].

٢. كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان، أو يتركه، تطوعاً دون أن يكون ملزَماً به لا من جهة الشرع ولا من غيره؛ كالتطوع في كتابة العقود، وتغسيل الموتى، وإماطة الأذى عن الطريق، وإيناس المرضى، وإنقاذ الغرقى والهدمى والحرقى، وإعانة في مهم كموت وعرس وسفر[٢].

٣. الجهود التي يبذلها الإنسان لخدمة المجتمع دون الحصول على فوائد مادية؛ بدافع إنساني بتحمل مسؤولياته، ويشترك في أعمال تستغرق وقتاً وجهداً وتضحيات شخصية، ويبذل المتطوع كل ذلك عن رغبته وباختياره، معتقداً بأنه واجب يجب تأديته[٣].

٤. جملة الأنشطة المبذولة - من خلال مؤسسات العمل الخيري وأعضائها - في خدمة المحتاجين، والقضايا التي تمثل محور الاهتمام بالنسبة لتفعيل هذا العمل[٤].

---

(١) انظر: التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية (ص٢٩).
(٢) انظر: الأعمال التطوعية في الإسلام (ص١٢).
(٣) انظر: أولويات بحوث ودراسات العمل الخيري (ص٢٤).
(٤) انظر: أولويات بحوث ودراسات العمل الخيري (ص٢٤).

المبحث الأول
أسلوب القرآن الكريم في الحث على العمل التطوعي

من الأمور التي ينبغي الاعتناء بها إظهار عظمة الإسلام، وشموله لجميع مناحي الحياة، واهتمامه بمتطلبات الناس، وسدُّه لرغباتهم، ومن تلك الأمور ما جاء في القرآن الكريم من الترغيب والحث على العمل التطوعي؛ إذ جاء بعدة أساليب منها:

١. اعتبار العمل التطوعي إحساناً:

من إطلاقات الإحسان في القرآن الكريم الإنعام على الغير، غير أن الإحسان أعمّ من الإنعام[١]، فالإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أحسنت إلى نفسي، والإنعام: لا يكون إلا لغيره[٢]. وقد وصف الله تعالى المحسنين في سورة الذاريات بعدة صفات، تظهر مدى إحسانهم، وشدة رغبتهم فيما عند الله تعالى، وهذه الصفات التي وصفوا بها فيما بينهم وبين الله تعالى، وفيما بينهم وبين عباد الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٩].

فمن أبرز الصفات التي بينهم وبين عباد الله تعالى أنهم جعلوا في أموالهم نصيباً للسائل الذي يسأل فيعطى، ونصيباً للمحروم الذي يسكت ويستحيي فيحرم، يجعلون نصيب هذا وذاك حقاً مفروضاً في أموالهم، وهم متطوعون بفرض هذا الحق غير المحدود، وذكر الله تعالى لفظ ﴿حَقٌّ﴾؛ لأنهم من شدة رغبتهم في الثواب والقربى إلى الله تعالى ألزموا أنفسهم بذلك الإنفاق من غير إلزام من الله تعالى.

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٢٣٦).

(٢) انظر: اللسان مادة (ن ع م) (٥٧٩/١٢)، والفروق اللغوية (ص١٩٣).

قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، قال الشوكاني: «أي: يجعلون في أموالهم على أنفسهم حقاً للسائل والمحروم تقرّباً إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وقال محمد بن سيرين، وقتادة: الحق هنا: الزكاة المفروضة، والأوّل أولى، فيحمل على صدقة النفل، وصلة الرحم، وقِرى الضيف؛ لأن السورة مكية، والزكاة لم تُفرض إلاّ بالمدينة»(١)، وقال بهذا القول: ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، ومجاهد، وابن وهب وغيرهم(٢).

٢. اعتبار العمل التطوعي قرضاً حسناً:

القرض الحسن هو: العمل الصالح من الصدقة وغيرها، بشرط الاحتساب للأجر والصدق في العمل(٣)، والعرب تقول لكل مَنْ فعل فعلًا حسناً: قد أقرض، وسُمِّي قرضاً؛ لأن القرض أخرج لاسترداد البدل(٤)، وهذا على سبيل التأنيس والتقريب للناس بما يفهمونه والله هو الغني الحميد، وشبَّه تعالى عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبَّه بذل النفوس والأموال في الجنة بالبيع والشراء(٥).

وقد ذكر الله تعالى الفاعِلِين للقرض الحسن في كتابه الكريم ست مرات في خمس سور هي: البقرة، والمائدة، والحديد، والتغابن، والمزمل. بألفاظ مختلفة هي: ﴿يُقۡرِضُ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾، ﴿تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ﴾.

وجاء في الآيات الكريمة وَعْدُ الله تعالى كلَّ مَنْ يقرضه تعالى قرضاً حسناً بالمضاعفة، وتكفير السيئات، والأجر الكريم، ومغفرة الذنوب، وأن ما يقدمه الإنسان في هذه الدنيا من القرض الحسن سيجد أجره وثوابه عند الله تعالى أحوج

(١) انظر: تفسير الشوكاني (٨٤/٥).
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٣١١/١٠)، وتفسير زاد المسير (٣٢/٨)، وتفسير البحر المحيط (١٩٤/٨)، وتفسير الآلوسي (١٤/٢٧ - ١٥).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢٥٢/١٧).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٢٤٢/١٧).
(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٤٠٢/٢).

ما يكون إليه، كما قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المائدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

٣. اعتبار العمل التطوعي صدقة:

الصَّدَقَةُ: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال: للمتطوّع به، والزّكاة للواجب، ويقال لما تجافى عنه الإنسان من حقّه: تَصَدَّقَ به، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ [المائدة: ٤٥]، أي: من تجافى عنه، وكذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فإنه أجرى ما يسامح به المعسر مُجرى الصّدقة، وجعله الله صدقة لأن فيه تفريج الكرب وإغاثة الملهوف[١].

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]، فسمّى إعفاءه صَدَقَةً[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨] فإن إخوة يوسف طلبوا منه بعد أن أخبروه بالبضاعة التي معهم أن يوفي لهم الكيل، أي: يجعله تاماً لا نقص فيه، وطلبوا منه أن يتصدّق عليهم فقالوا: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا

(١) انظر: تفسير ابن عاشور (٩٦/٢).
(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٨٠ - ٤٨١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨] وذلك يكون إما بزيادة يزيدها لهم على ما يقابل بضاعتهم، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاؤوا بها، وأن يجعلها كالبضاعة الجيدة في إيفاء الكيل لهم بها، وبهذا قال أكثر المفسرين(١).

قال ابن العربي: «معنى تَصَدَّقْ: سامح، لا أَصْلُ الصَّدقة»(٢)، فسَمَّوا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة(٣).

وقد جعلها الله من صفات عباده المتقين فقال تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأجاز تعالى المناجاة فيها وبسببها، فقال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١١٤]، ووعد تعالى المتصدقين بالمضاعفة، والأجر الكريم، وبقبولها، وتنميتها لصاحبها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

٤. اعتبار العمل التطوعي براً:

البِرّ: التوسع في فعل الخير، وهو: اسم جامع للخير(٤)، وإذا نسب ذلك إلى العبد؛ فيقال: بَرَّ العبدُ ربَّه، أي: توسّع في طاعته، وذلك ضربان: ضرب في الاعتقاد، وضرب

(١) انظر: تفسير الشوكاني (٣/٥٠).
(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١١٠٦).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٥/٤٣٨)، وتفسير السعدي (٢/٤٤٥).
(٤) انظر: تفسير الشوكاني (١/١٧٢).

في الأعمال، وقد اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ فإنّ الآية متضمنة للاعتقاد وأعمال الفرائض والنوافل(١).

وقد رغَّب الله تعالى في فعل البِرّ في الكتاب العزيز ثمان مرات، في أربع سور هي: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والمجادلة، وجاء الترغيب في أساليب متنوعة؛ فبين تعالى أن البِرّ من صفات المتقين، فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وأنه لن ينال العبد درجة البِرّ حتى ينفق مما يحب، فقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وأمر تعالى عباده المؤمنين بالتعاون عليه فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٢]؛ ففي هذه الآية يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البِرّ، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم(٢)، ونهى تعالى عن التناجي بضد البر، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المجادلة: ٩].

ووبخ الله تعالى أقواماً على عدم فعلهم للبر، فقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، والهمزة في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين، وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبِرّ؛ فإنه فعل حسن مندوب إليه، بل بسبب ترك فعل البِرّ المستفاد من قوله: ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾،

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص١١٤).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/٢).

مع التطهر بتزكية النفس، والقيام في مقام دعاة الخلق إلى الحق إيهاماً للناس، وتلبيساً عليهم، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ جملة حالية مشتملة على أعظم تقريع، وأشد توبيخ، وأبلغ تبكيت، أي: كيف تتركون البِرّ الذي تأمرون الناس به؟ وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل، وشدّة الوعيد عليه، كما ترونه في الكتاب الذي تتلونه، وهذه الأوامر والنواهي، وإن كانت خاصة في الصورة ببني إسرائيل فإنهم هم المخاطبون بها هي عامة في المعنى[1]؛ فيجب على كل مكلف ذِكْرُ نعمة الله، والإيفاء بالعهد وسائر التكاليف المذكورة بعد هذا[2]، ونبه تعالى بقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ على أن هذه حالة من سلب العقل، إذ العاقل ساع في تحصيل ما فيه نجاته وخلاصه أولاً، ثم يسعى بعد ذلك في خلاص غيره.[3]

وجمع البارّ: أَبْرَار وبَرَرَة، لكن بَرَرَةٌ خصّ بها الملائكة في القرآن من حيث إنه أبلغ من أبرار، فإنه جمع برّ، وأبرار جمع بار، وبَرٌّ أبلغ من بَارٍّ[4].

وجاء ذكر الأبرار في الكتاب العزيز ست مرات في أربع سور هي: آل عمران، والإنسان، والانفطار، والمطففين في أساليب متنوعة؛ ففي سورة آل عمران بين تعالى أن من دعاء أولي الألباب قولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]، وفي سور آل عمران، والإنسان، والانفطار، والمطففين بين أن من جزائهم: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣]، و[المطففين: ٢٢] ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

(١) وشاملة لكل مخاطب.

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٢٦٣/١).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٢٦٧/١).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص١١٤ - ١١٥).

٥. اعتبار العمل التطوعي خيراً:

قال ابن فارس: «خير: الخاء والياء والراء أصله العَطْف والمَيْل، ثمَّ يحمل عليه، فالخَير: خِلافُ الشّرّ؛ لأنَّ كلَّ أحدٍ يَميلُ إليه ويَعطِف على صاحبه»(١).

وقد رغَّب الله تعالى عباده في فعل الخير عموماً في آيات كثيرة منها:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] ففي هذه الآية ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع؛ كصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق، وسائر وجوه البر، وأبواب المعروف(٢)، ويظهر في هذا الترتيب أنهم أمروا أولًا: بالصلاة، وهي نوع من العبادة، وثانياً: بالعبادة، وهي نوع من فعل الخير، وثالثاً: بفعل الخير، وهو أعم من العبادة؛ فبدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم(٣).

ومعنى الفلاح في هذه الآية: نيل البغية، وبلوغ الأمل؛ والمعنى: لكي تسعدوا، وتفوزوا بالجنة(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قال الحسن وغيره: «أراد سائر الأعمال، يعني فعل غير المفترض عليه من زكاة، وصلاة، وطواف، وغيرها من أنواع الطاعات»(٥)، وجاء بهذا التذييل في نهاية الآية التي تتحدث عن أعمال الحج لقصد الإتيان بحكم كليٍّ في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل، أو نوافل فقط، فليس المقصود من ﴿خَيۡرٗا﴾ خصوص السعي؛ لأن ﴿خَيۡرٗا﴾ نكرة في سياق

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٣٢/٢).
(٢) انظر: تفسير السمعاني (٤٥٧/٣)، وتفسير القرطبي (٩٨/١٢)، وتفسير زاد المسير (٤٥٤/٥).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٤٧٤/٦).
(٤) انظر: تفسير الخازن (٢٦٥/٣).
(٥) تفسير البغوي (١٩٣/١)، وتفسير السمعاني (١٦٠/١).

الشرط فهي عامة؛ ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء؛ لئلا يكون الخير قاصراً على الطواف بين الصفا والمروة[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: مجازٍ لعبده بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته، والشكر من الله تعالى أن يعطي لعبده فوق ما يستحق، يشكر اليسير ويعطي الكثير[2]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧]، وعلمه هنا هو علمه بقدر الجزاء الذي للعبد على فعل الطاعة، أو بنيته وإخلاصه في العمل، وقد وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن؛ لأن التطوّع بالخير يتضمن الفعل والقصد، فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل، وذكر العلم باعتبار القصد[3]، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]، وفي هذا دليل على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه[4]؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]. وقد امتثل المؤمنون أمر الله تعالى لهم بالمسابقة في الخيرات في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، و[المائدة: ٤٨] فسارعوا إليها طلباً للأجر والثواب، فكان من صفاتهم كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

---

(١) انظر: تفسير ابن عاشور (٦٤/٢).
(٢) انظر: تفسير البغوي (١٩٣/١)، وتفسير البحر المحيط (٦٥٣/١).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٦٥٣/١).
(٤) انظر: تفسير السعدي (١٣٧/١).

وظاهر قول الله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾ [البقرة: ١٨٤] العموم في كل تطوع بخير، وإن كانت وردت في أمر الفدية في الصوم، والله تعالى أعلم(١).

٦. إعطاء الغارم في إصلاح ذات البين من الزكاة:

جعل الله تعالى لمن قام بالإصلاح بين الناس حظاً في الزكاة وإن كان غنياً؛ ليستعين بما يعطى منها على هذا العمل الجليل، وفي هذا حث من الله تعالى لعباده على الأعمال التطوعية.

والزكاة لها مكانتها في شريعة الله، فهي ركن من أركان الإسلام ومبانيه العظام.

وقد تولى الله تعالى تقسيم الزكاة وجعلها في أصناف محددة، ومن تلك الأصناف الغارمين، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأصل الغُرم ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه، أو خيانة(٢)، والمراد بالغارمين هنا المَدِينون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجُعل له نصيب من الزكاة؛ ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً، وهو قول الشافعي وأصحابه، وأحمد بن حنبل وغيرهم.

الثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُوَفِّي به دينه(٣).

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٦٣/٢).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم (ص٦٠٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣٦١/٢)، وتفسير القرطبي (١٨٤/٨)، وتفسير البحر المحيط (٧٥/٥)، وتفسير ابن كثير

وعَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبِيصَةُ: إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلاَثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ، لَقَدْ أَصَابَتْ فُلاَناً فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَاماً مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ: سِدَاداً مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتاً يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً»(١). قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً» هي: بفتح الحاء، وهي المال الذي يتحمله الإنسان أي يستدينه، ويدفعه في إصلاح ذات البين، كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك، وإنما تحل له المسألة ويعطى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية»(٢).

وقال ابن قدامة: «من الغارمين صنف يعطون مع الغنى، وهو غرم لإصلاح ذات البين، وهو أن يقع بين الحيين وأهل القريتين عداوة وضغائن، يتلف فيها نفس أو مال، ويتوقف صلحهم على من يتحمل ذلك، فيسعى إنسان في الإصلاح بينهم، ويتحمل الدماء التي بينهم والأموال، فيسمى ذلك حمالة - بفتح الحاء - وكانت العرب تعرف ذلك، وكان الرجل منهم يتحمل الحمالة، ثم يخرج في القبائل فيسأل حتى يؤديها، فورد الشرع بإباحة المسألة فيها، وجعل لهم نصيباً من الصدقة، والفرق بين هذا الغرم والغرم لمصلحة نفسه، أن هذا الغرم يؤخذ لحاجتنا إليه لإطفاء الثائرة، وإخماد الفتنة، فجاز له الأخذ مع الغنى، كالغازي والمؤلف والعامل. وقال النووي: هذا هو المذهب»(٣).

(٣٧٩/٢ - ٣٨٠)، وتفسير السعدي (٢٧٠/٢).

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: من تحل له المسألة (٧٢٢/١) رقم (١٠٤٤).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٣٤/٧).

(٣) المغني (٣٢٨/١٤)، والمجموع شرح المهذب (٢٠٧/٦).

٧. التحذير من التثبيط عن فعل التطوع:

حذر الله تعالى في كتابه الكريم المؤمنين من التخلق بصفات المنافقين، ومن صفات المنافقين أنهم لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد المتصدقين بمال جزيل قالوا: هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا[١]؛ ففي سبب نزول قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، قال أَبو مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا نَتَحَامَلُ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إِلاَّ رِئَاءً، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ الآية [التوبة: ٧٩][٢].

وعطف ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ على ﴿ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ وهم منهم، اهتماماً بشأنهم، والجهد - بضم الجيم - الطاقة، وأطلقت الطاقة على مسببها الناشئ عنها، وحذف مفعول ﴿يَجِدُونَ﴾ لظهوره من قوله: ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: لا يجدون ما يتصدقون به ﴿إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾، والمراد لا يجدون سبيلاً إلى إيجاد ما يتصدقون به إلا طاقتهم؛ أي: جهد أبدانهم، أو يكون (وجد) هنا هو الذي بمعنى كان ذا جِدة، أي غنى فلا يقدر له مفعول، أي: الذين لا مال لهم إلا جهدهم، وهذا أحسن، وفيه ثناء على قوة البدن والعمل وأنها تقوم مقام المال، وهذا أصل عظيم في اعتبار أصول الثروة العامة والتنويه بشأن العامل[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٨٩/٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (٨٤/٦) رقم (٤٦٦٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الحمل بأجرة يتصدق بها والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل (٨٨/٣) رقم (١٠١٨).

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (٢٧٥/١٠).

وقرأ: (جَهْدَهُمْ) بالفتح وهو إحدى لغتين في الجهد، فمعنى المضموم والمفتوح واحد، وقيل: المفتوح بمعنى المشقة، والمضموم بمعنى الطاقة، وقيل: المضموم شيء قليل يُعاش به، والمفتوح العمل(١).

وفي قول المنافقين من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بيِّن، ولهذا كان جزاؤهم أن ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢)، والتنوين في العذاب للتهويل والتفخيم(٣).

وبهذا تظهر عظمة الإسلام في دعوة أتباعه إلى فعل الخير سواء كان بالمال، أو بالجهد، أو بكف الأذى والشر عن الباذلين للخير؛ فلا يكون سبباً في منع غيره عن الخير، والبر، والإحسان، فعن أَبِي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ»، أَوْ قَالَ: «بِالْمَعْرُوفِ»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»(٤)؛ فكل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به(٥)، ومن أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير؛ فالذي ينبغي إعانته وتنشيطه على عمله(٦)، ومن أقبح القبيح استخفاف الدنيء الأرذل بالأكرم الأفضل، واستهزاؤه به(٧).

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٤٧/١)، وإعراب القراءات الشواذ (٦٢٧/٢)، وتفسير البحر المحيط (٩٨/٥).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٢٨٢/٢).

(٣) انظر: تفسير الآلوسي (٤٦٩/١٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: كل معروف صدقة (٧٩/٧) برقم (٥٥٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٩/١) برقم (١٠٠٨).

(٥) انظر: تفسير الخازن (٣٨٩/٢).

(٦) انظر: تفسير السعدي (٢٨٢/٢).

(٧) انظر: تفسير أضواء البيان (٦٢٩/٧).

٨. التحذير من الاتصاف بصفات المكذبين بيوم الدين:

إن حقيقة التصديق بيوم الدين ليست كلمة تقال باللسان؛ إنما هي تَحَوُّلٌ في القلب يدفعه إلى بذل الخير والبر لإخوانه المسلمين، المحتاجين لمعروفه، والله لا يريد من الناس كلمات، إنما يريد منهم معها أعمالاً تصدقها، وقد بين الله تعالى أن من أظهر سمات المكذب بيوم الدين؛ أنه مانع لإعارة الشيء الذي تعارف الناس على إعارته، فضلاً عن إخراج الزكاة من ماله؛ لذا ينبغي للمؤمن المصدق بيوم الدين أن يبتعد عن تلك الخصلة الذميمة.

قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]. قال ابن جرير: «أصل الماعون من كل شيء منفعته»(١). وقال ابن العربي: «الماعون: مفعول من أعان يعين، والعون هو الإمداد بالقوة والآلة والأسباب الميسرة للأمر»(٢).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا نَعُدُ الماعونَ على عَهْدِ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عارِيَّةَ الدلْوِ والقِدْرِ»(٣).

وقال عكرمة: «رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو والإبرة»(٤).

قال ابن كثير: «وهذا الذي قاله عكرمة حسن، فإنه يشمل الأقوال كلها، وترجع كلها إلى شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة، ولهذا قال محمد بن كعب: «﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] قال: المعروف»، ولهذا جاء في الحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»(٥).

---

(١) تفسير ابن جرير (٦٦٦/٢٤).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١٩٨٤/٤).

(٣) رواه أبو داود في سننه، في كتاب: الزكاة، باب: في حقوق المال (٣٠٢/٢) برقم (١٦٥٧)، وصحح إسناده إلى ابن مسعود ابن حجر في فتح الباري (٦٠٣/٨).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٦٩/١٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: كل معروف صدقة (٧٩/٧) برقم (٥٥٦٢)، ومسلم في

وقال ابن جرير: «وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل، وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم، وأنهم يمنعونه الناس، خبراً عاماً، من غير أن يخص من ذلك شيئاً، أن يقال: إن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم، ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق؛ لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض»(١).

ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة، فإن البخل بها في نهاية البخل.

قال العلماء: ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم ويتفضل عليهم، ولا يقتصر على الواجب(٢).

ومنع الماعون من طبيعة الإنسان إلا المصلين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢](٣)؛ فمانعو الماعون لم يحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه، حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم؛ فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القُربات أولى وأولى(٤).

صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٧/١) برقم (١٠٠٥). وانظر: تفسير ابن كثير (٥٩٤/٤).

(١) تفسير ابن جرير (٦٧٨/٢٤).

(٢) انظر: تفسير الخازن (٤٧٩/٤).

(٣) انظر: تفسير أضواء البيان (٥٤٧/٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥٩٤/٤).

والعارية مستحبة شرعاً ومروءة وعرفاً في حالة الاختيار، وواجبة في حالة الاضطرار، مع ملاحظة أن حالات الاستعارة أغلبها اضطرار، إلا أن حالات الاضطرار تتفاوت ظروفها، وقد امتدح الله الأنصار بأنهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فالعارية من باب أولى؛ لأنه ينتفع بها وترد لصاحبها[١].

(١) انظر: تفسير أضواء البيان (٥٥٧/٩)، وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٩٨٥/٤)، وتفسير الآلوسي (٦٥٧/٣٠)، وتفسير السعدي (٤٤٢/٥).

المبحث الثاني
صفات العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم

للعمل التطوعي صفات ينبغي الاعتناء والقيام بها؛ ذلك لأن العمل التطوعي مثل سائر الأعمال، إلا أنه يفضل عليها بأن صاحبه لا يأخذ مقابلاً مادياً على عمله، وربما أن بعض المتطوعين يجهل تلك الصفات، أو يغفل عنها، وهي صفات عدة قد جاء ذكرها في القرآن الكريم؛ فمن تلك الصفات:

أولاً: إخلاص العامل في عمله:

هذه صفة مهمة يجب ألَّا يغفل عنه من يعمل في العمل التطوعي، فالله تعالى قال بعد أن ذكر جملة من الأمور التي يتطوع بفعلها: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، ومعنى الآية: أن الله تعالى وعد من فعل تلك الأمور بشرط أن يكون الباعث للفاعل هو ابتغاء مرضاة الله، فلا يكون لهوى، ولا يكون ليشتهر بين الناس بأنه يعمل الأعمال الصالحة، ولا تكون هناك أي شائبة في نية العامل وقصده في ذلك العمل؛ كما في حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١)، ثم إن الله تعالى وصف الأجر بالعظم تنبيهاً على حقارة ما فات في جنبه من أعراض الدنيا، وهذا الأجر لا حد له لأن الله سمَّاه عظيماً وإذا كان كذلك فلا يعلم قدره إلا الله(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي (٢/١) برقم (١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٥١٥/٣) برقم (١٩٠٧).

(٢) انظر: تفسير الخازن (٤٢٧/١)، وتفسير البيضاوي (٢٥٢/٢).

ثانياً: اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التطوع بالخير:

من صفات العمل الخيري أن يكون موافقاً لهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يتطوع العبد بما لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال الإمام ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٥٨] «دل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل»(١).

ثالثاً: إتقان العمل:

من الصفات المهمة التي ينبغي لمن قام بعمل تطوعي أن يهتم بها: إتقان العمل الذي أسند إليه، فالله تعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يتقن العمل ويأمر بإتقانه؛ فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ»(٢). وعن سيرين القبطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: رَأَى رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُرْجَةً فِي اللَّبِنِ، فَأَمَرَ أَنْ تُسَدَّ، وَقَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَحَبَّ اللهُ أَنْ يُتْقِنَهُ»(٣)، وعن أبي كُلَيْبٍ أَنَّهُ شَهِدَ مَعَ أَبِيهِ جَنَازَةً شَهِدَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْتَهَى بِالْجَنَازَةِ إِلَى الْقَبْرِ وَلَمْ يُمْكِنْ لَهَا، قَالَ: فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «سَوُّوا لَحْدَ هَذَا» حَتَّى ظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ سُنَّةٌ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّ هَذَا لا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ وَلَا يَضُرُّهُ، وَلَكِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنَ الْعَامِلِ إِذَا عَمِلَ أَنْ يُحْسِنَ»(٤).

(١) انظر: تفسير السعدي (١/١٣٧ - ١٣٨).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (٧/٣٤٩) برقم (٤٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (١/٢٧٥) برقم (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٣٢ - ٢٣٣) بأرقام (٤٩٢٩، ٤٩٣٠، ٤٩٣١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٤٤) برقم (١٨٧٦).

(٣) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٣٦٧) برقم (٧٧٠٠)، ويؤيد هذا الأثر ما جاء قبله وما جاء بعده.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/٢٣٤) برقم (٤٩٣٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٤٧) برقم (١٨٨٧).

رابعاً: معرفة حكم العمل التطوعي:

من الصفات التي ينبغي للقائم بالعمل التطوعي أن يعرفها معرفة حكمه؛ فالعمل التطوعي في أصله فرض كفاية، ولكنه يصل أحياناً إلى حد كونه فريضة يلزم بها من تعينت عليه.

والكفاية لغة: مِنْ كَفَى يَكْفِي كِفايةً إذا قام بالأَمر، ويقال: اسْتَكْفَيْته أَمْراً فكَفانِيه، ويقال: كَفاك هذا الأَمرُ أَي: حَسْبُك وكَفاكَ هذا الشيء، ومن معانيها: ما يحصل به الاستغناء عن غيره، يقال: كَفاه الأَمرَ إذا قام فيه مَقامه(١).

وفرض الكفاية هو: أمر مهم كلي تتعلق به مصالح دينية ودنيوية، لا ينتظم الأمر إلا بحصولها، وقصد الشارع حصولها من مجموع المكلفين لا من جميعهم، وليس من شخص معين، فإذا قام به مَنْ فيه كفاية سقط الحرج عن الباقين(٢).

وفرض الكفاية إذا انحصر في شخص تعين عليه(٣).

خامساً وسادساً: القوة والأمانة:

من الصفات التي ينبغي أن تكون فيمن يعمل في الأعمال التطوعية: القوة في تحمل ما كلف به، والقيام به حق القيام، وحفظ الأمانة التي كلف بحفظها. قال الله تعالى مبيناً سبب قول ابنة صاحب مَدْيَنَ لأبيها في استئجار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ للعمل لديهم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]

(١) انظر: اللسان مادة (ك ف ى) (١٥/٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) انظر: الفروق للصنهاجي القرافي (١/٢١٤)، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١/٢٣٦)، والأشباه والنظائر للسيوطي (ص٤١٠)، وروضة الناظر لابن قدامة (ص٢٠٧ - ٢٠٨)، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (١/١١١)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٥/٦ - ٧).

(٣) انظر: منهاج الطالبين وعمدة المفتين (ص٥٤)، والموسوعة الفقهية الكويتية (٣٨/٢٥٠).

وقولها كلام حكيم جامع؛ لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القائم بأمر، فقد تم المقصود[١]، ومعنى الآية: أن خير مَنْ استعملت مَنْ قوي على العمل وأدَّى الأمانة[٢]، ويقال: القوي فيما يلي، والأمين فيما يستودع[٣]، وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارهما في كل من يتولى عملاً بإجارة أو غيرها، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد إحداهما، وأما باجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل، وإنما قالت ذلك؛ لأنها شاهدت من قوة موسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند السقي لهما ونشاطه ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما، وإنما قصده بذلك وجه الله تعالى[٤].

سابعاً وثامناً: الحفظ والعلم:

من الصفات التي ينبغي أن تكون في المتطوعين الحفظ والعلم، الحفظ بمفهومه العام فيشمل حفظ ما ائتمن عليه، وضبط الداخل والخارج، والمتطوعُ عليم بجميع وجوه التصرف فيما يتولاه، عليم بكيفية التدبير والمنع والإعطاء، عليم بالأشخاص وكيفية التعامل معهم، عليم بالألسن، واسع الثقافة، وغير ذلك من وجوه العلم[٥]. قال الله تعالى ذاكراً قول يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، قال ابن عاشور: «علم أنه اتصف بصفتين يعسر حصول إحداهما في الناس بله كلتيهما، وهما: الحفظ لما يليه، والعلم بتدبير ما يتولاه، وفي هذا تعريف بفضله ليهتدي الناس إلى اتباعه، وهذا من قبيل الحسبة»[٦].

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (١٤٩/٧).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٥٣٠/٣).
(٣) انظر: تفسير السمعاني (١٣٤/٤).
(٤) انظر: تفسير السعدي (١٥/٤).
(٥) انظر: تفسير السعدي (٤٣٥/٢).
(٦) تفسير ابن عاشور (٩/١٣).

تاسعاً: الاتصاف بالصلاح في التعامل:

من الصفات التي ينبغي للعاملين في الأعمال التطوعية الاتصاف بها: الصلاح فيما بينهم وبين الله تعالى، ومكارم الأخلاق فيما بينهم وبين عباد الله؛ ومن تلك الصفات حسن التوكل على الله تعالى، وحسن الصحبة، والوفاء بالوعد، والالتزام بالأنظمة والقرارت، وعدم الإيذاء، وعدم المشاقة، وعدم الجدل، وغيرها من الصفات، قال الله تعالى ذاكراً ما قاله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لصاحب مدين بعد أن تم الاتفاق بينهما: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧] يعني: في حسن الصحبة والوفاء، وقيل: أراد الصلاح على العموم، فلا يشاقه، ولا يؤذيه، ولا يماريه[1]، فرغبه في سهولة العمل، وفي حسن المعاملة، وهذا يدل على أن الرجل الصالح ينبغي له أن يحسن خلقه مهما أمكنه، وأن الذي يطلب منه أبلغ من غيره، وقول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد صادق مقرون بالمشيئة في حسن المعاملة، ووطاءة الخلق، ويريد بالصالحين الصالحين بالناس في حسن المعاملة ولين الجانب، وقصد بذلك تعريف خلقه لصاحبه، وليس هذا من تزكية النفس المنهي عنه؛ لأن المنهي عنه ما قصد به قائله الفخر والتمدح، فأما ما كان لغرض الدين أو المعاملة فذلك حاصل لداعٍ حسن كما قال يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥][2].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٧/٣)، وتفسير الشوكاني (١٦٩/٤).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (١٥٠/٧)، وتفسير السعدي (١٥/٤)، وتفسير ابن عاشور (١٠٩/٢٠).

المبحث الثالث

أمثلة على العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم

ذكر الله تعالى أمثلة كثيرة للأعمال التطوعية في كتابه الكريم، بها يتقرب العبد لربه، ويحسن بها إلى عباد الله تعالى؛ فمن تلك الأعمال:

الأول: عمارة المساجد:

عمارة المساجد من أجل العبادات وأفضل القربات، وبين الله تعالى في كتابه الكريم هذا الأمر في عدد من الآيات، فمن تلك الآيات ما بين به سبحانه جملة من صفات عباده الذين منّ عليهم بالهداية، ومن تلك الصفات أنهم يعمرون مساجد الله، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

وفي المراد بعمارة مساجد الله تعالى قولان:

الأول: عمارة معنوية؛ كالصلاة فيها، وذكر الله تعالى، وطلب العلم، وصونها عما لم تُبْنَ له من الخوض في الدنيا، وغير ذلك.

الثاني: عمارة حسية؛ كبنائها، وإصلاحها، وترميمها، وتطيبها، وكنسها، وفرشها، وتنويرها، وتعظيمها، وغير ذلك[١].

ودلت الآية على أن الشهادة لعُمَّار المساجد بالإيمان والصلاة صحيحة؛ لأن الله ربطها بها، وأخبر عنها بملازمتها[٢]، كما دلت الآية على الاهتداء الكامل لمن يقوم بذلك العمل إذ (عسى) من الله واجبة[٣].

---

(١) انظر: تفسير زاد المسير (٤٠٨/٣)، وتفسير البحر المحيط (٢٥/٥)، وتفسير البيضاوي (١٣٦/٣).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٩٠٦/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (١٩٨/٢).

ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] والمعنى: طهراه من الشرك والريب، وابنياه خالصاً لله، معقلاً للطائفين، والعاكفين، والركع السجود[١]، ودخل في الآية بالمعنى جميع بيوته تعالى، فيكون حكمها حكمه في التطهير والنظافة؛ وإنما خص الكعبة بالذكر لأنه لم يكن هناك غيرها، أو لكونها أعظم حرمة، والأول أظهر، والله أعلم[٢].

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، فتقديم المجرور للاهتمام بتلك البيوت، وللتشويق إلى متعلق المجرور؛ وهو التسبيح وأصحابه، والتقدير: يسبح لله رجال في بيوت، ويكون قوله: ﴿فِيهَا﴾ تأكيداً لقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ لزيادة الاهتمام بها؛ وفي ذلك تنويه بالمساجد، وإيقاع الصلاة والذكر فيها[٣]، وأرجح الأقوال في معنى البيوت أنها المساجد؛ وهو قول الجمهور[٤]، و﴿أَذِنَ﴾ معناه: أمر وقضى، وحقيقة الإذن العلم والتمكين دون حظر، فإن اقترن بذلك أمرٌ وإنفاذ كان أقوى[٥].

وفي معنى قوله: ﴿تُرْفَعَ﴾ أقوال:

الأول: تبنى، كما قال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ قاله مجاهد.

الثاني: تطهر من الأنجاس والأقذار، كقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج: ٢٦].

الثالث: أن تعظم؛ قاله الحسن[٦]، قال ابن العربي: «من قال: إنها ترفع فالرفع حساً كالبناء، وحكماً كالتطهير والتنظيف، وكما تطهر عن ذلك فإنها مطهرة عن اللغو والرفث»[٧].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٧٨).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٤/١٤٤).
(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (١٨/٢٤٨).
(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٨٩)، وتفسير القرطبي (٤/٢٦٦)، وتفسير زاد المسير (٦/٤٦).
(٥) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢٦٦).
(٦) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٨٩ - ١٣٩٠)، وتفسير زاد المسير (٦/٤٦ - ٤٧).
(٧) أحكام القرآن لابن العربي (٣/١٣٩٠).

والمعنى: أن الله تعالى أمر ببنائها ورفعها، وأمر بعمارتها وتطهيرها من الدنس، والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها، كما أمر سبحانه بتنظيفها من النجاسة والأذى، وصونها من المجانين والصبيان الذين لا يتحرزون عن النجاسة، وعن الكافر، وأن تصان عن اللغو فيها، ورفع الأصوات بغير ذكر الله(١).

وقوله: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتهليل، وغيره من أنواع الذكر، وتعلم العلم وتعليمه، والمذاكرة فيها، والاعتكاف، وغير ذلك من العبادات التي تفعل في المساجد، ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان، وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله، من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين(٢).

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة تحض على بنيان المساجد، منها ما جاء عن أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ بَنَى مَسْجِداً»، قَالَ بُكَيْرٌ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»، وفي رواية قال: «بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»(٣). وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «أَمَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ وَتُطَيَّبَ»(٤). وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: «أَكِنَّ النَّاسَ مِنَ الْمَطَرِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ»(٥). وعن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلاً نَشَدَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الأَحْمَرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ وَجَدْتَ، إِنَّمَا بُنِيَتِ الْمَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ»(٦).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٣/٣)، وتفسير السعدي (٣٧٤/٣).

(٢) انظر: تفسير السعدي (٣٧٤/٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: من بنى مسجداً (١١٦/١) برقم (٤٥٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد، باب: فضل بناء المساجد والحث عليها (٣٧٨/١) برقم (٥٣٣).

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: اتخاذ المساجد في الدور (٣١٤/١) برقم (٤٥٥)، والترمذي في سننه كتاب: الجمعة، باب: ما ذكر في تطييب المساجد (٤٨٩/٢) برقم (٥٩٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب: المساجد والجماعات، باب: تطهير المساجد وتطييبها (٢٥٠/١) برقم (٧٥٩)، والإمام أحمد في المسند (٢٧٩/٦) برقم (٢٦٤٢٩)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: بنيان المسجد (١١٥/١).

(٦) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن نشد الضالة في المسجد وما يقوله من سمع الناشد (٣٩٧/١) برقم (٥٦٩).

ولما بين تعالى أنه لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤] بين بالمقابل أنه لا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨][1].

الثاني: إطعام الطعام:

من أفضل أنواع البر والإحسان إطعام الطعام، إذ من جملة ما مدح الله تعالى به عباده الأبرار ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

فقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ تنبيه على المواساة؛ ومن أفضل المواساة وَضْعُها في هذه الأصناف الثلاثة الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الآية[2].

وذكر الطعام مع أن الإطعام يغني عنه؛ لأن أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام[3]، ولأن الطعام كالعلم فيما فيه قوام البدن، واستقامة البنية، وبقاء النفس؛ ففي التصريح به تأكيد لفخامة فعلهم على الآخرين[4]. والظاهر أن المراد بإطعام الطعام حقيقته، وقيل: هو كناية عن الإحسان إلى المحتاجين، والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه فكأنهم ينفعون بوجوه المنافع[5].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٩٧/١).
(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٨٩٨/٤).
(٣) انظر: تفسير الخازن (٣٧٨/٤).
(٤) انظر: تفسير الآلوسي (٢٤٠/٢٩).
(٥) انظر: تفسير الآلوسي (٢٤٠/٢٩).

وقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام، وقلته، وشهوتهم له، وحاجتهم إليه، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم[١]، إذ المحبة ميل النفس وتعلقها التعلق التام بالمحبوب، فيكون إخراجه على النفس أشق وأصعب من إخراج ما لا تتعلق به النفس ذلك التعلق[٢].

والطعام لا يكون صاحب الحب، وإنما الإنسان هو صاحب الحب، ولكن أضافه إلى الطعام لاتصال الحب منه[٣]. وقيل: على حب الله [٤]عَزَّوَجَلَّ، والأول أمدح؛ لأن فيه الإيثار على النفس، وأما الثاني فقد يفعله الأغنياء أكثر[٥].

والأبرار يتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم[٦]، وهم المذكورون في الآية، ﴿مِسْكِينًا﴾ أي: ذا مسكنة، عن ابن عباس قال: «هو الطواف يسألك مالك». ﴿وَيَتِيمًا﴾ أي: من يتامى المسلمين، وإنما أكد باليتيم؛ لأنه مسكين مضعوف بالوحدة وعدم الكافل مع عجز الصغر[٧]، ﴿وَأَسِيرًا﴾ أي: الذي يؤسر فيحبس، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقتادة، وسعيد بن جبير: «الأسير من أهل الشرك يكون في أيديهم». وقال قتادة: «لقد أمر الله بالأسرى أن يحسن إليهم، وأن أسراهم يومئذ لأهل الشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه». وقال مجاهد، وسعيد بن جبير أيضاً، وعطاء: «هو المسلم يحبس بحق؛ فإن الحق قد حبسه عن التصرف وأسره فيما وجب عليه، فقد صار له على الفقير المطلق حق زائد بما هو عليه من المنع عن التمحل في المعاش، أو التصرف في الطلب». وقال عكرمة: «الأسير: العبد». وقال أبو حمزة الثمالي: «الأسير: المرأة»[٨].

---

(١) انظر: تفسير السعدي (٣٣٩/٥).
(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٨٣١/٢).
(٣) انظر: تفسير السمعاني (١٩٥/٤).
(٤) انظر: تفسير البغوي (١٩١/٥).
(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٥٥٢/٨).
(٦) انظر: تفسير السعدي (٣٣٩/٥).
(٧) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٨٩٨/٤).
(٨) انظر: تفسير القرطبي (١٢٩/٢٩).

وإطعام المسكين واليتيم على التطوّع، والآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير، فإن في إطعام الأسير ثواباً عظيماً، وإن كان كافراً فإن الله يرزقه، وحفظاً لنفس الأسير من التلف إلى أن يتخير فيه الإمام، وهذا محمول على صدقة التطوع، فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفَّار(١).

وجملة ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] في محل نصب على الحال بتقدير القول، أي يقولون: إنما نطعمكم، أو قائلين: إنما نطعمكم، يعني: أنهم لا يتوقعون المكافأة، ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك(٢). قال مجاهد: «لم يتكلموا بهذا، ولكن علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم»(٣)، وعلم من ثنائه أنهم فعلوا ذلك خوفاً من الله ورجاء ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] أي: لا نطلب منكم المجازاة على هذا الإطعام، ولا نريد منكم الشكر لنا، بل هو خالص لوجه الله، وهذه الجملة مقرّرة لما قبلها؛ لأن من أطعم لوجه الله لا يريد المكافأة، ولا يطلب الشكر له ممن أطعمه(٤).

الثالث والرابع والخامس: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس:

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ففي هذه الآية دعاء من الله تعالى لعباده إلى ثلاثة من أمور التطوع، وهي من أعمال البر والإحسان، وهي على الإجمال: الحث على الصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس.

فقوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ المعنى: لا خير في كثير مما يتناجى الناس ويتخاطبون به إذا لم يكن فيه خير، وهنا تربية اجتماعية دعت إليها المناسبة،

(١) انظر: أحكام القرآن (١٨٩٨/٤)، وتفسير زاد المسير (٤٣٤/٨)، وتفسير الشوكاني (٣٤٧/٥).
(٢) انظر: تفسير الشوكاني (٣٤٧/٥).
(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٧١/٥).
(٤) انظر: تفسير الشوكاني (٣٤٧/٥).

فإن شأن المحادثات والمحاورات أن تكون جهرة، فلا يُصار إلى المناجاة إلا في أحوال قليلة أو نادرة يناسبها إخفاء الحديث(١).

وقد استثنى الله تعالى من المناجاة المنهي عنها أموراً دعا إليها فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ من مال، أو علم، أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة؛ كالتسبيح والتحميد ونحوه، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ؛ قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ المعروف: هو كل ما أمر الله به، أو ندب إليه من أعمال البر والخير، وهو الإحسان، والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضاً لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر، وأما عند الاقتران فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي(٣)، والمعروف عام في كل بر، فيندرج تحته الصدقة والإصلاح؛ لكنهما جردا منه واختصا بالذكر اهتماماً، إذ هما عظيما الغناء في مصالح العباد، وعطف ﴿أَوْ﴾ فجعلا كالقسم المعادل مبالغة في تجريدهما، حتى صار القسم قسيماً(٤).

---

(١) انظر: تفسير ابن عشور (١٩٨/٥ - ١٩٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٦٩٧/١) برقم (١٠٠٦).

(٣) انظر: تفسير السعدي (٤٤٢/١).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط (٤٩٤/٣).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ﴾ الإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره[1]، وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ لم يبين هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أو لا؟ ولكنه أشار في مواضع أخر أن المراد بالناس المرغب في الإصلاح بينهم هنا المسلمون خاصة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فتخصيصه المؤمنين بالذكر يدل على أن غيرهم ليس كذلك كما هو ظاهر، وكقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١][2].

وقد حث الشارع الحكيم على الإصلاح في الدماء والأموال والأعراض[3]، بل وفي الأديان كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] الآية، وقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨][4]، وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»[5].

والسعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القنوت في الصلاة، والصيام، والصدقة، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أخبرُكم بأفضلَ من درجة الصيام والصدقة والصلاة؟»، قال: قلنا: بلى، قال: «إصلاحُ ذاتِ البين، وفساد

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٤٢/١).
(٢) انظر: تفسير أضواء البيان (٤١٣/١).
(٣) انظر: تفسير الشوكاني (٥١٥/١)، وتفسير السعدي (٤٤٣/١).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٤٤٣/١).
(٥) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يُصْلِحُ بين الناس (١٦٦/٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الكذب وبيان المباح منه (٢٠١١/٤) برقم (٢٦٠٥).

ذات البين هي الحالقة»[1]، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله، كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١][2].

ولعل السرَّ -والله أعلم- في إفراد هذه الأقسامِ الثلاثةِ بالذكر؛ أن عملَ الخيرِ المتعدِّي إلى الناس إما لإيصال المنفعةِ، أو لدفع المضرَّةِ، والمنفعةُ إما جُسمانية كإعطاء المالِ، وإليه الإشارةُ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾، وإما روحانيةٌ، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿أَوۡ مَعۡرُوفٍ﴾، وأما دفعُ الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى: ﴿أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الأمور المذكورةِ وهي الصدقة، والمعروف، والإصلاح؛ فإنه يشار به إلى متعدد، وما فيه من معنى البُعدِ مع قُرب العهد بها للإيذان ببُعد منزلتِها ورفعةِ شأنِها[4]، ﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: طلب رضا الله بفعله ذلك، مخلصاً محتسباً ثواب ذلك عند الله[5] عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ أي: فسوف يعطيه الله تعالى جزاءً لما فعل من ذلك في الآخرة أجراً عظيماً، ولا حَدَّ لمبلغ ما سمى الله عظيماً يعلمه سواه[6]، فكمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب، باب: في إصلاح ذات البين (٥/٢١٨) برقم (٤٩١٩)، والترمذي في سننه، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، وقال: هذا حديث صحيح (٥/٦٦٣ - ٦٦٤) برقم (٢٥٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/٣٥٩) برقم (٢٥٩٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي (١/٤٤٣).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (٢/١٩٧).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود (٢/١٩٧).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٦٧).

(٦) انظر: تفسير ابن جرير (٧/٤٨١).

بها ما يمكن من العمل[1]، قرأ أبو عمرو وحمزة (يُؤْتِيه) بالياء، يعني: يؤتيه الله، وقرأ الجمهور: بنون العظمة، على الالتفات من الغيبة في قوله: ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[2].

السادس: الإنفاق في وجوه البر والإحسان:

ذكر الله تعالى الإنفاق في كتابه الكريم في آيات كثيرة ترغيباً فيه، وجعله تعالى باباً من أبواب البر والإحسان التي يتقرب بها العبد إلى ربه تعالى، وسُلّماً لمرضاته تعالى، ووعد الله تعالى المنفقين في سبيله بالأجر العظيم في الآخرة، وبمغفرة الذنوب، وبالخلف الطيب في الدنيا، ومن تلك الآيات الكريمة التي حث الله تعالى فيها عباده على الإنفاق في سبيله قوله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

أصل القرض في اللغة كما قال ابن فارس: «القاف والراء والضاد أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على القطع، يقال: قَرَضت الشيءَ بالمقراض، والقَرْض: ما تُعطيه الإنسانَ من مالك لتُقْضَاه، وكأنَّه شيء قد قطعتَه من مالك»[3]، والقرض الحسن إذا كان نفقة من الحلال، وقصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته[4]، وكانت من خيار المال لا من رُذاله[5]، وصرف المال في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس[6]، فالله تعالى يردُّه أضعافاً.

وقد سمى معاملته مع عبيده قرضاً وبيعاً وشراءً وتجارة. ومعنى ذلك كله أن العبد يعمل لوجه الله، والله جَلَّ وَعَلَا يعطيه ثواب ذلك العمل، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]،

(١) انظر: تفسير السعدي (٤٤٣/١).
(٢) انظر: النشر في القراءات العشر (٢٥١/٢ - ٢٥٢)، وتفسير البغوي (٧٠١/١)، وتفسير ابن عاشور (٢٠٠/٥).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٧١/٥)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٦٦٦).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٢٥٦/٥).
(٥) انظر: تفسير السمعاني (٤٥٥/٥).
(٦) انظر: تفسير الشوكاني (٢٣٩/٥).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۞ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ﴾ الآية [الصف: ١٠ - ١١]، مع قوله تعالى: ﴿تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩][١]، وهذا في التطوع من الأعمال كلها، كما قال الحسن [٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمهما أنفق العبد من شيء فالله تعالى يخلفه، ومهما تصدق العبد من شيء فعلى الله سبحانه جزاؤه، ونزل ذلك منزلة القرض له، كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ»[٣].

ورتب الله تعالى على ذلك تضعيف القرض فجعل الواحد عشراً، إلى سبعمائة ضعف، بل إلى عدد غير معلوم، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

كما رتب تعالى على ذلك غفران الذنوب؛ كما في الحديث عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار»[٤].

وفي لفظ القرض تلطف في الاستدعاء، وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى.[٥]

---

(١) انظر: تفسير أضواء البيان (٣٤٧/٨).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٤٠٠/٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه (٥٢٢/١) برقم (٧٥٨)، وانظر: تفسير ابن كثير (٤٠٢/٤).

(٤) راوه الترمذي في سننه، في كتاب: الإيمان عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء في حرمة الصلاة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح (١١/٥ - ١٢)، برقم (٢٦١٦)، وابن ماجه في سننه، في كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة (١٣١٤/٢) برقم (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥ /٢٩) برقم (٥٠١٢).

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٣٩١/٨).

وقوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ببركة الإنفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب[1]، ثم أتبع جوابي الشرط بوصفين: أحدهما عائد إلى المضاعفة، إذ شكره تعالى مقابل للمضاعفة، وحلمه مقابل للغفران[2]، ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ الشكور: فعول بمعنى فاعل مبالغة، أي كثير الشكر، وأطلق الشكر فيه على الجزاء بالخير على فعل الصالحات؛ تشبيهاً لفعل المتفضل بالجزاء بشكر المنعم عليه على نعمة، ولا نعمة على الله فيما يفعله عباده من الصالحات، فإنما نفعها لأنفسهم، ولكن الله تفضل بذلك حثاً على صلاحهم، فرتب لهم الثواب بالنعيم على تزكية أنفسهم، وتلطف لهم فسمَّى ذلك الثواب شكراً وجعل نفسه شاكراً، والشكر من الله هو جزاؤه المحسن على إحسانه[3]، ومجازاته له بالأجر الجزيل على العمل القليل، وشكره تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وناء بالتكاليف الثقال، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه[4]. وقوله: ﴿حَلِيمٌ﴾، أي: لا يعجل بالعقوبة مع كثرة الذنوب، بل يستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات، وقد أومأ إلى هذا المقصد إتباع صفة ﴿شَكُورٌ﴾ بصفة ﴿حَلِيمٌ﴾ تنبيهاً على أن ذلك من حلمه بعباده دون حق لهم عليه سبحانه[5]؛ فانظر إلى كرم الله تعالى، فما أكرمه تعالى! وما أعظمه! وهو ينشئ العبد ثم يرزقه، ثم يسأله فضل ما أعطاه قرضاً، ثم يضاعفه، ثم يشكر لعبده الذي أنشأه وأعطاه! ويعامله بالحلم في تقصيره هو عن شكر مولاه!.

---

(١) انظر: تفسير الآلوسي (٤٤٧/٢٨).
(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٣٩١/٨).
(٣) انظر: تفسير السمعاني (٤٥٤/٥).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٢٥٦/٥).
(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤٠٢/٤)، وتفسير ابن عاشور (٢٩١/٢٨).

السابع: الشفاعة للآخرين في أمور الخير:

حث الله تعالى عباده على الشفاعة للآخرين في أمور الخير، وبين تعالى أن ذلك قربة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وسوف يؤتي العبد عليها أجراً عظيماً، بشرط صلاح النية، وابتغاء الأجر من الله تعالى، سواءً شُفع الشافع وقبلت شفاعته أم لا، فقال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]. قال مجاهد بن جَبْر: «نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض»(١).

والشفاعة هي ضمّ غيرك إلى جاهك ووسيلتك، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع، واتصال منفعة إلى المشفوع له، والمراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا، ويُؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يُشفّع(٢).

والشفاعة الحسنة هي التي روعي فيها حق مسلم، ودُفع عنه بها شرٌ، أو جلب إليه خيرٌ، وابتغى بها وجه الله، ولم يؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله، ولا حق من الحقوق، والسيئة ما كان بخلاف ذلك(٣)، ووصفها بالحسنة وصف مخصص لها؛ لأن الشفاعة لا تطلق إلا على الوساطة في الخير، وأما إطلاق الشفاعة على السعي في جلب شر فهو مشاكلة، وقرينتها وصفها بسيئة، إذ لا يقال شفع للذي سعى بجلب سوء(٤)؛ فمن شفع لغيره وقام معه على أمر من أمور الخير؛ فـ ﴿لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ من شفاعته بحسب سعيه، وعمله، ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومَنْ عاون غيره على أمر من الشر كان عليه ﴿كِفْلٌ﴾ من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه، وفي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥٤٤/١)، وتفسير البغوي (٦٦٨/١)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤٦٣/١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٦٦٨/١)، وتفسير الشوكاني (٤٩٢/١)، وتفسير السعدي (٤١٢/١)، وتفسير ابن عاشور (١٤٣/٥).
(٣) انظر: تفسير الكشاف (١١٨/٢).
(٤) انظر: تفسير ابن عاشور (١٤٣/٥ - ١٤٤).

العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان[1]، ومعنى: ﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من وِزْرِها، فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة، وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن، وفرق بينهما بعض المحققين بأن النصيب يشمل الزيادة، والكفل هو المثل المساوي، فاختيار النصيب أولاً؛ لأن جزاء الحسنة يضاعف، والكفل ثانياً؛ لأن ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ففي الآية إشارة إلى لطف الله تعالى بعباده، وقال بعضهم: إن الكفل وإن كان بمعنى النصيب، إلا أنه غلب في الشر وندر في غيره، كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨][2].

وقرر الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ أي: شاهداً حفيظاً حسيباً على هذه الأعمال، فيجازي كُلاً ما يستحقه[3]. وعن أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ، أَوْ صَاحِبُ الْحَاجَةِ قَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ»[4]. قال ابن حجر: «والأجر على الشفاعة ليس على العموم بل مخصوص بما تجوز فيه الشفاعة وهي الشفاعة الحسنة، وضابطها ما أذن فيه الشرع دون ما لم يأذن فيه كما دلت عليه الآية»[5].

الثامن: العفو عن من قتل خطأً:

ربما يزهق مسلم خطأً روح مسلم آخر يعبد الله تعالى ويوحده، ومع ذلك رغب الشارع الحكيم وليّ المقتول في العفو عمن قتل خطأً، وبين أن ذلك من الصدقة التي يؤجر عليها المسلم، فقال الله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ

(١) انظر: تفسير السعدي (٤١٢/١).
(٢) انظر: تفسير الآلوسي (١٢٨/٥).
(٣) انظر: تفسير السعدي (٤١٢/١).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ (٨٠/٧) برقم (٦٠٢٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة والآدب، باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام (٢٠٢٦/٣) برقم (٢٦٢٧).
(٥) فتح الباري (٤٦٦/١٠).

﴿مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ [النساء: ٩٢]، والمعنى: فعليه تحرير رقبة مؤمنة من ماله، ودية مسلمة تؤديها عاقلته إلى أهله(١)، فيجب على القاتل عتق رقبة، ودفع دية، أما الرقبة ففي مال القاتل، وأما دفع الدية فقد أجمل القرآن الكريم على من يجب عليه دفعها، وبينته السنة بأنهم العاقلة، وذلك تقرير لما كان عليه الأمر قبل الإسلام، والعاقلة: القرابة من القبيلة، تجب على الأقرب فالأقرب بحسب التقدم في التعصيب(٢)، فإن لم تكن فهي في بيت المال، فإن لم يكن ففي ماله، ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ﴾ أي: يتصدق أهل المقتول خطأً على القاتل(٣)، وجعل الله تعالى عفو أهل القتيل عن أخذ الدية صدقة منهم، ترغيباً في العفو؛ وفي ذلك حث لهم على العفو لأن الله سمَّاها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت(٤)، وجاء بلفظ التصدق تنبيهاً على فضيلة العفو وحضاً عليه، وأنه جارٍ مجرى الصدقة، واستحقاق الثواب الآجل به دون طلب العرض العاجل، وهذا حكم من قتل في دار الإسلام خطأً(٥).

التاسع والعاشر: إنظار المعسر والوضع عنه:

تمر بالمسلم في بعض الأوقات ظروف يحتاج معها إلى أن يستدين بعض المال ليقضي حاجته؛ وربما يتعسر عليه رد ذلك الدين - ليس عن تفريط، ولا استخفاف بحقوق الناس - فجاءت الشريعة الغراء بالندب إلى إنظار المعسر إلى أن ييسر الله تعالى أمره، كما رغبت في وضع الدَّيْن، أو شيء منه، وبين الله تعالى أن ذلك الفعل خير، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فأمر تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ أي: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٣٠٥/٧).
(٢) انظر: تفسير ابن عاشور (١٦١/٥).
(٣) انظر: انظر: تفسير الآلوسي (١٤٨/٥).
(٤) انظر: تفسير السعدي (٤١٨/١).
(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٤٥٨/٣).

إذا حل عليه الدين: إما أن تقضي، وإما أن تربي، ثم ندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين(١).

قال البغوي: «يعني: وإن كان الذي عليه الدين معسراً، رفع الكلام باسم كان ولم يأت لها بخبر، وذلك جائز في النكرة، تقول: إن كان رجلٌ صالحٌ فأكرمه، وقيل: ﴿كَانَ﴾ بمعنى وقع، وحينئذ لا يحتاج إلى خبر، قرأ أبو جعفر: ﴿عُسۡرَةٖ﴾ بضم السين، ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أمر في صيغة الخبر تقديره: فعليه نظرة ﴿إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾، وقرأ نافع: ﴿مَيۡسُرَةٖ﴾ بضم السين، وقرأ الآخرون: بفتحها، وقرأ مجاهد: (ميسُرِه) بضم السين مضافاً، ومعناها اليسار والسعة، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ أي: تتركوا رؤوس أموالكم إلى المعسر ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ قرأ عاصم: ﴿تَصَدَّقُواْ﴾ بتخفيف الصاد والآخرون بتشديدها»(٢).

وقال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾ عامة في جميع الناس، فكل من أعسر أُنظر، وهذا قول أبي هريرة والحسن وعامة الفقهاء»(٣).

وإنظار المعسر والوضع عنه فيه الأجر الكبير، والثواب الجزيل. قال ابن العربي: «قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، قال علماؤنا: الصدقة على المعسر قربة، وذلك أفضل عند الله من إنظاره إلى الميسرة... وهذا مما لا خلاف فيه»(٤).

وذلك لما فيه من تفريج كربة، ومن فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٩/١).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٣٨٨/١)، والنشر في القراءات العشر (٢٣٦/٢).
(٣) تفسير القرطبي (٣٧٢/٣).
(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢٤٦/١).

مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[1]. قال ابن حجر: «قوله: «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً» أي: غمة، والكرب هو الغم الذي يأخذ النفس»[2]، وأي غم يأخذ بالنفس أعظم من الدَّيْن، الذي هو هَمٌّ بالليل وغَمٌّ بالنهار؟

ومن ثمار هذا العمل الجليل أن صاحبه من الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم القيامة، فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غُلاَمٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ، وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، وَعَلَى غُلاَمِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ، قَالَ: أَجَلْ؛ كَانَ لِي عَلَى فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ، فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ، فَقُلْتُ: ثَمَّ هُوَ؟ قَالُوا: لاَ، فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ، فَقُلْتُ: لَهُ أَيْنَ أَبُوكَ؟ قَالَ: سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي، فَقُلْتُ: اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ! فَخَرَجَ، فَقُلْتُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي؟ قَالَ: أَنَا وَاللهِ أُحَدِّثُكَ ثُمَّ لاَ أَكْذِبُكَ؛ خَشِيتُ وَاللهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ، وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ، وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُنْتُ وَاللهِ مُعْسِراً، قَالَ: قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ، قُلْتُ: آللهِ؟ قَالَ: اللهِ، قَالَ: فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ، فَقَالَ: إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي، وَإِلاَّ أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَأَشْهَدُ بَصُرَ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ - وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ - وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ، وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا - وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ - رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ...» الحديث[3].

ومن ثماره كذلك تجاوزُ الله تعالى عن صاحبه يوم القيامة، فعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا:

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٩٨/٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الظلم (١٩٩٦/٣) برقم (٢٥٨٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري (١١٧/٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزهد والرقائق، باب: حديث جابر الطَّويل وقصة أَبي الْيَسرَ (٢٣٠١/٣) برقم (٣٠٠٦).

أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ»(١).

الحادي عشر: كتابة الحقوق والديون:

من الأعمال التطوعية التي أرشد الله تعالى إليها، وفيها منفعة للمسلمين، كتابة الديون والحقوق، لمن طُلِبَ إليه كتابتها، ووجد غيره من الكتبة، وهذا من الإحسان والرفق بالمسلمين. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ﴾ نهي من الله للكاتب عن الإباء. واختلف الناس في وجوب الكتابة على الكاتب والشهادة على الشاهد، فقال الطبري والربيع: «واجب على الكاتب إذا أمر أن يكتب». وقال الحسن: «ذلك واجب عليه في الموضع الذي لا يُقدرُ على كاتب غيره، فيضر صاحب الدين إن امتنع، فإن كان كذلك فهو فريضة، وإن قَدُرَ على كاتب غيره فهو في سعة إذا قام به غيره». وقال السدي: «واجب عليه في حال فراغه»(٢).

فينبغي لمن يعرف الكتابة إذا سُئِل أن يكتبَ للناس، ولا ضرورة عليه في ذلك، ألَّا يمتنع؛ ولْيتصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة وليكتب(٣)، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ»، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَغْلاَهَا ثَمَناً وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟، قَالَ: «تُعِينُ صَانِعاً، أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ»، قَالَ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ»(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: البيوع، باب: من أنظر موسراً (٣/٧٥) برقم (٢٠٧٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: فضل إنظار المعسر (٢/١١٩٤) برقم (١٥٦٠).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣/٣٨٤ - ٣٨٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/٣٤٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب العتق، باب: أي الرقاب أفضل (١/١١٧) برقم (٢٥١٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/٨٨ - ٨٩) برقم (٨٤).

الثاني عشر: تحمل الشهادة وأداؤها:

من أعمال البر والإحسان تحمل الشهادة وأداؤها عند طلبها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، عن الحسن قال: «جمعت هذه الآية أمرين، وهما: ألا تأبى إذا دعيت إلى تحميل الشهادة، ولا إذا دعيت إلى أدائها»، وقاله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال قتادة والربيع وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً: «أي: لتحملها، وإثباتها في الكتاب». وقال مجاهد: «معنى الآية: إذا دعيت إلى أداء شهادة، وقد حصلت عندك»[(١)].

قال ابن عطية: «والآية كما قال الحسن جمعت أمرين على جهة الندب، فالمسلمون مندوبون إلى معونة إخوانهم، فإذا كانت الفسحة لكثرة الشهود، والأمن من تعطيل الحق فالمدعو مندوب، وله أن يتخلف لأدنى عذر، وإن تخلف لغير عذر فلا إثم عليه، ولا ثواب له، وإذا كانت الضرورة، وخيف تعطل الحق أدنى خوف؛ قوي الندب، وقرب من الوجوب، وإذا علم أن الحق يذهب ويتلف بتأخر الشاهد عن الشهادة، فواجب عليه القيام بها، لا سيما إن كانت محصلة، وكان الدعاء إلى أدائها، فإن هذا الظرف آكد، لأنها قلادة في العنق وأمانة تقتضي الأداء»[(٢)].

وقال ابن العربي: «الصحيح عندي أن المراد هاهنا حالة التحمل للشهادة؛ لأن حالة الأداء مبينة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وإذا كانت حالة التحمل فهي فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن البعض؛ لأن إباية الناس كلهم عنها إضاعة للحقوق، وإجابة جميعهم إليها تضييع للأشغال؛ فصارت كذلك فرضاً على الكفاية»[(٣)].

وقال ابن كثير: «قيل: معناه: إذا دعوا للتحمل فعليهم الإجابة، وهو قول قتادة والربيع بن أنس، وهذا كقوله: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/٣٩٨).
(٢) تفسير ابن عطية (١/٣٥٨).
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (١/٢٥٦).

يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ومن هاهنا استفيد أنَّ تَحَمُّل الشهادة فرض كفاية، قيل: وهو مذهب الجمهور، المراد بقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟﴾ [البقرة: ٢٨٢] للأداء، لحقيقة قوله: ﴿ٱلشُّهَدَآءُ﴾ والشاهد حقيقة فيمن تحمَّل، فإذا دعي لأدائها فعليه الإجابة إذا تعينت، وإلا فهو فرض كفاية، والله أعلم. وقال مجاهد وأبو مِجْلَز، وغير واحد: «إذا دعيت لتشهد فأنت بالخيار، وإذا شهدت فدعيت فأجب»[1].

(١) تفسير ابن كثير (٣٤٣/١).

المبحث الرابع
نماذج من المتطوعين من خلال القرآن الكريم

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم جملة من الذين قاموا بأعمال حسنة صالحة، تطوعوا بفعلها طلباً للأجر والثواب من الله تعالى، فكانت هذه النماذج نبراساً لمن أراد أن يقوم بأعمال تطوعية، وكان في مقدمة من ذكرهم الله تعالى في كتابه الكريم أشرف خلقه أجمعين نبينا محمد ﷺ، وجملة من أولي العزم من الرسل، وطائفة من الأنبياء، ومن صالحي الأمم السابقة، ومن أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم، وهذه نماذج من أولئك المتطوعين:

١. ذكر شيء من الأعمال التي تطوع بها النبي محمد ﷺ:

كان النبي ﷺ القدوة والأسوة المطلقة للصحابة رضي الله عنهم ولمن بعدهم في الأعمال التطوعية، فما من باب من أبواب الخير والتطوع التي دعا إليها الله تعالى في كتابه الكريم إلا كان للنبي ﷺ فيها سهم، وكان أول ما قالت له زوجه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها عندما جاءها بعد نزول الوحي إليه: «كَلّا، أَبْشِرْ، فَوَالله لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، فَوَالله إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وتُكسِبُ المعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»(١)، فهذه جملة من الأمور التي كان يفعلها النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه، فما الشأن إذاً بعد الوحي؟ لقد كان النبي ﷺ يتطوع بأعمال كثيرة، نَفْعُها متعدٍ، وكل تلك الأعمال إنما هي من فيض رحمته ﷺ بأمته، وقد وصفه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فهذه الآية الكريمة تدل على أن هذا الرسول الكريم ﷺ

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: التعبير، باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرُّؤْيَا الصالحة (٦٧/٨) برقم (٦٩٨٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٣٩/١) برقم (١٦٠).

من أنفسنا، وأنه متصف بصفات مُشْعِرة بغاية الكمال، وأنه متصف بغاية الشفقة علينا، والرحمة بنا، ومن آثار رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعليمه لنا أنواع العلوم والمعارف والكمالات(١).

وهذه بعض الأمثلة بأعمال تطوع بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

أ. شراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأرض المسجد النبوي ووقفه لها:

أول ما قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة اشترى أرضاً لبناء مسجده، وكانت محله مِرْبَداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حِجر أسعد بن زرارة، فدعا الغلامين، وساومهما بالمِربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله، فأبى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما(٢)، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَى ملأٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لاَ وَاللهِ لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلاَّ إِلَى اللهِ، فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ، قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَفِيهِ خَرِبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَةْ، فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ»(٣).

ب. تعاونُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بناء المسجد:

قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في بناء مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يحثهم على العمل فيرجز تنشيطاً لهم على العمل، حيث كان في أرض المسجد قبور

(١) انظر: تفسير الآلوسي (٧٧/١١).

(٢) انظر: زاد المعاد (٦٢/٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ (١١١/١) برقم (٤٢٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ابتناء مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٧٣/١) برقم (٥٢٤)، وهذا لفظ البخاري.

للمشركين وخرب ونخيل، قَالَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، ثُمَّ بِالْخَرِبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ الْحِجَارَةَ، وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَةْ، فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةْ»[1].

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعملون بجد ونشاط مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بناء المسجد، حتى قال قائل من المسلمين في ذلك:

(لـــئن قعدنـــا والنـــبي يعمـــل ذاك إذاً للعمـــل المضلـــل

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لا يســـتوي مـــن يعمـــر المســـاجدا
يـــدأب فيهـــا قائمـــاً وقاعـــدا
ومـــن يـــرى عـــن الـــتراب حائـــدا)[2]

بل كان منهم من يتحمل المشقة في عمل البر[3] والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخفف عنهم، يقول أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ»، قَالَ: يَقُولُ: عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ[4].

ج. مشاركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفر الخندق:

كان حفر الخندق مقسوماً على الناس، فمن فرغ منهم عاون من لم يفرغ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعمل مع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويحثهم على العمل، فعن البراء بن عازب

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد؟ (١١١/١) رقم (٤٢٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ابتناء مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٧٣/١) رقم (٥٢٤)، وهذا لفظ البخاري.

(٢) انظر: فتح الباري (٢٩١/٧).

(٣) انظر: فتح الباري (٦٤٥/١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: التعاون في بناء المسجد (١١٥/١) رقم (٤٤٧).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وَارَى عَنِّي الْتُّراب جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

«اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا[1].

د. سعي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإصلاح بين الناس:

طبق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الله تعالى لعباده بالإصلاح بين الناس على أكمل وجه وأتمّه، وفي سائر أوجه الإصلاح، إذ الصلح أقسام: صلح المسلم مع الكافر، والصلح بين الزوجين، والصلح بين الفئة الباغية والعادلة، والصلح بين المتغاضبين، والصلح في الجراح كالعفو على مال، والصلح لقطع الخصومة إذا وقعت المزاحمة، إما في الأملاك، أو في المشتركات[2]، وبوَّب الإمام البخاري لأبواب من الصلح عديدة، وذلك في كتاب الصلح من صحيحه[3].

وهذه أمثلة من مواقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإصلاح بين الناس:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ»[4].

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٤٧/٥) برقم (٤١٠٦). وانظر: تفسير القرطبي (١٣٠/١٤).
(٢) انظر: فتح الباري (٣٥١/٥).
(٣) انظر: صحيح البخاري (١٦٦/٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلح، باب: قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح (١٦٦/٣) رقم (٢٦٩٣).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَاهُ تُوُفِّيَ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلاَثِينَ وَسْقاً لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ فَأَبَى أَنْ يُنْظِرَهُ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمَرَ نَخْلِهِ بِالَّذِي لَهُ فَأَبَى، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لِجَابِرٍ: «جُدَّ لَهُ فَأَوْفِ لَهُ الَّذِي لَهُ»، فَجَدَّهُ بَعْدَ مَا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَوْفَاهُ ثَلاَثِينَ وَسْقاً وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ وَسْقاً، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ فَوَجَدَهُ يُصَلِّي الْعَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ، فَقَالَ: «أَخْبِرْ ذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ»، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ عَلِمْتُ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُبَارَكَنَّ فِيهَا[1].

هـ. نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمظلوم:

من العهود التي كانت في الجاهلية وأقرها الإسلام حلف الفضول، وكان قبل المبعث بعشرين سنة في شهر ذي القعدة، وكان بعد حرب الفجار بأربعة أشهر[2]، وكان على نفي الظلم والجور عن القاطنين بمكة، وذلك تحقيق لعهد الله تعالى لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يجعل مكة بلداً آمنا[3].

قال ابن هشام: «اجتمعت قبائل من قريش في دار عبد الله بن جدعان - لشرفه ونسبه - فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها أو غيرهم إلا قاموا معه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول»[4]، وهو الذي قال فيه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفاً مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوِ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلاَمِ لأَجَبْتُ»[5]، وهذا الحلف هو المراد في حديث

(١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: في الاستقراض، باب: إِذَا قَاصَّ، أَوْ جَازَفَهُ فِي الدَّيْنِ تَمْراً بِتَمْرٍ أَوْ غَيْرِهِ (٨٤/٣) رقم (٢٣٩٦).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٢٧١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن عاشور (١٦٩/٨).

(٤) سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن هشام (١٤٥/١).

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى، في كتاب: قسم الفيء والغنيمة، باب: إعطاء الفيء على الديوان ومن تقع به البداية (٣٦٧/٦) برقم (١٣٤٦١).

جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حِلْفَ فِي الإِسْلاَمِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلاَمُ إِلاَّ شِدَّةً»(١)، وإنما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك لأنه موافق للشرع إذ أمر بالانتصاف من الظالم، وأما ما كان من عهودهم الفاسدة وعقودهم الباطلة على الظلم والغارات فقد هدمه الإسلام والحمد لله(٢).

٢. إكرام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للضيف:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم إكرام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للضيف في ثلاث سور، هي سورة هود، وسورة الحجر، وسورة الذاريات، قال الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٨].

بين الله تعالى إكرام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لضيفه فقال هنا: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾، وفي موضع آخر: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: ٦٩]، والحنيذ: المشوي. فوصفه بالطيبين: طيب السمن، وطيب العمل بالإشواء، وهو أطيب في التناول؛ وكان الشواء أسرع طبخ أهل البادية؛ فكان لإبراهيم فيه ثلاث خصال: الضيافة، والمبادرة بها، وأنها أجود ما عنده(٣).

ومجيء الفاء لعطف أفعال: ﴿فَرَاغَ﴾، ﴿فَجَآءَ﴾، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ﴾ للدلالة على أن هذه الأفعال وقعت في سرعة، والإسراع بالقرى من تمام الكرم(٤).

وقوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ تلطف في العبارة، وعرض حسن، والعرض على الضيف عقب وضع الطعام بين يديه زيادة في الإكرام؛ وفيه إظهار الحرص على ما ينفع الضيف، وإن كان وضع الطعام بين يديه كافياً في تمكينه منه(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مؤاخاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (١٩٦١/٢) رقم (٢٥٣٠)، وأبو داود في سننه، في كتاب: الفرائض، باب: في الحلف (٣٣٨/٣) رقم (٢٩٢٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٣/٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٠٦٣/٣)، وتفسير ابن عاشور (٣٥٩/٢٩).

(٤) انظر: تفسير ابن عاشور (٣٥٩/٢٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٢٥٢/٤)، وتفسير ابن عاشور (٣٦٠/٢٩).

والهمزة في ﴿أَلَا﴾ للعرض والحث على الأكل على طريقة الأدب؛ إن قاله أول ما وضعه، وللإنكار؛ إن قاله حينما رأى إعراضهم[1].

ولما لم يأكلوا طعامه - والحال أنه لا يعرف حقيقتهم - أخبر الله عنه بقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ولما رأت الملائكة منه ذلك ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣].

وللضيافة آداب وأحكام ليس هذا محلَّ ذِكْرها وتفصيلها[2].

٣. تطوع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بأعمال جليلة لأهل السجن:

كان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد اشتهر في السجن بجملة من الأمور منها الجود، والأمانة، وتعبير الرؤى للمسجونين، والإحسان إلى أهل السجن كعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم. وكل هذه الأعمال إنما هي من باب التطوع، وهي أعمال جليلة قدمها لأهل السجن حتى استحق أن يصفوه بأنه من المحسنين، قال الله تعالى ذاكراً قول السجينين ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما طلبا منه تأويل رؤياهما: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦][3].

٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتطوع بالسقي لامرأتين:

ذكر الله تعالى ما قام به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من عمل تطوعي في كتابه الكريم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٤].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٢٣٨/٥).

(٢) انظر: آداب الضيافة المستفادة من الآيات في: آيات الأحكام لابن العربي (١٠٦١/٣)، وتفسير القرطبي (٦٤/٩) (٤٦/١٧)، وتفسير البحر المحيط (١٩٧/٨)، وتفسير ابن كثير (٢٥٢/٤)، وتفسير أضواء البيان (١٥٠/٣).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٩٥/٢).

ففي هذه الآيات الكريمة يبين الله تعالى أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد فراره من فرعون ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ أي: بلغ ماء بلاد مدين، ويناسب الغريب إذا جاء ديار قوم أن يقصد الماء؛ لأنه مجتمع الناس، فهنالك يتعرف لمن يصاحبه، ويضيفه[1]، ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ حابستين غنمهما عن حياض الناس، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ معتزلتين لا تسقيان مع الناس؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ فليس لنا قوة نقتدر بها، ولا رجال يزاحمون القوم، إنما ننتظر فضول حياضهم، وفي الآية دليل على بخل تلك الأمة، وعدم مروءتهم إذ لم يقوموا بالسقي للمرأتين[2] مع ما وصفتا به أباهما ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ وفي هذا اعتذار لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، واستعطاف في إعانتهما، وقد طابق جوابهما سؤاله؛ فرقَّ لهما عَلَيْهِ السَّلَامُ ورحمهما[3]، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، ولا يدفعه لذلك إلا رأفة بهما، وغوث لهما، ورحمة عليهما ومنشأ الترحم كونهما على الذود، وكون الأمة من الناس على السقي، فسارع إلى السقي لهما، ومن قوة مروءته أن اقتحم ذلك العمل الشاق على ما هو عليه من الإعياء عند الوصول من نصب السفر، وكثرة الجوع، ومع ذلك أغاثهما وكفاهما أمر السقي[4]، ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ التولي: الرجوع على طريقه، وذلك يفيد أنه كان جالساً من قبل في ظل فرجع إليه، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، مستريحاً في ذلك الظلال بعد التعب[5].

وقد أعقب إيواءه إلى الظل بمناجاته ربه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لما استراح من مشقة سقي الماشية، والاقتحام بها في الرعاء، ووجد برد الظل؛ تذكر

(١) انظر: تفسير ابن عاشور (٢٠/٩٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٩٥)، وتفسير السعدي (٤/١٣).
(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٧/١٤٧)، وتفسير السعدي (٤/١٣).
(٤) انظر: تفسير البحر المحيط (٧/١٤٧)، وتفسير الآلوسي (٢٠/٣٦٣)، وتفسير السعدي (٤/١٣)، وتفسير ابن عاشور (٢٠/١٠١).
(٥) انظر: تفسير السعدي (٤/١٣)، وتفسير ابن عاشور (٢٠/١٠١).

بهذه النعمة نعماً سابقة أسداها الله إليه من نجاته من القتل، وتخليصه من تبعة قتل القبطي، وإيصاله إلى أرض معمورة بأمة عظيمة، بعد أن قطع فيافي ومفازات، تذكر جميع ذلك وهو في نعمة برد الظل والراحة من التعب، فجاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء وهي: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي، وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقاً.

وكان فعل موسى معروفاً محضاً لا يطلب عليه جزاء؛ لأنه لا يعرف المرأتين ولا بيتهما(١).

٥. بناء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ الجدار تطوعاً:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ قد بنى جداراً في قرية أهلها بخلاء تطوعاً بلا مقابل، فقال الله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧].

فقوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا﴾ أي موسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وإظهار لفظ ﴿أَهْلَهَا﴾ دون الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصريح، تشنيعاً بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما شحّاً وبخلاً، وهذا اللؤم والبخل لم يمنع الخضر من التطوع لبناء الجدار، يقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾.

ومعنى ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أشرف على السقوط، وذلك بأن مال، فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ إقامة الجدار: تسوية ميله، والمعنى: فهدمه ثم قعد يبنيه.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥٣٠/٣)، وزاد المسير (٢١٤/٦)، وتفسير أبي السعود (١١٩/٥)، وتفسير السعدي (١٣/٤ - ١٤)، وتفسير ابن عاشور (١٠٢/١٦، ١٠٤).

فضجر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى تكلف الخضر، وما ليس عليه صبر ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قد استطعمناهم فلم يطعمونا، وضفناهم فلم يُضَيّفونا، ثم قعدت تعمل من غير صنيعة، ولو شئت لطلبت عليه أجراً، ونحن بحاجة إلى ما ننفقه على أنفسنا، إذ نحن جائعون، وفي قرية أهلها بخلاء، لا يطعمون جائعاً، ولا يستضيفون ضيفاً، فلا أقل من أن تصيب عليه أجراً نأكل منه.

وهذا اللوم يتضمن سؤالاً عن سبب ترك المشارطة على إقامة الجدار عند الحاجة إلى الأجر، وليس هو لوماً على مجرد إقامته مجاناً، لأن ذلك من فعل الخير وهو غير ملوم.

وفيه تحريض على أخذ الجعل ليتعيشا به، أو تعريض بأن فعله ذلك فضول وتبرع بما لم يطلب إليه، من غير جُعْلٍ يأخذه، ولا استحقاق لمن فُعِل له، مع كمال الاحتياج إلى خلافه، لما في ﴿لَوْ﴾ من النفي، كأنه لما رأى الحِرْمان، ومساس الحاجة، واشتغاله بما لا يعنيه، لم يتمالك نفسه، فقال ذلك القول.

٦. مسارعة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الخيرات:

مدح الله تعالى في كتابه الكريم أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بصفات كثيرة؛ ومن تلك الصفات مسارعتهم في أعمال البر والإحسان، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ ينصرف إلى جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذين ذكرهم في سورة الأنبياء، وقيل: لزكريا وزوجه ويحيى[١].

وقوله: ﴿يُسَارِعُونَ﴾ السُّرْعَةُ: ضدّ البطء، ويستعمل في الأجسام، والأفعال، والمسارعة في الشيء: المبادرة إليه بسرعة، لكن لفظة المسارعة إنما تستعمل في الخير[٢]، والمسارعة مستعارة للاستكثار من الفعل، والمبادرة إليه، تشبيهاً للاستكثار والاعتناء

(١) انظر: تفسير البغوي (٣١٥/٣)، وتفسير البحر المحيط (٤١٠/٦ - ٤١١)، وتفسير ابن كثير (٢٠٣/٣)، وتفسير الآلوسي (١١٥/١٧).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٤٠٧)، وتفسير الخازن (٥٩/٢).

بالسير السريع لبلوغ المطلوب، وكثيراً ما يتعدى أسرع بـ ﴿فِي﴾ التي للظرفية؛ لما فيه من معنى الجد والرغبة؛ فليست ﴿فِي﴾ بمعنى إلى أو للتعليل، وفي هذا إيذان بتشبيه ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بطريق يسير فيه السائرون، ولهؤلاء مزية السرعة في قطعه(١).

وقوله: ﴿ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ للعموم، فيتناول كل أعمال البر والإحسان مما هو واجب أو تطوع، ومعناها يدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه(٢).

والمعنى: إنهم كانوا يجدُّون ويرغبون في عمل القُربات وفعل الطاعات، ويبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي، وينتهزون الفرصة فيها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير، ومعرفتهم بفوائده، وحسن عوائده، وهم كذلك غير متثاقلين ولا كسالى(٣).

وبهذا ثبت أن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ كانوا فاعلين لكل خير، وتاركين لكل منهي(٤).

وفي هذا دليل على أن المبادرة إلى الأعمال الصالحة؛ هو الأفضل، ومَدْحُ الباري أدل دليل على صفة الفضل في الممدوح على غيره، والله أعلم(٥).

٧. تطوع ذي القرنين ببناء الردم:

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة تطوع ذي القرنين ببناء الردم الفاصل بين الناس وبين يأجوج ومأجوج المفسدون في الأرض، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ

(١) انظر: تفسير الآلوسي (١١٦/١٧)، وتفسير ابن عاشور (٥٨/٤).
(٢) انظر: تفسير الخازن (٢١٦/٣).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٠٣/٣)، وتفسير الآلوسي (١١٥/١٧)، وتفسير السعدي (٢٦٩/٣).
(٤) انظر: تفسير الخازن (٢١٦/٣).
(٥) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٣١٨/٣).

ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ۞ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ۞ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ [الكهف: ٩٣ - ٩٨].

فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ﴾، تعريف ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ تعريف الجنس، أي بين سدين معينين، معروفين، معلومين في ذلك الزمان، بينهما ثَغْرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على البلاد المجاورة، والمراد بالسدين هنا الجبلان، وبالسد المفرد الجدار الفاصل، والقرينة هي التي عينت المراد من هذا اللفظ المشترك.

﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: من ورائهما، ﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾، قرأ حمزة والكسائي: ﴿يُفۡقِهُونَ﴾ بضم الياء وكسر القاف؛ من أفقه إذا أبان، أي: لا يُفقِهون غيرهم كلاماً؛ وذلك لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس، وتوغلهم في البداوة والبلاهة، وقرأ الباقون ﴿يَفۡقَهُونَ﴾ بفتح الياء والقاف؛ أي: لا يعلمون شيئاً من قول غيرهم فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة، ولا يفهمون ما يقصده من يخاطبهم، والقراءتان صحيحتان، والمعنيان متلازمان(١).

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ افتتاحهم الكلام بالنداء، دليل على أنهم نادوه نداء المستغيثين المضطرين، ونداؤهم إياه بلقب ذي القرنين دليل على أنه مشهور بمعنى ذلك اللقب بين الأمم المتاخمة لبلاده، أي: قالت له أمة من الإنس صالحة، فعلى القراءة الأولى أمكنهم أن يفهم مرادهم بعد لَأْيٍ، وعلى القراءة الثانية هم لا يدركون ما يُطلب منهم من طاعة ونظام، ومع ذلك يعربون عما في نفوسهم من الأغراض مثل إعراب الأطفال(٢).

فاشتكوا إليه ضرر ﴿يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾، وهما أمتان عظيمتان من بني آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كما ثبت في الصحيحين منْ حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (٣) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يعيثون في الأرض فساداً بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك، من إهلاك الحرث والنسل.

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٣١٥/٢)، وتفسير القرطبي (٥٥/١١).

(٢) انظر: تفسير ابن عاشور (٣٤/١٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: التفسير، باب: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ (٢٤١/٥) رقم (٤٧٤١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: قوله: «يقول الله لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» (٢٠١/١) رقم (٢٢٢)، وهذا لفظ البخاري.

والاستفهام في قوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ مستعمل في العرض، على جهة حسن الأدب، والخرج: المال الذي يدفع للملك، وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء في قراءة الجمهور، ويقال فيه: الخراج، بألف بعد الراء، وكذلك قراءة حمزة، والكسائي، وخلف[1]، والخرج أخص من الخراج، أي: نجعل لك أجراً عظيماً من أموالنا، فأرادوا أن يجمعوا له من بينهم مالاً يعطونه إياه، حتى يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حاجزاً فلا يصلون إليهم.

وإسنادُ الجعل المذكور في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ إلى ذي القرنين مع أنه فعلُ الفَعَلة للتنبيه على أنه العُمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلةِ.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ دليل على فعله ذلك بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير، فلم يكن ذا طمع، ولا رغبة في الدنيا، بل كان قصده الإصلاح؛ لذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره فقال لهم: ما بسطه الله تعالى لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ يعني: عدداً من الرجال وآلات البناء، فاخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني دونهم فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى[2].

وتَطَوَّع ذو القرنين بإقامة السد، ورأى أن أيسر طريقة لإقامته هي ردم الممر بين الحاجزين الطبيعيين، والردم: سدّ الثّلمة بالحجر[3]، وهو في اللغة أكثر وأبلغ من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على بعض، يقال: ثوب مُرْدَم، إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة، ويقال لكل ما كان مسدوداً خِلْقَةً: سُد بالضم، وما كان من عمل الناس: فهو سَد بالفتح، وقد قيل: إنهما لغتان بمعنى واحد سَد وسُد بالفتح والضم[4]، أي: أجعل مانعاً من عبورهم عليكم.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٣٥٤/٢).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٢٤٨/٣)، وتفسير القرطبي (٦٠/١١).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٣٥٠).

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص وابن كثير وأبو عمرو بفتح السين، وقرأ الباقون بضمها. انظر: النشر في القراءات العشر (٣٥٤/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (٨١/٣)، وتفسير القرطبي (٥٩/١١)، ومفردات ألفاظ القرآن (ص٤٠٣).

وقوله تعالى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي: أعطوني، أمرهم بنقل الآلة، وهذا كله إنما هو استدعاء العطية التي بغير معنى الهبة، واستدعاء للمناولة؛ لأنه قد ارتبط من قوله لا يأخذ منهم الخرج، فلم يبق إلا استدعاء المناولة وأعمال الأبدان ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ الزبر: جمع زُبْرَة، وهي القطعة العظيمة من الحديد[1]، وفي الكلام حذف تقديره: فأتَوه بقطع الحديد وبالحطب، فأمر برصّ بعضها فوق بعض، فلم يزل يجعل الحديد على الحطب، والحطب على الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾ أشعرت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ بشيء مغياً قبلها[2]، يعني: البناء؛ فحذف لقوة الكلام عليه، ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ هما جانبا الجبل، والمعنى: وضع بعضه على بعض من الأساس حتى إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً - واختلفوا في مساحة عرض الردم وطوله على أقوال - ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ وفي القصة: أنه جعل الفحم والحطب في خلال زبر الحديد، ثم قال: انفخوا، يعني: في النار، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ أي: صار الحديد ناراً، ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ الإفراغ: الصب، والقطر: هو النحاس المذاب عند أكثر المفسرين، فجعلت النار تأكل الحطب، ويصير النحاس مكان الحطب، حتى لزم الحديد النحاس، فإذا التأم واشتد ولصق البعض بالبعض استأنف مرة أخرى، إلى أن استوى العمل فصار جبلاً صلداً.

والخطاب في قوله: ﴿ٱنفُخُوا۟﴾، وقوله: ﴿ءَاتُونِيٓ﴾ خطاب للعملة، وحذف متعلق ﴿ٱنفُخُوا۟﴾ لظهوره من كون العمل من صنع الحديد، والتقدير: انفخوا في الكيران المصفوفة على طول ما بين الصدفين وزبر الحديد، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً وامتنع به مَنْ وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج، وفي هذا إشارة لوجوب إتقان العمل التطوعي[3].

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص٣٧٧).

(٢) انظر: تفسير ابن عاشور (١٣٥/١٥).

(٣) انظر: تفسير ابن أبي زمنين (٨٢/٣ - ٨٣)، وتفسير البغوي (٢١٧/٣)، وتفسير القرطبي (٦٣/١١)، وتفسير البحر المحيط (٢٠٤/٦ - ٢٠٥)، وتفسير ابن كثير (٤٠٤/٣ - ٤٠٥)، وتفسير أبي السعود (١٧٦/٣ - ١٧٧)، وتفسير الشوكاني (٣١٢/٣ - ٣١٣)، وتفسير السعدي (١٥٣/٣ - ١٥٥)، وتفسير ابن عاشور (٣٤/١٦).

٨. نماذج من تطوع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

اختار الله تعالى لصحبة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوماً أفذاذاً، فما من آية في كتاب الله تعالى تدعو إلى تطوع وبر وإحسان وخير إلا كانوا أوائل العاملين بها، فمن تلك النماذج ما يلي:

ذكر غير واحد من المفسرين منهم ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم، أن قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١] نزل في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى إن بعض المفسرين حكى الإجماع على ذلك، ولا شك أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّةٌ يحتاج إلى أن يكافئه بها[(١)]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[(٢)].

وعن مجاهد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قال: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يبتاع له جارية

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥٥٦/٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين (٢٢٧/٢) رقم (١٨٩٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ وَأَعْمَالَ الْبِرِّ (٧١١/١) برقم (١٠٢٧).

يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فدعا بها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فأعتقها عمر [1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروى الضحاك: أن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨] نزل في عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين وقف بئر رومة)[2]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ [3] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَجَهَّزَهُ عُثْمَان [4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤] نزل في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانت عنده أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضاً: نزلت في عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعث بوسق تمر إلى أهل الصُّفَّة ليلاً[5].

ووصف الله تعالى الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بصفات كثيرة، ومن تلك الصفات ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، قال ابن العربي: «قال الخلق بأجمعهم: يريد بذلك الأنصار الذين آووا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين طرد، ونصروه حين خذل، فلا مثل لهم ولا أجرهم»[6].

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٥/٥٧٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٥٤٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً، في كتاب: فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: مَنَاقِبُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/٢٠٢).

(٤) رواه البخاري في صحيحه تعليقاً، في كتاب: فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: مَنَاقِبُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو الْقُرَشِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/٢٠٢).

(٥) انظر: تفسير البحر المحيط (٢/٥٣١).

(٦) آيات الأحكام لابن العربي (٤/١٧٧٥).

وثبت عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم لقول الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] تصدّقوا بأحب شيء إليهم، منهم أبو طلحة تصدّق ببئر حاء، وتصدق زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها، وأبو ذر بفحل خير إبله(١).

فهؤلاء هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم(٢).

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٨٣١/٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٣/١٨)، وتفسير البحر المحيط (٣٤٥/٨)، وتفسير ابن كثير (٣٦١/٤ - ٣٦٢)، وتفسير السعدي (٢١٠/٥)، وتفسير ابن عاشور (٨٩/٢٨ - ٩٨).

المبحث الخامس
ثمار العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم

للعمل التطوعي ثمار يانعة يجنيها الفرد المسلم في دنياه فضلاً عن أخراه، ولعل أبرز تلك الثمار ما يلي:

١. هداية الله تعالى وإرشاده للمتطوعين:

إن من أراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فيها، فإن الله لا يحرمه منها، بل يعينه عليها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وذلك ليطمئن كل من يتجه إلى هدى الله، وليعلم أن الله متوليه، وميسر له أسباب الهداية.

وأطلق المجاهدة ولم يقيدها بمتعلق، ليتناول المجاهدة في النفس الأمّارة بالسوء، والشيطان، وأعداء الدين، قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ في طاعتنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ﴾ سبل ثوابنا[١]، وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الأقوال، وما ورد من أقوال العلماء فالمقصود بها المثال.

والهداية: الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي، والإرشاد الشرعي، فقوله تعالى: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾: لنزيدنَّهم هداية إلى سبيل الخير، كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧]، وسبل الله: الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه؛ شبهت بالطرق الموصلة إلى منزل الكريم المكرم للضيف.

و(ال) في ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يحتمل أن تكون للعهد، فالمراد بالمحسنين الذين جاهدوا، وإلى ذلك ذهب الجمهور، ويحتمل أن يكون للجنس، فالمراد بهم مطلق جنس من أتى بالأفعال الحسنة، ويدخل أولئك دخولاً أولياً، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه فَسَّر ﴿لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالموحدين، وفيه تأييد ما للاحتمال الثاني، والله تعالى أعلم[٢].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٥٦٨/٣)، وتفسير القرطبي (٣٦٤/١٣ - ٣٦٥)، وتفسير الخازن (٣٨٥/٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٦٤/١٣ - ٣٦٥)، وتفسير البحر المحيط (٢٠٥/٧ - ٢٠٦)، وتفسير الآلوسي (٢٢/٢١).

٢. التحلي بصفات عباد الله تعالى من المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين:

العمل التطوعي من صفات أنبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهم في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وهو كذلك من صفات عباد الله الصالحين، فمن قام بعمل تطوعي فإنه يكون قد اقتفى أثر عباد الله تعالى من المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والصالحين من عباد الله تعالى، جعلنا الله تعالى منهم بكرمه وجوده وإحسانه.

٣. إعانة الله تعالى لعبده المتطوع:

إن من فضل الله تعالى وكرمه كونه تعالى معيناً لعبده المتطوع، فالجزاء من جنس العمل، فالمسلم الذي يكون في عون أخيه يكون الله في عونه، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وفي آداب المجالس يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] ففي هذه الآية يؤدب الله تعالى، ويأمر عباده المؤمنين أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس، ويبين أن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[٢].

٤. البشارة من الله تعالى بسعادة الدنيا والآخرة:

يبشر الله تعالى عباده المحسنين، وهم كل من يصدر منه الخير مما يصح به إطلاق اسم المحسن عليه، وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه إحسان عبادة الله تعالى، والإحسان لعباد الله تعالى بالمال، وبالجاه،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٤٧/٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٠٧٤/٣) برقم (٢٦٩٩).

وبالشفاعات، والإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبالكلمة الطيبة، وبتعليم العلم النافع، وبقضاء حوائج الناس من تفريج كرباتهم، وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً، والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، بأن لهم البشارة من الله بسعادة الدنيا والآخرة وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

٥. آثار العمل التطوعي في الصحة النفسية:

العمل التطوعي عمل صالح يثاب عليه العامل ثواباً عظيماً، تظهر آثاره على المسلم في سائر جوانب حياته، ومن تلك الجوانب الناحية الصحية، ولا سيما النفسية منها، فالإسلام جمع بين إصلاح النفوس بالتزكية، وبين إصلاح نظام الحياة بالتشريع، في حين أن معظم الأديان لا تتطرق إلى نظام الحياة بشيء، وبعضها وإن تطرق إليه إلا أنه لم يوفه حقه، بل كان معظم اهتمامها منصرفاً إلى المواعظ والعبادات، وقد جاء اقتران المصلحتين في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. والظاهر من قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ أنّ ذلك في الدنيا، وهو قول الجمهور، ويدل عليه قوله بعد ذلك: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم﴾ يعني في الآخرة، والحياة الطيبة تشمل جميع وجوه الراحة من أي جهة كانت، كطمأنينة القلب، وسكون النفس، وعدم التفاتها لما يشوش عليها، وبالرزق الحلال الطيب، وغير ذلك من وجوه الراحة النفسية(٢).

والعمل التطوعي سبب من أسباب الحياة الطيبة فهو وسيلة لراحة النفس، والشعور بالاعتزاز والثقة بالنفس عند من يتطوع، ويمكن استخدام العمل التطوعي لمعالجة الأفراد المصابين بالاكتئاب، والضيق النفسي، والملل؛ لأن التطوع في أعمال

(١) انظر: تفسير البحر المحيط (٤٥١/٦)، وتفسير الشوكاني (٤٥٥/٣)، وتفسير السعدي (٢٩٣/٣).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط (٦٧٧/٥ - ٦٧٨)، وتفسير ابن كثير (٦٠٧/٢)، وتفسير السعدي (٥٧/٣)، وتفسير ابن عاشور (١٩٤/٣).

خيرية للمجتمع يساعد هؤلاء المرضى في تجاوز محنتهم الشخصية، والتسامي نحو خير يمس محيط الشخص وعلاقاته، ليشعروا بأهميتهم ودورهم في تقدم المجتمع الذي يعيشون فيه، مما يعطيهم الأمل بحياة جديدة أسعد حالاً[1].

والعمل التطوعي وجه من وجوه الراحة النفسية، فهو يشبع بعض الحاجات النفسية بما يناسبها، وذلك لصدِّها عن التوجه لِمَا لا يناسبها، وهذا له تأثير عكسي في التوازن النفسي، ومن أهم تلك الحاجات، إشباع الجانب الديني والروحي، وإشباع الحاجة إلى الإنجاز والنجاح، وإشباع الحاجة إلى الاحترام والتقدير الذاتي، وإشباع الحاجة إلى الانتماء والحب، وإشباع الحاجة إلى المسؤولية، وتوجيه الانفعالات وضبطها، وتفريغ الطاقة، وشَغْل أوقات الفراغ، والرضا والطمأنينة النفسية، وتوجيه العواطف وضَبْطها، وعلاج الأمراض النفسية كعلاج قسوة القلب، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتاه رجل يشكو قسوة قلبه، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتحب أن يلين قلبك؟»، قال: نعم، قال: «فأدن اليتيم إليك، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يلين قلبك، وتقدر على حاجتك»[2].

٦. بالعمل التطوعي يتحقق الترابط والتآلف والتآخي بين المسلمين:

أمر الله تعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، والمعنى: ليُعِنْ بعضكم بعضاً على البر، وهذا موافق لما روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل يستحمله، فلم يجد عنده ما يتحمله، فدله على آخر فحمله، فأتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: «الدال على الخير كفاعله»[3].

---

(١) انظر: مقترحات لتطوير العمل التطوعي، د. بلال عرابي، مجلة النبأ، العدد (٦٣) شعبان (١٤٢٢هـ)، موقع صيد الفوائد.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٧/١١) برقم (٢٠٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠/١) برقم (٨٠).

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب: العلم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء الدال على الخير كفاعله (٤١/٥) برقم (٢٦٧٠)، قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٩/٣) برقم (٣٣٩٣).

وبالعمل التطوعي يتجسد مبدأ التكافل الاجتماعي والمواساة والإيثار، والإحساس بالآخرين، فكل خصلة من خصال الخير التي أمر الله تعالى بفعلها، أو خصلة من خصال الشر التي أمر بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره - من إخوانه المؤمنين - عليها، بكل قول وفعل يبعث عليها، وينشط لها، وبالعكس كذلك، وهذا فيه تحقيق للترابط والتآلف والتآخي بين المسلمين، وفي قران الله تعالى بين البر والتقوى في هذه الآية، إعلام بأن من جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته، وعمت نعمته؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس[1].

٧. بالعمل التطوعي يتحقق الإيمان ويقوم المسلم بعدة عبادات:

العمل التطوعي دليل واضح على صدق الإيمان، إذ يقوم المسلم بذلك العمل ولا يرجو ثوابه إلا من عند الله تعالى، وبالعمل التطوعي يقوم المسلم بعدة عبادات عظمى، منها الصبر، ومنها إعانة المحتاجين، ومنها تذكر نعم الله تعالى، ومنها استثمار الوقت في المفيد والنافع، ومنها الشكر لنعم الله تعالى من صحة، وعافية، وحواس سليمة، وبدن معافى، وتعلم علم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢][2].

٨. بالعمل التطوعي يتحقق وعد الله تعالى بنيل الأجر العظيم:

وعد الله تعالى من تطوع مبتغياً به وجه الله وطالباً رضاه، بالأجر العظيم، والعطاء الكثير الجزيل الواسع، قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، ومباركة ذلك العمل، وتنمية أجره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] والجزاء المضاعف أضعافاً كثيرة قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦/٤٦ - ٤٧)، وتفسير السعدي (١/٤٩٢).
(٢) انظر: تفسير السعدي (١/٢٤٨).

لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وبمغفرة الذنوب وتكفير السيئات ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

٩. نيل محبة الله تعالى:

من ثمرات الأعمال التطوعية نيل العبد لمحبة الله تعالى، وهي غاية وأمل كل مؤمن بالله تعالى، متبع لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبة الله تعالى للعبد سبب لصلاحه، وفلاحه، وخيريته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ ففي هذه الآية أمر من الله تعالى بالإنفاق في سبيله في سائر وجوه القُربات، ووجوه الطاعات، ثم عطف بالأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة، والمعنى: أحسنوا أعمالكم، وأخلاقكم، وتفضلوا على الفقراء، يحبكم الله تعالى، وهذا فيه إعلام بأن الله يحب من كان الإحسان صفة له، ومن أحبه الله لهذا الوصف فينبغي أن يقوم وصف الإحسان به دائماً، واللام للاستغراق العرفي والمراد المحسنون من المؤمنين(١).

١٠. معية الله تعالى الخاصة للمحسنين:

بين الله تعالى في كتابه الكريم أنه تعالى مع عباده المحسنين، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، والمحسنون هم الذين أحسنوا في عبادة الله، وأحسنوا إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه، والشفقة عليهم، والمعية هنا بالنصر، والتأييد، والإعانة، والتوفيق، والتسديد، والفضل، والرحمة، والولاية، وهذه معية خاصة فالله يحفظهم ويكلؤهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم، ومن كان الله معه فلا عليه ممن يكيدون وممن يمكرون.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢٣٩/١)، وتفسير البحر المحيط (١١٧/٥، ١٢١)، وتفسير ابن كثير (٢٣٦/١)، وتفسير ابن عاشور (٢١٦/٤).

وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه، من غير أن تكون إحداهما تتمة للأخرى، وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث، كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم، وتقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية مقدمة على التحلية، وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله(١).

١١. دخول الجنة:

وعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أهل الإيمان المتطوعين بأعمال الإحسان، المسارعين فيها، بجنة عرضها السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤](٢).

١٢. رؤية وجه الله الكريم في الجنة:

أخبر الله تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان، والعمل الصالح، فأحسن في عبادة الخالق، بأن عبده على وجه المراقبة، والنصيحة في عبوديته، وقام بما قدر عليه منها، وأحسن إلى عباد الله بما يقدر عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، بأن له الجزاء العظيم الذي يفوق كل جزاء، فقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، فهؤلاء الذين أحسنوا لهم: ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ وهي الجنة الكاملة في حسنها، ﴿وَزِيَادَةٞ﴾ وهي النظر إلى وجه الله الكريم،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦١٤/٢ - ٦١٥)، وتفسير الخازن (١٠٨/٣)، وتفسير البيضاوي (٤٢٨/٣)، وتفسير الآلوسي (٦٦٥/١٤)، وتفسير السعدي (٦٧/٣)، وتفسير ابن عاشور (٣٣٨/١٣).

(٢) انظر: تفسير الآلوسي (٣٧٠/٤، ٣٧٢ - ٣٧٤)، وتفسير ابن عاشور (٨٨/٤، ٩٠ - ٩١).

وهذا هو تفسير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للزيادة، فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ - قَالَ - يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ! قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ»، وزاد في رواية، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1]، رزقنا الله تعالى لذة النظر إلى وجه الكريم[2].

(١) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (١٦٣/١) رقم (١٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٥١٩/٤).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإني في نهاية هذا البحث الذي أرجو من الله تعالى أن يتقبله مني، أذكر أهم وأبرز ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولاً: النتائج:

١. تنوعت أساليب القرآن الكريم في التعبير عن العمل التطوعي، واعتباره إحساناً، وقرضاً حسناً، وصدقة، وبراً، وخيراً، وغير ذلك.

٢. أظهرت الدراسة ما يجب على المتطوع من صفات ينبغي قيامه بها.

٣. للعمل التطوعي في القرآن الكريم مناحٍ عديدة ومظاهر متجددة، ذكر الله تعالى أمثلة كثيرة لها يتقرب بها العبد لربه، ويحسن بها إلى عباد الله تعالى.

٤. كثرت أمثلة المتطوعين في القرآن الكريم؛ ليكونوا أسوة لنا، ونماذج عملية رائدة في العمل التطوعي.

٥. للعمل التطوعي ثمار يانعة يجنيها الفرد المسلم والمجتمع في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

ثانياً: التوصيات:

١. كتابة رسالة علمية في العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم؛ تبرز عظمة القرآن الكريم، وصلاحه لكل زمان ومكان، واهتمامه بحاجات البشر وسده لها.

٢. ضرورة غرس وتعزيز ثقافة العمل التطوعي في المجتمع، عبر المناهج والمقررات الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية، والمؤسسات الاجتماعية ليصبح التطوع عادة ومنهجاً تقبل عليه كل فئات المجتمع؛ ولا سيما الأجيال الناشئة باعتباره مظهراً لالتزام الفرد بدينه وقيمه ومسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه.

٣. إنشاء مراكز وكراسيَّ بحثية للدراسات التطوعية، وتنظيم الندوات العلمية، والدورات التدريبية التي تتناول قضايا جديدة في العمل التطوعي، تتوافق مع متطلبات التنمية بوجه عام.

٤. إعداد خطة علمية لإعداد البحوث العلمية في ميادين العمل التطوعي بالتعاون مع الجامعات ومراكز البحث العلمي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: الكتب العلمية:

١. **أحكام القرآن**: لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ طبع.

٢. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود**: لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ طبع.

٣. **أسباب النزول**: لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، تحقيق: السيد أحمد صقر، طبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية، السعودية، مؤسسة علوم القرآن، سوريا، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).

٤. **الأشباه والنظائر**: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم طبعة (١٤٠٣هـ).

٥. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون رقم طبعة (١٣٨٤هـ).

٦. **إعراب القراءات الشواذ**: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ).

٧. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بتفسير البيضاوي**: لأبي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: عبد القادر عرفان العشا حسونة، طبعة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

٨. **البحر المحيط**: لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، تحقيق د. عبد الرزاق المهدي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٩. **البحر المحيط في أصول الفقه**: لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق د. محمد محمد تامر، طبعة دار الكتب العلمية، لبنان (١٤٢١هـ).

١٠. **البداية والنهاية**: لإسماعيل بن كثير القرشي، طبعة الكتب العلمية، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ).

١١. **التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور**: لمحمد الطاهر بن عاشور، طبعة مؤسسة التاريخ، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

١٢. **التطوع في الدفاع المدني والحماية المدنية**: لمساعد بن منشط اللحياني، بدون مطبعة، بدون بلد طبع، الطبعة الأولى (١٩٩٤م).

١٣. **تفسير القرآن العزيز، المعروف بتفسير ابن أبي زمنين**: لابن أبي زمنين محمد بن عبدالله، تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

١٤. **تفسير القرآن العظيم، المعروف بتفسير ابن كثير**: لإسماعيل بن كثير القرشي، طبعة دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ).

١٥. **تفسير القرآن العظيم، المعروف بتفسير السمعاني**: لمنصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم، طبعة دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ).

١٦. **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين المعروف بتفسير ابن أبي حاتم**: لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد بن محمد الطيب، طبعة مكتبة نزار الباز، السعودية، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ).

١٧. **تفسير عبد الرزاق**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د: محمود محمد عبده، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ).

١٨. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى، طبعة مؤسسة قرطبة، بدون بلد طبع، بدون رقم طبعة، بدون تاريخ طبع.

١٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: محمد زهري النجار، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٤هـ).

٢٠. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المعروف بتفسير الطبري**: للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، طبعة دار هجر، الجيزة، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٢١. **الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري**: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه د. بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون، تونس، بدون رقم طبعة (١٤١٣هـ).

٢٢. **الجامع لأحكام القرآن**: لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة دار الكتاب العربي، بدون بلد طبع، الطبعة الخامسة (١٤٢٣هـ).

٢٣. **الجامع لشعب الإيمان**: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ومختار أحمد الندوي، طبعة مكتبة الرشد، الرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي الهند، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٢٤. **حجة القراءات**: لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، تحقيق: سعيد الأفغاني، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م).

٢٥. **الخدمات التطوعية في الكتاب والسنة؛ مفهومها، وأهميتها، ومجالاتها**: للدكتور محمد سعيد بن محمد حسن بخاري، طبعة دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

٢٦. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٢٧. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: لمحمود أفندي الآلوسي البغدادي، تحقيق: محمد أحمد الأمد ومحمد عبد السلام السلامي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

٢٨. **روضة الناظر وجنة المناظر**: لابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد، تحقيق د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ).

٢٩. **زاد المسير في علم التفسير**: لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي البغدادي، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ).

٣٠. **زاد المعاد في هدي خير العباد**: لأبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة عشر، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٦هـ).

٣١. **سنن ابن ماجه**: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٣٢. **سنن أبي داود**: لسليمان بن الأشعث السجستاني، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه د. بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٣٣. **سنن الترمذي**: لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه د. بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٣٤. **السنن الكبرى**: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي: لعلاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، نشر مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الطبعة الأولى (١٣٤٤هـ).

٣٥. **سنن النسائي**: لأحمد بن شعيب النسائي، أشرف عليه ورقمه د. بدر الدين جتين أر، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٣٦. **سيرة النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، بدون رقم طبعة، بيروت (١٤٠١هـ).

٣٧. **شرح شافية ابن الحاجب**: لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، طبعة دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة، بيروت (١٣٩٥هـ).

٣٨. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: لمحمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت (١٣٨٨هـ).

٣٩. **صحيح مسلم**: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٤٠. **صحيح مسلم بشرح النووي**: لأبي زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، طبعة دار الحديث، الطبعة الأولى، القاهرة (١٤١٥هـ).

٤١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الريان للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة (١٤٠٧هـ).

٤٢. **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير المعروف بتفسير الشوكاني**: محمد بن علي الشوكاني، طبعة دار الفكر، بدون رقم طبعة، بيروت (١٤٠٣هـ).

٤٣. **الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق**: لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، طبعة دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة، بيروت (١٤١٨هـ).

٤٤. **الفروق اللغوية**: لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، طبعة دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، بدون رقم طبعة، القاهرة، مصر، بدون تاريخ طبع.

٤٥. **كتاب السبعة في القراءات**: لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، تحقيق: د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة (١٤٠٠هـ).

٤٦. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، طبعة مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، الرياض (١٤١٨هـ).

٤٧. **لباب التأويل في معاني التنزيل، المعروف بتفسير الخازن**: لعلي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت (١٤٢٥هـ).

٤٨. **لسان العرب**: لابن منظور محمد بن مكرم، طبعة دار صادر، بدون رقم طبعة، بيروت، بدون تاريخ طبع.

٤٩. **المجموع شرح المهذب**: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بدون مطبعة، بدون رقم طبعة، بدون بلد طبع، بدون تاريخ طبع.

٥٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: السيد عبد العال السيد إبراهيم، طبعة مؤسسة دار العلوم، الطبعة الأولى، الدوحة (١٤١١هـ).

٥١. **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل**: لابن بدران عبد القادر بن أحمد بن مصطفى ابن عبد الرحيم، تحقيق: محمد أمين ضناوي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت (١٤١٧هـ).

٥٢. **المسند**: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت (١٤٠٤هـ).

٥٣. **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: مجموعة من الأساتذة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت (١٤١٩هـ).

٥٤. **المصنف**: لابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي الكوفي، تحقيق: محمد عوامة، بدون مطبعة، بدون رقم طبعة، بدون بلد طبع، بدون تاريخ طبع.

٥٥. **المصنف**: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت (١٤٠٣هـ).

٥٦. **معالم التنزيل المعروف، بتفسير البغوي**: للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت (١٤٢٣هـ).

٥٧. **معاني القرآن**: لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، طبعة مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الثالثة، القاهرة (١٤٢٢هـ).

٥٨. **المعجم الاشتقاقي في المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها**: للأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل، طبعة مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، القاهرة (٢٠١٠م).

٥٩. **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، بدون رقم طبعة، القاهرة (١٤١٥هـ).

٦٠. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**: لمحمد فؤاد عبد الباقي، بدون مطبعة، بدون رقم طبعة، بدون بلد طبع، بدون تاريخ طبع.

٦١. **معجم مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الجيل، الطبعة الأولى، بيروت (١٤١١هـ).

٦٢. **معرفة الصحابة**: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، طبعة دار الوطن، الطبعة الأولى، الرياض (١٤١٩هـ).

٦٣. **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**: لابن قدامة المقدسي أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن محمد، بدون مطبعة، بدون رقم طبعة، بدون بلد طبع، بدون تاريخ طبع.

٦٤. **مفاتيح الغيب، المعروف بتفسير الرازي**: لمحمد بن عمر التميمي الشافعي الرازي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت (١٤٢١هـ).

٦٥. **منهاج الطالبين وعمدة المفتين**: لأبي زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، بدون مطبعة، بدون رقم طبعة، بدون بلد طبع، بدون تاريخ طبع.

٦٦. **موسوعة أطراف الحديث النبوي**: لمحمد السعيد بن بسيوني، طبعة عالم التراث، الطبعة الأولى، بيروت (١٤١٠هـ).

٦٧. **الموسوعة الفقهية الكويتية**: صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، طبعة مطابع دار الصفوة، الطبعة الأولى، مصر، بدون سنة طبع.

٦٨. **الموطأ**: للإمام مالك بن أنس، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار سحنون، بدون رقم طبعة، تونس (١٤١٣هـ).

٦٩. **النشر في القراءات العشر**: لابن الجزري محمد بن محمد الدمشقي، أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، طبعة دار الكتب العلمية، بدون رقم طبعة، بيروت، بدون سنة طبع.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

- **العمل التطوعي في السنة النبوية، دراسة موضوعية**: رسالة ماجستير، من إعداد الباحثة: رندة محمد زينو، قسم الحديث الشريف وعلومه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

- صيد الفوائد.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	٢٤٩
المقدمة	٢٥٠
أسباب اختيار الموضوع	٢٥١
أهداف البحث	٢٥١
الدراسات السابقة	٢٥١
الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة	٢٥٢
خطة البحث	٢٥٢
منهج البحث	٢٥٣
تمهيد: مفهوم العمل التطوعي	٢٥٤
العمل في اللغة	٢٥٤
التطوع في اللغة	٢٥٤
العمل التطوعي اصطلاحاً	٢٥٥
المبحث الأول: أسلوب القرآن الكريم في الحث على العمل التطوعي	٢٥٧
١. اعتبار العمل التطوعي إحساناً	٢٥٧
٢. اعتبار العمل التطوعي قرضاً حسناً	٢٥٨
٣. اعتبار العمل التطوعي صدقة	٢٥٩
٤. اعتبار العمل التطوعي براً	٢٦٠
٥. اعتبار العمل التطوعي خيراً	٢٦٣
٦. إعطاء الغارم في إصلاح ذات البين من الزكاة	٢٦٥
٧. التحذير من التثبيط عن فعل التطوع	٢٦٧

الموضوع	الصفحة
٨. التحذير من الاتصاف بصفات المكذبين بيوم الدين	٢٦٩
المبحث الثاني: صفات العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم	٢٧٢
أولاً: إخلاص العامل في عمله	٢٧٢
ثانياً: اتباع النبي ﷺ في التطوع بالخير	٢٧٣
ثالثاً: إتقان العمل	٢٧٣
رابعاً: معرفة حكم العمل التطوعي	٢٧٤
خامساً وسادساً: القوة والأمانة	٢٧٤
سابعاً وثامناً: الحفظ والعلم	٢٧٥
تاسعاً: الاتصاف بالصلاح في التعامل	٢٧٦
المبحث الثالث: أمثلة على العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم	٢٧٧
الأول: عمارة المساجد	٢٧٧
الثاني: إطعام الطعام	٢٨٠
الثالث والرابع والخامس: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس	٢٨٢
السادس: الإنفاق في وجوه البر والإحسان	٢٨٦
السابع: الشفاعة للآخرين في أمور الخير	٢٨٩
الثامن: العفو عن من قتل خطأً	٢٩٠
التاسع والعاشر: إنظار المعسر، والوضع عنه	٢٩١
الحادي عشر: كتابة الحقوق والديون	٢٩٤
الثاني عشر: تحمل الشهادة وأداؤها	٢٩٥
المبحث الرابع: نماذج من المتطوعين من خلال القرآن الكريم	٢٩٧
١. ذكر شيء من الأعمال التي تطوع بها النبي محمد ﷺ	٢٩٧
أ. شراء النبي ﷺ لأرض المسجد النبوي ووقفه لها	٢٩٨

الموضوع	الصفحة
ب. تعاون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بناء المسجد	٢٩٨
ج. مشاركته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حفر الخندق	٢٩٩
د. سعي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للإصلاح بين الناس	٣٠٠
أمثلة من مواقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإصلاح بين الناس	٣٠٠
هـ. نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمظلوم	٣٠١
٢. إكرام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ للضيف	٣٠٢
٣. تطوع يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ بأعمال جليلة لأهل السجن	٣٠٣
٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يتطوع بالسقي لامرأتين	٣٠٣
٥. بناء الخضر عَلَيْهِ السَّلَامُ الجدار تطوعاً	٣٠٥
٦. مسارعة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الخيرات	٣٠٦
٧. تطوع ذي القرنين ببناء الردم	٣٠٧
٨. نماذج من تطوع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ	٣١١
المبحث الخامس: ثمار العمل التطوعي من خلال القرآن الكريم	٣١٤
١. هداية الله تعالى وإرشاده للمتطوعين	٣١٤
٢. التحلي بصفات عباد الله تعالى من المرسلين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين	٣١٥
٣. إعانة الله تعالى لعبده المتطوع	٣١٥
٤. البشارة من الله تعالى بسعادة الدنيا والآخرة	٣١٥
٥. آثار العمل التطوعي في الصحة النفسية	٣١٦
٦. بالعمل التطوعي يتحقق الترابط والتآلف والتآخي بين المسلمين	٣١٧
٧. بالعمل التطوعي يتحقق الإيمان ويقوم المسلم بعدة عبادات	٣١٨
٨. بالعمل التطوعي يتحقق وعد الله تعالى بنيل الأجر العظيم	٣١٨
٩. نيل محبة الله تعالى	٣١٩

الموضوع	الصفحة
١٠. معية الله تعالى الخاصة للمحسنين	٣١٩
١١. دخول الجنة	٣٢٠
١٢. رؤية وجه الله الكريم في الجنة	٣٢٠
الخاتمة	٣٢٢
فهرس المصادر والمراجع	٣٢٤
فهرس الموضوعات	٣٣٢

أخبار المجمّع

- تابع أعضاء مركز الدراسات القرآنية العمل في تحقيق كتاب «**إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**» للدمياطي، وتخريج نصوصه من مظانّها الأصلية. وقد تمَّ إنجاز دراسة حواشي النسخ الخطية، وبلغ عددها خمس عشرة نسخة، كما شرع فريق العمل في مراجعة توثيق خدمة النص وضبطه، وقد تم إعداد معظم مادة مقدمة التحقيق، وبذلك يكون تحقيق الكتاب ودراسته قد قطع شوطاً طيباً. والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لم يَحْظ بخدمة علمية في تحقيق نَصِّه وتوثيقه وتصويبه. ويأمل الفريق تسليم نصِّ الكتاب محققاً في موعده إن شاء الله.
- سوف يدفع المركز «**معجم كُتّاب المصحف**» للصفِّ الإلكتروني، بعد أن فرغ من مراجعته مراجعة شاملة من قِبل اللجنة التي قامت بإعداده.
- سوف يدفع المركز «**المعجم الميسر لموضوعات القرآن الكريم**» للصفِّ الإلكتروني بعد مراجعته النهائية.
- سوف يدفع المركز «**تفسير إسحاق البستي**» إلى وحدة التحضير في المجمع للبدء في تجهيزه للطباعة.
- أنجزت اللجنة المكلفة بمراجعة كتاب «**الفقه الميسر**» عملها، وأعدَّت تقريرها المفصَّل حوله.
- كلَّف نائب الأمين العام للشؤون العلمية لجنة من أعضاء المركز بمراجعة شاملة لفهرس مكتبة الشؤون العلمية، وإعداد نسخة جديدة لهذا الفهرس.
- بدأت مراجعة ترجمة «**التفسير الميسر**» إلى لغة الجولا.

- موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الآتية قيد الدراسة:
  - الصربية.
  - القمرية.
  - الولوفية.
- تتم الآن إعادة طبع الترجمات الآتية:
  - الأردية.
  - الإسبانية.
  - الإنكليزية.
  - الفرنسية.

علماً بأن الترجمتين الأردية والإنكليزية تمت إعادة صفهما.

- تم نقل تسجيل الترجمة الأورومية من الأشرطة إلى قرص، وتمت مراجعتها من الناحيتين الفنية والعلمية.
- إن عمل اللجنة العلمية لمراجعة المصحف يتناول المصاحف المطبوعة، والمصاحف الحاسوبية، والمصاحف المرتلة، كما يشمل ما يرد إلى المجمع من مصاحف مخطوطة ومطبوعة من الجهات الرسمية داخل المملكة أو ما قد يرد من الخارج، وذلك بغرض مراجعتها وكتابة تقرير عنها.

كما يتناول أيضاً ما يرد إلى اللجنة من استفسارات حول مراجعة المصاحف وطباعتها، والبحوث المتعلقة برسم القرآن الكريم وضبطه، وعلامات الوقف، وعلوم القرآن بشكل عام، وتقوم اللجنة العلمية أيضاً بمراجعة عينات من جميع المستخلصات المقروءة والمسموعة التي يصدرها المجمع، للتأكد من سلامة النص القرآني.

كما تشارك اللجنة العلمية في إقامة الدورات التجويدية التي يقيمها المجمع كل عام على مدى سبعة أشهر بالمسجد النبوي الشريف، للراغبين في عرض القرآن

الكريم وفق رواية حفص عن عاصم الكوفي من طريق الشاطبية، وذلك ابتداء من (١٤١٩هـ - ١٤٢٠هـ) حتى عام (١٤٣٨هـ - ١٤٣٩هـ)، وقد تخرج في هذه الدورات على امتداد تسعة عشر عاماً (٤١٧) من الدارسين، وفي الدورة الحالية يدرس ثلاثة وعشرون دارساً وهي الدورة العشرون.

- المصاحف التي تمت مراجعتها من قبل اللجنة العلمية وإصدارها على النحو التالي:

١. الانتهاء من مراجعة المصحف الكريم المعالج حاسوبياً وفق رواية حفص.
٢. الاستمرار في مراجعة مصحف ورش المعالج حاسوبياً المعد للطباعة، فقد أوشكت مراجعته على النهاية.
٣. الاستمرار في مراجعة تطبيق مصحف المدينة النبوية للنشر المدرسي.
٤. الاستمرار في مراجعة مصحف البزي المعد للاستخدامات الحاسوبية، فقد أوشكت مراجعته على النهاية.
٥. الاستمرار في مراجعة مصحف قنبل المعد للاستخدامات الحاسوبية، فقد أوشكت مراجعته على النهاية.

- المصاحف المرتلة بالمجمع:

١. الانتهاء من سماع التسجيل «وفق رواية السوسي»، بصوت الشيخ/ عثمان صديقي، وتم إدخال الملاحظات التي ظهرت للجنة حتى نهاية المصحف، وهو قيد المونتاج لسماع المراجعة النهاية.
٢. الانتهاء من سماع التسجيل «وفق رواية الدوري»، بصوت الشيخ/ عبد الله عواد الجهني، وتم إدخال الملاحظات إلى نهاية القرآن الكريم، وهو قيد المونتاج لسماع المراجعة النهاية.
٣. مواصلة مراجعة تسجيلات المصحف المرتل «وفق رواية حفص»، بصوت الشيخ/ ماهر المعيقلي.

- قام مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه بجلب عروض أسعار تطبيق: «**مصحف المدينة النبوية**» على منصتي: (Android, iOS)، من خمسٍ وعشرين شركة تقنية، ودراستها واختيار ثلاث شركات مرشحة - وفق معايير محددة - للقيام بتصميم التطبيق.
- كما وضع المركز جدولاً تفصيلياً لأسعار الخصائص التقنية لتطبيق: «**مصحف المدينة النبوية**» على منصتي: (Android, iOS)، وتكلفة كل خصيصة لأنظمة التشغيل المذكورة وفق صيغة العقد.

- وأعدَّ كذلك صيغة فيلم مختصر تعريفي بطريقة الرسوم المعلوماتية (موشن جرافيك Motion Graphic)؛ لإنتاج فيديو تصويري عن تطبيق: «مصحف المدينة النبوية».

- وواصل المركز مراجعة «**مصحف المدينة النبوية**» **غير الموجَّه** «**وفق ترتيب مصحف الشَّمَرْلي**»: من أول سورة الروم إلى نهاية القرآن الكريم، وسيكون هذا المصحف الشريف ضمن تطبيق «مصحف المدينة النبوية» على أنظمة التشغيل العالمية على منصتي: (Android, iOS).

- وبادر بتجهيز متطلبات تطبيق: «**مصحف المدينة النبوية**» على المنصات العالمية، من:
  - نصوص المصاحف ومراجعتها.
  - التلاوات القرآنية.
  - الترجمات النصية.
  - الترجمات الصوتية.
  - الكتب النصية.
  - الكتب الصوتية.
  - المواد العلمية الأخرى.

- قام المركز بصناعة قالب برمجي لمشروع «**التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة**»؛ وذلك بتصميم الشَّارة الرئيسة للدخول للبرنامج (تصميم جزء من المجمع بشكل ثلاثي الأبعاد)، وإنجاز الهُوِيَّة البصرية للإصدار من: (الشِّعار - طرق التنقل بين المشاهد - طريقة الكتابة - الألوان... إلخ).

- وانتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار الرابع - من مشروع: «**التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة**» - الذي بعنوان: «**تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في العبادات**».

- كما انتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار الخامس - من مشروع: «**التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة**» - الذي بعنوان: «**تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في المعاملات**».
- وكذلك انتهى المركز من إعداد صيغة الإصدار السادس - من مشروع: «**التفسير الموضوعي لمعاني القرآن الكريم بلغة الإشارة**» - الذي بعنوان: «**تفسير آيات مختارة في موضوعات مهمة في الأخلاق والآداب**».
- أعدَّ المركز التحليل الشامل والتصميم الأوليَّ لموقع المركز من حيث المحتويات، والمواصفات التقنية، واعتماد منصة (وورد بريس)؛ لإنشاء الموقع وإدارته.

- قام المركزُ بالتهيئة لمشروع: «**المعجم الرَّقْمي المصنَّف لمصطلحات علوم القرآن الكريم**»؛ وذلك برصد مواقع المصادر إلكترونياً وتجهيز روابطها، ثم البدء في المرحلة الأولى من جمع مصطلحات المعجم.
- انتهى مركز البحوث الرقمية لخدمة القرآن الكريم وعلومه من مراجعة وتدقيق التسجيل الصوتي لكامل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية، ويقوم الفني المختص في استديو المجمع بعمل المونتاج النهائي للترجمة، وتقطيع معاني الآيات على مستوى رقم الآية الواحدة؛ لاستخدام هذه الترجمة الصوتية في أعمال المجمع المتعددة.
- الانتهاء من إعداد مشروع تطبيق «**مصحف المدينة النبوية للنشر المدرسي**»، والمشروع قيد مراجعة اللجنة العلمية، وهو أداة حاسوبية تستخدم لعرض مصحف المدينة النبوية والبحث عن نصوص الآيات القرآنية، وإدراجها في برامج النشر المكتبي، على هيئة خط حاسوبي (True type font) مطابق للرسم العثماني المستخدم في مصحف المدينة النبوية.

ويعدُّ تطبيق: «**مصحف المدينة النبوية للنشر المدرسي**» تطوراً طبيعياً لتجربة المجمع الممتدة لأكثر من عقد من الزمان، في مجال إنتاج خطوط الرسم العثماني المطابقة للمصحف، ومروراً بإصدار البرنامج الشهير «مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي» بإصداريه الأول والثاني.

وقد بادر المجمع بإنتاج تطبيق: «**مصحف المدينة النبوية للنشر المدرسي**»، بناء على ما لمسه من حاجة طلبة العلم الشرعي، وطلبة المدارس عموماً إلى نسخة ميسَّرة من التطبيق تختلف عن نسخة الجهات المتخصصة (مثل دور النشر والمكتبات العلمية)؛ لتكون سهلة الاستخدام، وتتضمن واجهة متطورة تبنى خصيصاً لهذا الغرض، وتساعد على تخفيف العبء على أجهزة الحاسب ذات السعة الصغيرة - التي يستخدمها الطلاب - بتثبيت ملف خط واحد لكل رواية، بدلاً من تثبيت عدد (٦٠٤) ملفات للخطوط، مثل ما هو مطبق حالياً في تطبيق «مصحف النشر الحاسوبي».

- الانتهاء من مشروع «**خادم صور الآيات والتطبيق الخاص به على الفيس بوك**»: وهو عبارة عن برنامج حاسوبي شبكي (server side software) تم بناؤه على أحد خوادم الشبكات التابعة للمجمع، ومهمته استقبال طلبات المستفيدين (resquest) ذات العلاقة بالرغبة في الحصول على صور نصوص الآيات القرآنية من مصحف المدينة النبوية برواية حفص، ومن ثمَّ يقوم الخادم بالردِّ على الطلبات (response) بإرسال الإجابة المناسبة حسب ما يحدده المستفيد من خصائص التحكم في حجم الخط ولونه.

ويهدف هذا التطبيق إلى خدمة العديد من مستخدمي مواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي للحصول على أي آية قرآنية، أو جزء منها بصيغة صورة (منعاً لحدوث أي خطأ في النص القرآني)؛ مما يسهم في القضاء على تداول النصوص القرآنية التي تحتوي على أخطاء.

- الانتهاء من إنجاز ثلاثة خطوط حاسوبية لمصحف المدينة النبوية، متوافقة مع الترميز المعياري (Unicode) للروايات التالية:

أ. مصحف (خط الرسم العثماني - قالون).

ب. مصحف (خط الرسم العثماني - السوسي).

ج. مصحف (خط الرسم العثماني - الدوري).

وسيتم نشرها قريباً على موقع مجموعة الخطوط الحاسوبية التابع لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

- **المصحف التقني الجديد:**

تم البدء بعون الله وتوفيقه مع استئناف العمل في المجمع وتشغيله الذاتي من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، بطباعة نسخة محسنة من مصحف المدينة النبوية في (١٤٣٩/٠٤/٠٦هـ)، فيما يلي نبذة موجزة للتعريف به وعن بعض مزاياه.

التعريف بالمشروع:

هو مشروع المعالجة الرّقمية وتنفيذ التحسينات الجمالية المقترحة على خط مصحف المدينة النبوية برواية حفص، وهو من المشروعات الرائدة في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ويهدف إلى معالجة خط مصحف المدينة النبوية الّذي تم طباعته عام (١٤٢٢هـ)؛ وذلك لأجل إنتاج خط عالي الجودة من خلال معالجة وتحسين منحنيات الأجزاء الدقيقة للرسم العثماني المستخدم في الخط المكتوب باليد، عبر برامج حاسوبية متقدمة معدّة لهذا الغرض، بالإضافة إلى تحسين جودة الزخرفة في علامات الأجزاء والأحزاب وعلامات الأرقام المستخدمة في الخط؛ ممَّا يساعد على إظهار الخط اليدوي بجودة عالية.

من مزايا هذا المصحف:

أثمرت هذه البرامج التقنية ضَبْطَ النص القرآني، لتظهر المصطلحات والحركات في مكانها الدقيق، كما أثمرت توحيد المسافات بين مفردات السطر الواحد، وتوحيدها بين الأسطر، وإبراز موضع رقم الآية آخر السطر، وإثبات اسم السورة وبدايتها في الصفحة نفسها. وقد راعى الإصدار الجديد المحافظة على عدد الأسطر في جميع الصفحات، وتوافرت فيه خصيصة تكبير حجم الخط وتصغيره، مع المحافظة على صفاء الحروف. وكان من مخرجات المعالجة الحاسوبية تصغير حجم الملفات، وتقليل سعة التخزين الإلكتروني، وقد حقق هذا اختصاراً للوقت في جميع مراحل الطباعة.

كما أن هذا الإصدار سيكون أساساً لإنتاج الروايات الأخرى للمصاحف. وقد نَفَّذَ مراحل العمل كافة فريقُ عملٍ متخصص بالمعالجة الرقمية بإشراف خطاط المجمع.

- **الزيارات التي تمت للمجمع عام (١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ):**
  - ضيوف خادم الحرمين الشريفين من ذوي الشهداء الفلسطينيين في (١٤٣٨/١٢/١٤هـ).
  - ضيوف خادم الحرمين الشريفين من أسر الشهداء للجيش والشرطة المصرية في (١٤٣٨/١٢/١٥هـ).

- ضيوف خادم الحرمين الشريفين من حجاج البعثة العسكرية التابعة لقوة دفاع البحرين في (١٤٣٨/١٢/١٦هـ).
- ضيوف مسابقة الملك عبد العزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم في (١٤٣٩/١/٢٤هـ).
- صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد الفيصل في (١٤٣٩/١/٢٩هـ).
- رئيس اللجنة الحكومية للمنظمات الدينية في جمهورية أذربيجان في (١٤٣٩/٢/١٣هـ).

من إصدارات

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

الترجمة الروسية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٣٧

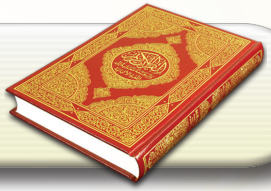

الترجمة الألبانية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ١٤

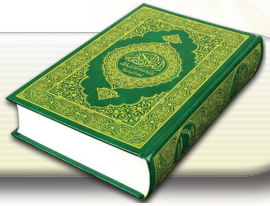

ترجمة الشيشوا

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٣٨

الترجمة الفيتنامية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٤٣

الترجمة المندرية

المقاس: ١٤ × ٢١ سم

الرمز: ٤٠٠٠/د ٣٩

Voluntary Service in the Light of the Glorious Qur'ān

Dr. Abdullāh ibn Sālim bā Faraj[1]

This paper deals with the following topics:

- How Islam pays special attention to voluntary service.
- The different ways in which Islam encourages voluntary service.
- The divine reward promised for the volunteer.
- Examples of voluntary service, and of volunteers.

(1) Associate professor, Faculty of Sharī'ah & Islamic Studies, Centre for Islamic Studies, Umm al-Qurā University.

Study of the Qaṣīdah by Imām Abū Muzāḥim al-Khāqāni Pertaining to Correctness of Prounounciation

Dr. Ḥāzim ibn Sa'īd al-Sa'īd(1)

This is a study of the splendid *qaṣīdah* - which is one of the best examples of didactic poetry - by Imām Abū Muzāḥim Mūsa ibn 'Ubaydullāh al-Khāqāni (died 325AH) which is the first book written on *tajwīd*.

This paper deals with the importance of the *qaṣīdah*, the interest evinced by scholars in its transmission and its *isnād*, its commentaries, and how it has maintained its presence for nine hundred years in the academic circles specializing in Qur'ānic Readings with scholars of this science quoting from his *qaṣīdah* to prove points in the science of *tajwīd*.

Scholars had so much admiration for this *qaṣīdah*, that a number of them imitated it in form and content.

The paper also deals with the publication of the *qaṣīdah* and its various editions.

(1) Director, Centre for Digital Research for the Service of the Glorious Qur'an and its Sciences, King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex.

Analysis of Texts in the Books of Qur'anic Readings

The Chapter on *Idghām* in Ibn Bādhish's *Al-Iqnā' fi l-Qirā'āt al-Sab'* as Specimen

Dr 'Ādil Ibrāhīm Abū Sha'ar[1]

This paper deals with the methods of analyzing the texts and studying the contents of books specializing in the sciences of Qur'anic Readings. These methods reveal a series of interactions whilst reading such texts, and have a positive impact on comprehending the methods of analyzing similar texts, probing their depths, discovering their secrets and methodologies, and understanding the thought processes of their authors. Not only does this study deal with abstract theories, but it also translates the abstract into a tangible reality that can be sensed and relished, by focusing on *idghām*, which is a large subdivision of the study of Qur'anic Readings. In fact this paper is a study of the book *Al-Iqnā' fi l-Qirā'āt al-Sab'* by Imām Abū Ja'far Aḥmad bin Alī bin Aḥmad bin Khalaf al-Anṣāri of Granada, also known as Ibn al-Bādhish (d. 540^{AH} -1145^{CE}). The reason for this research is the dearth of studies that analyze the language, vocabulary, and issues within the texts of Qur'anic Readings. *Al-Iqnā'* was chosen for its comprehensiveness that covers both *riwāyah* and *dirāyah*, and for its high esteem among the books of Qur'anic Readings, while most of the readings presented in the book remain authentic with connected and authenticated *isnād* to the present day.

(1) Associate Professor in the Dept. of Qur'ānic Readings & Qur'ānic Studies, International University of Islamic Sciences, Jordan, Amman.

Qur'ānic Exegesis by 'Abd al-Raḥmān ibn Zayd ibn Aslam Collected from the First Ḥizb of Tafsīr Jāmi' al-Bayān

Dr. Hind bint Ibrāhīm al-Tuwayjirī(1)

The paper aims at ascertaining the originality of this type of Qur'anic exegesis. It also aims at finding out the methodology used by 'Abd al-Raḥmān in explaining the Qur'an by the Qur'an in his application of this principle.

Methods used in the study: inductive, deductive and analytical.

The study has proved that 'Abd al-Raḥmān ibn Zayd's exegesis of the Qur'an in the light of the Qur'an is the most extensive exegesis by the *salaf*, and 'Abd al-Raḥmān ibn Zayd is one of the most important exegetes who laid the foundation of this type of exegesis by his extensive application of this principle, and the variety of application, and the correctness of the *tafsīr*.

Some of the most important recommendations of the paper are:

To complete the project initiated by the researcher so that other researchers may benefit from it.

(1) Associate Professor of *Tafsīr* & Qur'anic Sciences, Dept. of Qur'anic Studies, Faculty of Arts & Humanities, Ṭaybah University.

Abstracts of Arabic Articles

The Problem of the Semantic Appropriateness of Joining the *khabar* & the *inshā'* with a Conjunction in Theory & Practice: A Study in the Quranic Text

Dr. Sa'd Muḥammad 'Abd al-Ghaffār(1)

This paper deals with The Problem of the Semantic Appropriateness of Joining the *khabar & the inshā'* with a Conjunction in Theory & Practice in the light of the views of rhetoricians, grammarians and exegetes. Both their views for and against such a joining have been discussed.

(1) Teacher of Rhetorics and Literary Criticism, Faculty of Arts, al-Wadi al-Jadid, University of Asyūṭ, Egypt.

Some features of the *Muṣḥaf*:

The digital treatment of the *Muṣḥaf* has resulted in the following:

- It has helped the punctuation marks and the diacritical signs appear in their precise positions.
- The space between the words and between the lines has been unified.
- the *āyah* numbers All appear at the end of the line, and never cross over to the beginning of the next line as found in previous editions.
- *Sūrahs* do not commence at the end of a page.
- Increasing or decreasing the font size does not affect the clarity of writing.
- As a result of the digital treatment, the files have become small which in turn has resulted in lesser storage capacity, and lesser time in all the stages of printing.
- This edition will serve as the basis for similar treatment of the *muṣḥafs* according to other readings as well.
- This task was accomplished by a team of technicians specializing in digital treatment under the supervision of the Complex's calligrapher.

❑ **Visits to the Complex during 1438-1439AH:**

- Guests of the Custodian of the Two Holy Mosques, relatives of the Palestinian martyrs: 14/12/1438AH.
- Guests of the Custodian of the Two Holy Mosques, families of the martyrs of the Egyptian Army and Police: 15/12/1438AH.
- Guests of the Custodian of the Two Holy Mosques, pilgrims belonging the Bahraini Defense Force: 16/12/1438AH.
- Guests of the King 'Abdul 'Azīz International Competition for Memorizing the Glorious Qur'ān: 24/1/1439AH.
- H.R.H. Prince Sa'ūd ibn 'Abdul 'Azīz ibn Muḥammad al-Faiṣal: 29/1/1439AH.
- Chairman, Government Committee for Religious Organizations in the Republic of Azerbaijan: 13/2/1439AH.

It is a server side software which has been created in one of the net servers of the Complex. It is meant to respond to the requests of the users to provide them with images of Qur'ānic texts according to the reading of Ḥafṣ. The user may specify in his request the font size and the colour.

This app aims at providing the netizens and the users of social media with any *āyah* or part of it as an image (to avoid any mistake), and this contributes to the exchange of Qur'ānic texts free from mistakes.

- Three digital fonts for the *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah compatible with Unicode have been designed for the following Qur'ānic readings:
  - *Muṣḥaf* 'Uthmānic Orthography Font Qālūn.
  - *Muṣḥaf* 'Uthmānic Orthography Font al-Sūsī.
  - *Muṣḥaf* 'Uthmānic Orthography Font al-Dūrī.

  These fonts will be published on the website of King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex- Digital Fonts Group.

- **The New Technical *Muṣḥaf*:**

  With Allah's help and guidance, work has resumed in the Complex, and the Ministry of Islamic Affairs, Da'wah and Guidance is itself running the work in the Complex. Printing of an improved version of the *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah commenced on 6/4/1349AH. Here are some of the salient features of this improved version:

  The Project

  It is one of the pioneering projects of the Complex. It aims at aesthetically improving the calligraphy of the *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah according to the reading of Ḥafṣ printed in 1422AH by treating it digitally using highly advanced digital programmes specially designed for this purpose. This treatment aims at:
  - Creating a high quality calligraphy with high precision curves.
  - Improving the quality of floral designs indicating *ajzā'* and *aḥzāb*, and numbers indicating the *āyāt*.

- The Centre is working on the project of preparing a digital dictionary of terms used in the Qur'ānic Sciences. The electronic sources of such terms and their links have been specified. The work of collecting the terms is in progress.
- The Centre has finished revising the recording of the translation of the Glorious Qur'ān into Spanish. The work of montage and separating the *āyāt* is in progress. This digital recording will be used in the various software devices of the Complex.
- The Centre has finished preparing the app pertaining to *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah for Use in Schools. It is a digital software with the following features:
  - It displays the Madinah *Muṣḥaf*.
  - Can search *āyāt*.
  - Inscribes the required *āyāt* in the user's computer in true type font compatible with the 'Uthmānic Orthography as used in the Madinah *Muṣḥaf*.
- This app is a natural development of the Complex's decade long efforts to design Arabic fonts compatible with 'Uthmānic Orthography which culminated in the creation of the well-known software titled *Digital Publication of Muṣḥaf al-Madīnah al-Nabawiyyah*. It has two versions, the first and the second.
- The Complex went ahead to create the Madinah *Muṣḥaf* for Use in Schools as it felt that there was a need for a simplified version for use by the students of *sharī'ah* and school students in general. It is meant to be easy to operate and with less files to suit student laptops' smaller storage capacity. This app has only one font for every reading against the 604 files as found in Digital Publication *Muṣḥaf*.
- The Centre has completed the server of images of *āyāt* and its app to be used in Facebook.

- The Centre has finished preparing the sixth of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is titled *The Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of Akhlāq & Ādāb*.
- The Centre has prepared a tentative design of the Centre's website with regard to its contents and technical specifications. The WordPress has been entrusted to create and operate the site.

- The Centre has prepared the requirements of the Madinah *Muṣḥaf* app to be used on the international platforms. These are:
  - Texts of the *muṣḥaf*s.
  - Texts of the Qur'ānic translations.
  - Recordings of the Qur'ānic translations.
  - Texts of books.
  - Recordings of books.
  - Other academic materials.
- The Centre has prepared a software for the Subject-based Exegesis of the Meanings of the Glorious Qur'ān in Sign Language. It has also designed a logo for the software which consists of a 3-D representation of a part of the Complex building. It has also created the visual identity of this software which include the logo, mode of moving from one scene to another, writing style, colours, etc.

- The Centre has finished preparing the foruth of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is titled The *Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of 'Ibādāt*.
- The Centre has finished preparing the fifth of a series of subject-based *tafsīr* in the sign language. This part is titled *The Tafsīr of Selected Āyāt Pertaining to Important Topics of Mu'āmalāt*.

- The Centre continues to revise the new *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah (in accordance with the Shamarli *Muṣḥaf*, wherein the page does not end in an *āyah*). This *Muṣḥaf* will be used in the *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah App according to the international operating systems on the platforms of iOS and Android.

- The Committee has completed scrutiny of the following *Muṣḥafs*:
  1. The digitally treated *Muṣḥaf* according to the Reading of Ḥafṣ.
  2. The digitally treated *Muṣḥaf* according to the Reading of Warsh now being prepared for printing. The Committee is about to finish its scrutiny.
  3. The Madinah *Muṣḥaf* Application for use in schools.
  4. The *muṣḥaf* according to the reading of al-Bazzī modified to be used for digital purposes.
  5. The *muṣḥaf* according to the reading of Qunbul modified to be used for digital purposes.
- The following recordings of the recitation of the Glorious Qur'ān are being checked:
  1. Recitation according to the reading of al-Sūsī recited by Shaikh 'Uthmān Ṣiddīqī has been checked, and corrections have been made. The final check after the correction is awaited.
  2. Recitation according to the reading of al-Dūrī recited by Shaikh 'Abdullāh 'Awwād al-Juhanī has been checked, and corrections have been made. The final check after the correction is awaited.
  3. Scrutiny of the recitation according to the reading of Ḥafṣ recited by Shaikh Māhir al-Mu'ayqilī is in progress.
- The Centre for Digital Research for the Service of the Glorious Qur'ān and its Sciences received tenders from 25 technical firms for the app of the Madinah *Muṣḥaf* to be used in the Android and iOS platforms. Out of these firms three have been selected to design the app.
- The Centre has prepared a detailed price-list for the technical features pertaining to the app of the Madinah *Muṣḥaf* to be used on the Android and iOS platforms and the cost of every feature in these platforms has been mentioned in the contract.
- The Centre has also prepared a short film using motion graphics in order to prepare a video about the app pertaining to *Muṣḥaf* al-Madīnah al-Nabawiyyah.

- The Scholarly Committee for the Scrutiny of the *Muṣḥaf* not only checks hard and soft copies of the *Muṣḥafs*, and the recitations of the Glorious Qur'ān, but also printed and hand-written copies of the Glorious Qur'ān received from official Saudi sources, or from outside the Kingdom. All these are scrutinized and reports are prepared about them.
- The Committee replies to queries regarding the scrutiny of the *Muṣḥafs* and their printing, and regarding the *rasm, ḍabṭ* and punctuations of the *muṣḥaf*.
- The Scholarly Committee for the Scrutiny of the Noble *Muṣḥaf* is now revising the printed copies of the Glorious Qur'ān and the recorded recitations. It also reviews the manuscripts and printed copies of the Glorious Qur'ān which are referred to it from within the Kingdom for checking them and writing reports about them.
- It also replies to queries relating to the following matters:
  - Scrutiny of the *muṣḥaf* and its printing.
  - Qur'ānic Orthography.
  - Qur'ānic Diacritical Signs.
  - Qur'ānic Punctuation Marks.
  - Other matters pertaining to Qur'ānic Sciences in general.
- The Committee reviews samples of all the publications of the Complex, both printed and recoded to ascertain the correctness of the Qur'ānic text.
- The Committee also participates in the *Tajwīd* Courses which the Complex conducts every year in the Prophet's Mosque for the sake of those who desire to have their recitation of the Glorious Qur'ān according to the Reading of Ḥafṣ *'an* Āṣim (Ṭarīq al-Shāṭibiyyah) checked. This Course has been going on since 1419-1420AH. The number of the graduates of this Course during the past 19 years is 417. In the present course - which is the 20th - 23 students are enrolled.

News From the Complex

- The Centre for Qur'ānic Studies is continuing its work of editing the manuscript of the book titled *Itḥāf Fuḍalā' al-Basḥar bi l-Qirā'āt al-Arba'ata 'Ashar* by al-Dumyāṭī.

  Most of the material needed for the introduction has already been collected. The team hopes to submit the book after editing on time.
- The Centre has carried out an exhaustive scrutiny of the work *Mu'jam Kuttāb al-Muṣḥaf*, and will soon be submitted for typesetting.
- The Centre is about to submit the book *al-Mu'jam al-Muyassar li Mawḍū'āt al-Qur'ān al-Karīm* for typesetting.
- The Centre will soon submit the book *Tafsīr Isḥāq al-Bustī* to the Pre-press Unit to prepare it for printing.
- The revision of the translation of *al-Tafsīr al-Muyassar* into Diola has started.
- The matter of translating the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages is being studied:
  - Serbian.
  - Comorian.
  - Wolof.
- The translations of the meanings of the Glorious Qur'ān into the following languages are being reprinted:
  1. Urdu.
  2. Spanish.
  3. English.
  4. French.

  It is to be noted that the Urdu and English translations have been freshly typeset.
- The Oromo translation has been transferred from cassettes to CD, and has been checked technically and otherwise.

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah
the Most Gracious, the Most Merciful

Journal of QUR'ĀNIC RESEARCH AND STUDIES

Issue 19 Volume 12 2018

Contents

News From The Complex 5

Abstracts of Arabic Articles 14

Notes for Authors

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** welcomes serious scholarly contributions in Arabic and English on the Glorious Qur'ān and its studies, the translation of the meanings of the Glorious Qur'ān and editing old manuscripts related to it.

Contributions should conform to the following:

- The length of contributions should normally be between 6000 and 12000 words.
- Three copies should be submitted, double-spaced with ample margins on one side of A4 sized paper.
- A soft copy of the contribution must be submitted. Text should be a Microsoft Word 2000 document (or a more recent version). Authors are welcome to send their contributions by e-mail, formatted as a Word attachment.
- A brief C.V. relevant to the scope of the journal should be submitted detailing the full contact information of the author and their institutional affiliation.
- An abstract of no more than 200 words should accompany the manuscript.
- Notes should appear page by page as they occur, i.e. in footnotes not endnotes. They should be numbered page by page.

The editorial board will consider original contributions set within sound theoretical or methodological frameworks, provided the material presented is rigorous. Submission of a contribution will be taken to imply that it has neither been published nor is being considered for publication elsewhere.

Contributors will be financially rewarded, receive five copies of the issue in which their contribution appears and twenty offprints of their contribution.

Transliteration System of Arabic Characters

ء	ʾ	ض	ḍ
ا	ā	ط	ṭ
ب	b	ظ	ẓ
ت	t	ع	ʿ
ث	th	غ	gh
ج	j	ف	f
ح	ḥ	ق	q
خ	kh	ك	k
د	d	ل	l
ذ	dh	م	m
ر	r	ن	n
ز	z	ه	h
س	s	و	w as a consonant and ū as a vowel
ش	sh		
ص	ṣ	ي	y as a consonant and ī as a vowel

Short vowels are to be transliterated as follows:
a for fat.hah (◌َ), i for kasrah (◌ِ) and u for dammah (◌ُ).
ة : is transliterated as h, but t when mu.dāf.
الـ : is transliterated as al whether shamsiyyah or qamariyyah.

The **Journal of Qur'ānic Research and Studies** encourages scholarly research and promotes publication in the field of the Glorious Qur'ān and its studies with a view to enriching the Qur'ānic studies library further and bringing specialists to get involved together in this field of study.

To achieve its aims, the journal welcomes contributions in the following areas: Qur'ānic studies, editing of related old manuscripts and studies concerning the translation of the meanings of the Glorious Qur'ān.

Editorial Board

Supervisor General

His Excellency Dr. 'Abdullaṭif ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Abdulraḥman Āl al-Shaikh Minister of Islamic Affairs, Da'wah and Guidance Supervisor General of the Complex

Editor in Chief

Professor Muḥammad Sālim ibn Shudayyid Al-'Awfī

Secretary-General of King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Deputy Editor in Chief

Professor Mu'īdh ibn Musā'id Al-'Awfī

Deputy Secretary General for Scholarly Affairs at King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Editor

Dr. 'Abd al-Ghafūr 'Abd al-Ḥaqq Al-Bulūshi

Members

Professor Aḥmad ibn Muḥammad Al-Kharrāṭ

Professor 'Imād ibn Zuhayr Ḥāfiẓ

Dr. Hāzim ibn Sa'īd As-sa'īd

Dr. Muṣṭafā ibn 'Umar Ḥalabī

Editor in Chief

Journal of Qur'ānic Research and Studies

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Madinah, P.O. Box 6262

Kingdom of Saudi Arabia

Telephone/Fax: 00966 (14) 8615600 Ext. 1810

journal@qurancomplex.org

www.qurancomplex.org

ISSN 1658-2624

©All rights reserved for King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex in Brief

Inauguration

In response to the increasing need of Muslims the world over for copies of the Glorious Qur'an, assuming the pioneering role of the Kingdom of Saudi Arabia in serving Islam and Muslims, and realizing the importance of serving the Glorious Qur'an, the late Custodian of the Two Holy Mosques, King Fahd ibn 'Abd al-'Azīz, laid the foundation stone of King Fahd Glorious Qur'an Printing Complex in Madinah in 1403 AH (1982) and inaugurated it in 1405 AH (1984) as a body dedicated to carrying out this honourable task. On laying the foundation stone he said:

> *In the Name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful. With the blessing of Allah, the Exalted, the Able [do I lay this stone].... We pray that this project will be a blessing for the service of the Glorious Qur'an, firstly, and Islam and Muslims, secondly. I pray to Allah, the Exalted, the Able, to grant us help and success in our religious and worldly affairs, and to make this project successful in fulfilling what it has been set up for, namely, the Glorious Qur'an, so that Muslims may benefit from it and ponder on its meanings.*

Aims of the Complex

Prominent among the aims of the Complex are: printing the Glorious Qur'an and recording it on audio media in the modes of reading well-known in the Muslim world, translating its meanings, furthering tafsir and Qur'anic studies, undertaking Islamic research and studies, and catering to the needs of Muslims, inside and outside the Kingdom, for the different publications of the Complex and making them available on the internet.

Supervision of the Complex

The Ministry of Islamic Affairs, Da'wah and Guidance supervizes the Complex. His Excellency Shaikh Dr. 'Abdullaṭif ibn 'Abd al-'Azīz ibn 'Abdulraḥman Āl al-Shaikh is the Supervisor-General of the Complex and the head of its Higher Committee. The implementation of the Complex's policies and the achievement of its aims are overseen by the Secretary-General of the Complex, Prof. Muḥammad Sālim ibn Shudayyid al-'Awfi.

The Higher Committee

The higher committee of the Complex sets its general policies and aims, oversees their implementation, and endorses the rules and regulations of the Complex.

The Scholarly Board

The scholarly board of the Complex looks into scholarly matters in line with the Complex's aims and suggests ways to advance them. It also considers research and issues of scholarly nature, and reviews the reports presented by specialized centres within the Complex.

Figures and Achievements

- The Complex comprises an integral line of production including the scholarly bodies, which work on preparing and producing its publications, and state-of-the-art printing, CD recording equipment.
- The Complex stands out with its advanced quality control system, applied rigorously at all production stages. There are almost 462 personnel in the quality control department responsible for ensuring that publications are free from defects.
- The Complex produced more than 300 important titles in the fields with which it is concerned, 74 of which are translations of the meanings of the Qur'an in different languages. Work is on-going on producing more useful publications.
- From this year (1439 AH), the annual output of the Complex will fluctuate between 18 and 20 million copies.
- The Complex distributed tens of millions of its publications all over the world as a present from the Kingdom of Saudi Arabia. About 2 millions copies are distributed annually as part of the Custodian of the Two Holy Mosques' gift to the Pilgrims of Allah's House.

Support of the Complex

The Complex receives constant support from the Custodian of the Two Holy Mosques, King Salmān ibn 'Abd al-'Azīz, his Crown Prince, HRH Prince Muḥammad ibn Salmān ibn 'Abd al-'Azīz - May Allah keep and preserve them.

Kingdom of Saudi Arabia

Ministry of Islamic Affairs,
Da'wah and Guidance

King Fahd Glorious Qur'ān Printing Complex

Journal of Qur'ānic Research and Studies

A Refereed Journal Specializing
in the Glorious Qur'ān and its Studies

Issue 19 • Volume 12

1440 AH - 2018